

المُقَابَلَسُ

في أخبار بلد الأندلس

لأبي مروان حيّان بن خلف

ابن حيّان الأندلسي

شرحه واعتنى به

الدكتور صلاح الدين الهواري

المكتبة العصرية

مكتبة - بيروت

المُقْتَبَسَاتُ

فِي أَخْبَارِ بَلَدِ الْأَنْدَلُسِ

لَأَبِي مَرْوَانَ حَيَّانَ بْنِ خَلْفٍ بْنِ حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ

شَرَحَهُ وَاعْتَنَى بِهِ
الدُّكْتُورُ صَالِحُ الدِّينِ الْهُوَّارِيُّ

مَكْتَبَةُ الْعِزِّيزِيَّةِ
بِغَزَّو

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - 2006 م

موقعنا على الإنترنت:

www.almaktaba-alassrya.com

شبكة لبناء شريف الانصار
للطباعة والنشر والتوزيع

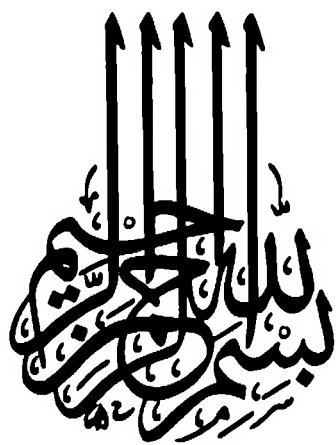
المكتبة العصرية

الدار النشوءية الحديثة المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب. ٨٣٥٥ - ١١ - تليفاكس ٦٥٥.١٥ ٩٦١١
صيدا - ص.ب. ٢٢١ - تليفاكس ٧٢.٣١٧ ٩٦١٧

E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN 9953-34-444-2





مقدمة

عُنِيَ العرب والمسلمون منذ بداية عهدهم بالتدوين، بكتابة تاريخهم بما اشتمل عليه من وقائع وأحداث، وما تخلله من انتصارات وهزائم وفتوحات، وما حفل به من علوم وآداب، وفنون وعمران.

وقد تنوعت اتجاهات المُصنِّفين في هذا المجال؛ فمتهم من دَوَّن تاريخ دولة أو مدينة، ومنهم من اختص بتاريخ خليفة أو أمير. وتناول بعضهم حقبة زمنية طويلة، تضمَّنت أخبار عددٍ من الممالك والأمراء والمدن. فكان من ثمار تلك الجهود في بلاد المشرق: كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م) الذي أرخ لبغداد بأحداثها وأمرائها وعلمائها وأدبائها وشعرائها، وأهل النباهة والفن والصناعة من أبنائها. و«تاريخ دمشق» لابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) الذي جاء على غرار سابقه بموضوعاته وأخباره. وكتاب «أخبار الرسل والملوك» لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، ويبدأ بآدم عليه السلام، ويقف عند حدود سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م. وكتاب «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) الذي تناول تاريخ البشرية منذ بداية الخلق، إلى أواسط القرن السابع الهجري، وغير ذلك الكثير من الكتب والموسوعات.

وحذا الأندلسيون حذو المشاركة في كتابة تاريخ بلادهم، فأكثروا واستفاضوا، حتى كادت كُتُبهم التاريخية تفوق سائر مصنفاتهم الأخرى عدداً وتنوعاً وشمولاً.

ومما وقعنا عليه من تلك المؤلفات: كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، وكتاب «تاريخ القضاة في الأندلس» لأبي الحسن النباهي (ت بعد ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م)، وكتاب «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» لأبي عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وكتاب «بغية الملمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأحمد بن يحيى الضَّبِّي (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، وكتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)، وكتاب «الصلة في تاريخ علماء الأندلس» لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)،

وكتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة» للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م)، وغيرها.

أما كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس» لابن حيّان الأندلسي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، فمن أنفس كتب التاريخ الأندلسية، ومن أفضلها جودة وإتقاناً، فهو كتاب ضخم، يقع في عشرة أجزاء، تضمّنت تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يدي طارق بن زياد، إلى زمان المؤلف. وعلى هذا الكتاب تقوم شهرة ابن حيّان، وبه عُرف للناس مؤرخاً بَرّ أقرانه، بسعة إحاطته، ودقة وصفه، وأصالة رأيه، ونزاهة حكمه.

لكن لسوء حظّ الباحثين في تاريخ الأندلس أن قسماً كبيراً من هذا الكتاب قد فُقد، ولم يَظْهَر منه حتى الآن إلا أربعة أجزاء، عتّا عليها الزمن، فأتلف عدداً من صفحاتها، الأمر الذي أساء إلى بعض الحقائق التاريخية، وأحدث شرحاً في تتابع الأحداث وتكاملها.

وقد ورد اسم «المقتبس» في كتب التراجم والسير بأشكالٍ عدّة، فهو «المقتبس في تاريخ الأندلس»، وفقاً للزركلي، في (الأعلام: ٢/ ٢٨٩)، وعمر كحالة في (معجم المؤلفين: ٤/ ٨٨)، و«المقتبس في تاريخ رجال الأندلس»، كما أورده فيليب حتّي في (تاريخ العرب: ٦٧٢)، و«المقتبس من أنباء أهل الأندلس»، استناداً إلى ابن الأبار، في «الحلة السيرة: ١/ ٢٩٠».

والجزء الذي نقدمه للقراء اليوم، يحمل اسم «المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، وهو الاسم الذي وضعه ابن حيّان في الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الجزء الأصلية، الموجودة في مكتبة الأكاديمية التاريخية بمدريد، وبه ظهر منشوراً لأول مرّة في بيروت عام ١٩٦٥م. وقد أبقينا هذا الاسم على حاله من دون تغيير أو تعديل، حرصاً على الحقيقة العلمية، ومنعاً للإلتباس والتشويش.

ولمّا كان هذا الكتاب جزءاً من مُصنّفٍ ضخم - لم يتبيّن لنا رقمه أو موقعه فيه - فقد خلا من مقدمة، يُحدّد فيها المؤلف منهجه، أو دافعه إلى تأليفه، على غرار معاصريه من الكُتّاب والمصنفين.

لكن من خلال قراءتنا المتأنية للكتاب، اتّضح لنا الآتي:

- امتياز أسلوب المؤلف بالسلاسة، وسهولة العبارات، ومتانة الألفاظ.
- تَجَنُّبه استِخدام المحسنات اللفظية والتنميق والتزويق.
- جِرْصُه على الدقة والتفصيل وحسن الإحاطة بما يورده من أخبار وروايات وأحداث.

- التَزَامُهُ بالنزاهة والأمانة العلمية في ما كان يرويهِ أو ينقله عن غيره من العلماء والمؤرخين .
- حِفَاطُهُ على الرصانة والاتزان في ما كان يطلقه من آراء، أو يصدره من أحكام .
- اضْطِرَارُهُ - تَحَرُّيًا للدقة - إلى التكرار في بعض مواطن الكتاب، وخصوصاً في وصفه لمجالس الحكم المستنصر في المناسبات والأعياد .
- تَزْيِينُهُ الكتاب ببعض القصائد التي كانت تُلقَى في مجالس الحكم المستنصر، في إشارةٍ إلى اهتمام خلفاء الأندلس بالشعر والأدب، وتقريبهم لمن نبغ من الشعراء في بلادهم .
- إِيْرَاذُهُ الأخبار مُرتَبَةً على السنين، فهو يُحدِّد السنة، ثم يسرد ما جرى فيها من أحداث، وما ازدحم فيها من مناسبات، واحتفالات، وتعيينات، وتقلبات، وغيرها .
- اسْتِطْرَآدُهُ وهو يروي الأخبار إلى ذكر أحوال اجتماعية لافتة في حياة الأندلسيين، كذكره خبر الصبي المتفاوت الخلق، الذي خالف نمو جسمه وعقله ما هو مألوف في حياة البشر، وذكره تكفل الخليفة بالإنفاق عليه، وعلى ذويه .
- ويقوم عملنا في هذا الكتاب وفقاً للخطة الآتية :
- تصدير الكتاب بمقدمة تشتمل على حياة المؤلف أبي مروان، حيَّان بن خلف بن حيَّان الأندلسي، وآثاره، ومنزلته، ومنهجه في تأليف الكتاب .
- ضبط أسماء الأعلام والأماكن والبلدان .
- ضبط الشواهد الشعرية، وشرحها، وتعيين بحورها .
- التعريف بالأعلام والمدن الواردة في الكتاب ما أمكن .
- ضبط وشرح كل ما غمضَ أو صَعُبَ من عبارات الكتاب وألفاظه .
- تزويد الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية التي تساعد القارئ، وتُمكنه من الرجوع إلى مواد الكتاب بسهولة ويُسر .
- واللَّهِ سبحانه وتعالى نسأل أن يَمُدَّنَا بالعزيمة والسَّداد والثبات، لنتابع مسيرتنا العلمية، ونُوفِّق في خدمة تراثنا الثقافي، وبلورة تاريخنا المجيد، إنه سميع مجيب، وبالإجابة جدير .

صلاح الدين الهواري

٥ حزيران ٢٠٠٥م

٢٨ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ

ترجمة المؤلف

- حياته :

هو أبو مروان، حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن مُحمّد بن حيّان بن وهب بن حيّان مولى الأمير عبد الرّخْمَن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الشهير بـ «ابن حيّان»^(١) : مُؤرّخ، أديب، بَحّاث، من أهل قرطبة. ولد سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م^(٢)، وتلمذ على أبيه^(٣)، وعلى عددٍ من شيوخ الأندلس وعلمائها الكبار، كالشيخ أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحُبّاب النحوي (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م)، وأبي العلاء صاعد بن الحسن الرّبّعي اللّغوي (ت نحو ٤١٠هـ/نحو ١٠٢٠م)، الذي لزمه، وأخذ عنه كتابه المسمى بـ «الفصوص»، والشيخ أبي حفص، عمر بن حسين بن محمد بن نابل (ت ٤٠١هـ/١٠١١م) الذي أخذ عنه الحديث النبوي الشريف^(٤).

ولم يذكر الذين ترجموا^(٥) لابن حيّان أنه تَنقّل في مدن الأندلس، أو غادرها إلى بلاد المشرق، كغيره من العلماء والأدباء. ولم يذكروا أنه اتّصل بملوك الأندلس وأمرائها، بالرغم من تفرّغه لكتابة تواريخهم، ورصد أخبارهم، ووصف ممالكهم، خلا آنخل بلانثيا، الذي ذكر في كتابه «تاريخ الفكر الأندلسي» أن ابن حيّان بعد تَفَقُّه وتأدّبه، انتظم في سلك وظائف الدولة، وشغل وظيفة صاحب الشرطة في قرطبة زماناً، وأنه كان من كتّاب المنصور بن أبي عامر^(٦) (ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م).

(١) الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ابن بشكوال: ١٣٨؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/٢١٨.

(٢) الأعلام، الزركلي: ٢/٢٨٩؛ معجم المؤلفين، عمر كحالة: ٨٨/٤.

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢٠٨.

(٤) الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/٢١٨.

(٥) تُراجع ترجمته في: بغية الملتبس، الضبي: ٢٧٥؛ الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨؛ جذوة

المقتبس، الحميدي: ١٩٦؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/٢١٨؛ هدية العارفين،

البغدادى: ٥/٣٤١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ١٢/١٢٤؛ شذرات الذهب، ابن العماد

الحنبلي: ٣/٣٣٣؛ كشف الظنون، حاجي خليفة: ١٤٥٦؛ وغيرها.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢٠٨.

وكانت وفاة ابن حيّان في ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ/ تشرين الأول سنة ١٠٧٦م.

- آثاره :

ترك ابن حيّان مؤلفات كثيرة في التاريخ، وغيره، قاربت الخمسين مؤلفاً، فقد معظمها، ولم يبقَ منها إلا اليسير. وأهم تلك المؤلفات:

- المقتبس في تاريخ الأندلس، ويقع في عشرة أجزاء.
- كتاب «المتين»^(١)، ويقع في ستين جزءاً.
- كتاب «البطشة الكبرى»، وهو كتاب يُعنى بأخبار الدولة العامرية^(٢).
- انتخاب من أخبار القضاة.
- كتاب في «تراجم الصحابة».
- كتاب تاريخ فقهاء قرطبة.

ولم يصلنا من مؤلفات ابن حيّان غير أربعة أجزاء من كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس»، تناول أحدها عصر الأمير عبد الله بن محمد، وقام بنشره المستشرق الإسباني الأب ملشور أنطونيا في باريس سنة ١٩٣٧، نقلاً عن مخطوطة وجدها في مكتبة بودلين بأكسفورد. وعُني الجزء الثاني بأيام عبد الرّحمن الثاني (الأوسط)، وأكثر أيام ابنه الأمير محمد. وقد قام بتحقيقه ونشره الأستاذان: الدكتور حسين مؤنس، والدكتور محمود علي مكي، نقلاً عن مخطوطة عُثِر عليها في مكتبة القرويين بالمغرب. واختص الجزء الثالث من المقتبس بالثلاثين سنة الأولى من أيام عبد الرّحمن الناصر. وقد عُثِر عليه مؤخراً في المغرب.

أما الجزء الرابع، فقد تحدّث عن خمس سنوات غير كاملة من أيام الحكم المستنصر (٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م). وهو الجزء الذي نقدمه اليوم للقراء بحلّة أنيقة، تلبي حاجاتهم، وتسهّل اطلاعهم على مكنونات التراث الأندلسي وجواهره الثمينة.

- منزلته وأقوال النقاد فيه :

أجمع معظم الذين ترجموا لابن حيّان على أنه كان إمام المؤرخين في الأندلس، لما تميزت به كتاباته التاريخية من سعة ودقة وتفصيل وجودة وجمال أسلوب، قال أبو

(١) في الأعلام: «المبين».

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي: كتاب المآثر العامرية.

علي الغساني (ت ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م)، وقد ذكره ضمن شيوخه^(١): «كان عالي السن، قوي المعرفة، مستبحراً في الآداب، بارعاً فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظماً له».

ونقل ابن بشكوال عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عون قوله^(٢): «كان أبو مروان بن حيّان فصيحاً في كلامه، بليغاً فيما يكتبه بيده. وكان لا يعتمد كذباً في ما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار».

وعده ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) - بعد نعته بمؤرخ الأندلس والدولة الأموية - مِمَّنْ «عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فقيّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره»^(٣).

وذكره ابن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، والحميدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) فقال^(٤): «ابن حيّان، أبو مروان القرطبي: صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها، وله حظّ وافر من العلم والبيان، وصدق الإيراد».

وأيد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م) ما ورد في الجذوة، وبغية الملتمس، والصلة، من أقوال في ابن حيّان، واقتطف نثراً منها^(٥).

ونُقِلَ عن دوزي (ت ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) أنه قال^(٦): «إن كُتَابَ العرب يمتدحون في كتب ابن حيّان صدق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لغته ورنين عباراته. وأنا أؤيدهم في ذلك كلّ التأييد، ولا أتردد في القول بأن كتبه - لو بقيت - لألفت على تاريخ الأندلس الغامض ضياءً باهراً، وصورته لنا أحسن تصوير، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغاً يجعلنا نستغني بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور».

ونعته الزركلي بـ «المؤرخ البَحَّاث»، ثم قال: «كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، وأفصح الناس بالتكلّم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له»^(٧).

(١) الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٩.

(٣) المقدمة في التاريخ، ابن خلدون: ٥.

(٤) بغية الملتمس، ابن عميرة الضبي: ٢٧٥، جذوة المقتبس، الحميدي: ١٩٦.

(٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢١٨/٢.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢١١.

(٧) الأعلام، الزركلي: ٢٨٩/٢.

ولحظ عمر فروخ - على خلاف سابقه - ما كان يقيمه ابن حيّان من علاقات مع بعض حكام الأندلس، فقال^(١): «خالف ابن حيّان سياسة أهله، فتقرّب إلى بني ذي النون أصحاب طليطلة»، ووصفه بتقلّب الهوى في السياسة.

وبعد، فهذا بعض ما قيل في ابن حيّان قديماً وحديثاً، ولم نجد في هذه الأقوال ما يحطّ من قدر الرجل، أو ينتقص من قيمة كتاباته التاريخية في الأندلس.

ونرى أن هؤلاء المترجمين والنقاد والدارسين، ما كانوا ليتفقوا على مدح هذا المؤلف، والثناء على إسهامه في رسم صورة الأندلس الحضارية، وحمله لواء التاريخ فيها، في الحقبة التي أحاط بها في مصنفاته، لولا قدراته الكبيرة التي فاق بها أقرانه من المؤرخين الأندلسيين.

ونرى أنه لو قدر لكتابه: «المقتبس»، و«المتين» اللذين صنفهما في تاريخ الأندلس أن يبقيا إلى الآن، لاثّضح لدارسي التاريخ الأندلسي المعاصرين الكثير من غوامض الأمور، التي قصر غير ابن حيّان عن إبرازها، والكشف عن خباياها التي يُخيّل إلينا - وفقاً لما رأيناه من أسلوب ابن حيّان في الجزء الذي تُعنى به من المقتبس - أن ذلك المصنّف لم يغفل عنها، ولم يُقصّر عن الإحاطة بها، بالدقة، والبراعة، وسلاسة الأسلوب التي عهدناها في كتاباته.

(١) تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٦١٦/٤.



[سنة ٣٦٠هـ]

ذكر شهر المعروف (...)(١)

وفي يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان^(٢) منها [بعد صلاة]^(٣) الجمعة نُودِيَ على رأس ابن عُمَرَ المحتال المعروف... الحاجب، وقد أُقيم في العلية التي على باب دار الصدقة غربي المسجد الجامع، وقد كُشِفَ للناس والمُنَادِي يهتف عليه: «أيها الناس رحمكم الله، هذا أحمد بن عُمَرَ المُلَقَّب... اللصّ الفاسق^(٤) المستهلك لأموال المُسلمين... فاعرفوه واجتنبوه وتحفظوا منه... حق وأوضحه، حمل على الحق والعدل إن شاء الله... قد بدا في معاملته الناس ومتاجرته إياهم... من قبح سريرة^(٥) وباطن سوء واستهلاك كثير، انتهى إلى الخليفة شأنه وعظم المحنة به فنفذ من أمره... الله به بأسه. وجال^(٦) المنادي عليه يومين تباعاً في السوق... الكبرى على أصحاب الصناعات وطبقات التجار، ووقفه بباب... للنداء عليه، ثم نفذ الأمر بحبسه بها في السجن، فاستقر... أحاديث شنيعة.

(١) كذا في الأصل، وسوف يلاحظ القارئ مثل هذا النقص في بعض الصفحات التالية، بسبب ما أصيب به أصل الكتاب من تآكل وتلف.

(٢) يبدو أن الصفحات الأولى من الأصل قد ضاعت، لذلك بُدِيَء هنا بِسَرْدِ أحداث الثلث الأخير من شهر شعبان، من سنة ٣٦٠هـ، وليس من الشهر الأول في السنة الهجرية المعروف بـ «المحرم».

(٣) زيادة اقتضاها السياق، لأن الوقت بعد صلاة الجمعة هو أصلح الأوقات للتشهير والتعزير، بسبب احتشاد الناس للصلاة الجامعة.

(٤) القَاسِيقُ: العاصي الذي يتجاوز حدود الشرع، ويقال: فسق عن أمر ربّه: خرج عن طاعته، وفي التنزيل العزيز: «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» [الكهف: ٥٠].

(٥) السَّرِيرَةُ: ما يُكْتَمُ وَيُسَرُّ.

(٦) جال المنادي جَوْلًا، وجَوْلَةً، وجَوْلَانًا: طاف.

ورود بون فلي رسول بريل

... في عقب شعبان منها احتل^(١) صاحب الشرطة وقائد طَرْطُوشَة^(٢) وكُورَة^(٣) بَلَنْسِيَة^(٤) هِشَام بن مُحَمَّد بن عُثْمَان ... بمحلة فَخْص السَّرَادِق قادمًا من عمله ومعه القومس بون فلي بن سندريط ثقة بريل بن شنير ومُقَدِّمه على حصونه ومهمات مدنه بكتابه إلى الخليفة الحكم مُطالعا لخبره، مُعرِّفاً بالذي هو عليه من تصحيح طاعته وموالاته وبما وراء ... من التقرب إليه بإهدائه إليه ثلاثين أسيراً من أسارى المسلمين جمعهم في قاعدته وأطراف عمله من ذكر وأنثى، إذ أعلم أن ذلك أفضل ما يُسرُّ به أمير المؤمنين ويبتهج به ويكافئ عليه؛ ورد الباب في عشرين فارساً من وجوه رجال بريل وأتباعهم ومعهم رسول لغيتار القومس النبيه مُقَدِّم الأمير بريل على مدينة برشلونة المتقدمة وفادته^(٥) إلى الحضرة بكتابه إلى الخليفة في ثلاثة فوارس من أصحابه بكتاب غيتار إلى الخليفة؛ تحرك بهم صاحب الشرطة هِشَام بن مُحَمَّد بن عُثْمَان ... يوم الثلاثاء سلخ شعبان ... والعدة الرائقة. فلما انتهى إلى جسر قَرْطُبَة^(٦) ... بإنزال الأعاجم بمنية نصر بشط النهر... وأحلَّهم فيها، وتقدم هِشَام إلى الزهراء فتوصل إلى أمير المؤمنين الحكم وعرفه بشأنهم، فأمر بإكرام مثواهم.

فلما كان يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان منها قعد لهم الخليفة الحكم على السرير في محراب المجلس الشرقي المنيف على الرياض قعوداً فخماً كامل الترتيب كأفخم ما جرت به العادة في أمثاله، وتوصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم، وحجبه^(٧) منهم عن ذات اليمين الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَن، وتحت الوزير صاحب الحشم قَاسِم بن مُحَمَّد بن طُمْلُس، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة

(١) اختلَّ المكان، وبه: حَلَّه: نَزَلَ به.

(٢) طَرْطُوشَة: مدينة بالأندلس، تتصل بكورة بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر، مبنية على نهر أبره، وَيُنَسَّبُ إليها عدد كبير من العلماء. (معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣٠/٤).

(٣) الكُورَة: الصُّقْع، أو البقعة يجتمع فيها قُرَى وَمَحَال.

(٤) بَلَنْسِيَة: مدينة مشهورة، تقع شرقي تدمير شرقي قرطبة، وهي بَرِيَّة بِخَرِيَّة، ذات أنهار وأشجار، وتُعرف بمدينة التراب. (معجم البلدان، الحموي: ٤٩٠/١).

(٥) الوفادة: القدوم، يقال: وَقَدَّ على القوم، وإليهم وَقْدًا، ووفوداً، ووفادة: قَدِمَ.

(٦) قَرْطُبَة: مدينة عظيمة، كانت عاصمة للأندلس، ومستقراً لخلفاء بني أمية، وبينها وبين البحر خمسة أيام. (معجم البلدان، الحموي: ٣٢٤/٤).

(٧) حجب الأمير: صار له حاجباً، ومنه: حَجَبَ بينهما: خَالَ، وحَجَبَ الشيء: ستره.

بِقَرْطَبَةِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ، وتحتة صاحب المدينة بالزهراء^(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحٍ. وتوجّه في رسل بريل بن شنير جمهور بن الشيخ في قطيع من الجند ومعه النفر من كبار النصاري بِقَرْطَبَةِ المترجمون، فأقبل وقد قدموا بين أيديهم هدية بريل إلى الخليفة الحكم، وكانت ثلاثين أسيراً من المسلمين بين رجل وامرأة وصبي، إلى أحمال ديباج^(٢) وأسلحة، أذاهم جمهور إلى مقعدهم بمجالس الجند من قصر الزهراء إلى أن استوى جلوس الخليفة، وخرج الإذن فيهم، فدخلوا يقدمهم بون فلي القومس . . . وجوهم معهم الخمسة . . . قَرْطَبَةِ المترجمين عنهم فلما . . . [وصلوا إلى] باب المجلس الذي السرير فيه خَرَوْا سجوداً . . . إلى أن قربوا من يَدِ الخليفة فقبلوها . . . إلى أعقابهم فظلوا قياماً وناولوا كتاب [صاحبهم]، فنظر الخليفة فيهم وفاتهم بالسؤال عن أحوال مُرْسِلِهِمْ بريل صاحبهم وبلده، وذكر لهم حسن موقع أهله لديه وأنه مكافيه عن ذلك ومجازيه. قالت الرسل ما عَنَّا^(٣) لهم فَتَرْجَمَ المترجمون عنه إليهم وعنهم إليه، فانقضى المجلس، وانقلب بهم جمهور بن الشيخ إلى منية نصر محلة نزله مشيعاً لهم في جيشه، وعهد الخليفة برفع الصلات إلى الأسرى الذين بُعِثَ بهم كيما يتحملوا إلى أوطانهم، فنفذ ذلك . . . وقال في تهنئة الخليفة، بما يتوالى عليه من تسارب^(٤) رسل الطواغيت^(٥) إليه وازدلافهم إلى ابتغاء رضاه أحمد بن إبراهيم الخازن بالزهراء في شعر له: [من الطويل]

لِيَهْنِكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ نَاكِثٌ وَلَا مُشْرِكٌ إِلَّا أَتَاكَ بِبِلَا عَهْدٍ^(٦)
فهذا ابنُ شَيْخٍ وَهُوَ طَاغِيَةٌ لَهُمْ رَأَى الرُّشْدَ فِي التَّحْكِيمِ وَالْأَمْنِ فِي الْقَضْدِ^(٧)
وَأَلْقَتْ يَدًا إِفْرَنْجَةً وَعَمِيدُهَا وَلَوْلَا يَدُ الْإِلْقَاءِ جَاءَكَ فِي قِدِّ^(٨)
وهذا لِمَنْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مُؤَذِّنٌ كَمَا أَنَّ خَطْفَ الْبَرْقِ يُؤَذِّنُ بِالرَّغْدِ^(٩)

(١) الزهراء: مدينة صغيرة قرب قرطبة، اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي، وهو يومئذ سلطان البلاد سنة ٣٢٥هـ، وجعلها متنزهاً له. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ١٦١).

(٢) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير.

(٣) عَنَّا له الأمرُ عَنَّا وَعُنُونَا: عَرَضَ.

(٤) التَّسَارُبُ: التَّشَابُعُ، يقال: تَسَرَّبَ القوم في الطريق: تتابعوا.

(٥) الطواغيت: جمع الطاغوت: الطاغى المعتدي، أو كلُّ رأس في الضلال.

(٦) الناكث: الذي ينكث عهده أو يمينه: ينبذه وينقضه.

(٧) الْقَضْدُ: استقامة الطريق، ويقال: هو على القصد، وعلى قصد السبيل: إذا كان راشداً.

(٨) العميد: السَيْدُ الْمُعْتَمَدُ عليه في الأمور. الْقِدُّ: السَّيْرُ يَقْدُ من الجلد، أو السَّوْطُ.

(٩) مُؤَذِّنٌ: مُعْلِمٌ، يقال: آذَن، فلاناً الأمر، وبه: أعلمه به.

وَلَمْ يَنْبَقْ إِلَّا أَنْ يَحْلَ بِمَكَّةَ فَيَطْرُدَ عَنْهَا الْمُسْتَحْقِينَ لِلطَّرْدِ

ودخل شهر رمضان من هذه السنة فأمضى الخليفة المستنصر بالله فيه عاداته التي لا يكاد يخلفها [من إشاعة الصدقات] وتجديد القربات^(١)، وتنقيته^(٢) بالكثير منها [عن] ذوي الحاجة والستر المتجملين على الخلات، فظَهَرَ وَبَطَنَ وَعَمَّ وَخَصَّ، فنعش الله به خلقاً وبسط رزقاً، وغبطه شعراؤه بما والاؤه من ذلك وقسطه، فقال فيه فَرْجُونُ بْنُ أَصْنَعِ الْبُلُوطِي فِي شِعْرِ لَهُ: [من الطويل]

..... إمام فيه ليلاً تمجداً^(٣)

..... الإله خير ذاك تزوداً

..... صدقاته لتفريقها يرجو من الله مؤعداً

..... من أنقأها (كذا) المصطفى خير النبيين أحمداً

[وفي صدر] رمضان منها وقع الإرجاف^(٤) بتحريك المجوس الأردمانيين - لعنهم الله - وظهورهم في البحر الشمالي ورؤيهم^(٥) [سواحل] الأندلس الغربية على عاداتهم. فانزعج السلطان لما سيق إليه خبرهم، وعهد إلى عبد الرّحمن بن رُمَاحِس [قائد البحر] وهو حاضر بِقَرْطُبَةَ بالخروج [إلى] المَرِيَّةَ^(٦)، والتأهب للركوب إلى ناحية الغرب، فنفذ لأمره يوم الإثنين لِسْتُ خُلُون من شهر رمضان المؤرخ. وأحضر الوزير القائد غالب بن عبد الرّحمن وكان حاضراً يومئذ بِقَرْطُبَةَ، فخصّه بالتكلم معه فيما طرّقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه، وأهاب^(٧) به له، وحوّل إليه صائفة عامية الآزفة^(٨)، وقلّده العود لها والتهمم بها براً وبحراً لضلّاعته وغناؤه^(٩)، وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه، وحدّ له حدوداً أمره بالتزامها والوقوف عليها. وبسطه أتم بسط وقربه أفضل تقريب واستودعه الله عزّ وجلّ، وأمره بالنهوض والأخذ في شأنه. فودّع

(١) القُرْبَات: جمع القُرْبَة: ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى من أعمال البرّ والطاعة.

(٢) نَقَّرَ الشَّيْءَ، وعنه، تَنَقَّرَ: بحث عنه وفقّش.

(٣) تَمَجَّدَ: تَعَزَّظَ، أو تفاخر، أو أظهر مَجْدَه.

(٤) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(٥) رَوَيْهِمْ: طلبهم، يقال: رام الشيء رَوْماً، ومراماً: طلبه.

(٦) المَرِيَّةُ: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة، من أعمال الأندلس، وكانت هي وَبْجَانَةُ بَابِي الشَّرق، منها يركب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن. (معجم البلدان، الحموي: ١١٩/٥).

(٧) أهاب به: دعاه إلى نجدة، أو تصدّق، أو قتال، أو غير ذلك.

(٨) الآزفة: الدانية، القريبة، يقال: أَرَزَفَ الوقت أَرْزَافاً، وأزَوْفاً: دنا وقَرُبَ.

(٩) الغَنَاءُ: النفع والكفاية.

وانطلق وهو يُشيعه بِدُعائه ويسأل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن عاقبته . فلما أن كان صبيحة الخميس . . . أمر الخليفة المستنصر بالله . . . من مخازن العدة بقصر الزهراء إلى دار الوزراء . . . بين يدي دُرِّي الصغير الخازن عدة بيت الوزراء . . . الأصاغر لدنوها من باب بيت الوزراء . . . على دكانه المرخم الرحب ، رَكَزُوا القنوات إلى . . . فوقه ملحفة بيضاء زهرية وضعوا فيها منديل . . . على القطع التي أمر بعقدتها هنالك فوق تلك القنوات لتُعَجَّل إلى الوزير القائد غَالِب العاجل الحركة وقد . . . صاحب الحشم^(١) الوزير مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلُس وصاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح القيام إليهم من فراشهما ببيت الوزارة فَحَلَّالاً المنديل المشدود فوق الملحفة فإذا به الثلاث قطع المميزة بها الراية المُسمَّاة بالعقدة والعلم والشطرنج . وقد أحضر الخليفة دُرِّيَّ المعروف بابن عقبة عريف الخياطين لعقد هذه الأعلام في قنواتها . وأحضر أمام . . . الخليفة المستنصر بالله مُحَمَّد بن يُوْسُف قاضي قُبْرَة^(٢) إلى أئمة النافلة به في شهر رمضان ومن معهم من المؤذنين . فلما أخذ ابن عقبة اللواء اندفع مُحَمَّد بن يُوْسُف بقراءة سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح : ١] حتى أتى على آخرها عند فراغ ابن عقبة من عقده ، ورفع من حضر من الأئمة والمؤذنين ومن شهد من الوصفاء . . . والتهليل والتكبير والتحميد . . . قناة اللواء وأخذ في عقد العلم . . . وَمُحَمَّد بن يُوْسُف وأصحابه ينتزعون بقراءة . . . القرآن العظيم إلى أن تَمَّ عقده وحقه المؤذنون . . . من الداعين بالدعاء والابتهاال بما أجهدهم . . . قناته قائمة ثم كان الصنيع في الشطرنج كذلك . . . وذلك كله نهض الخليفة دُرِّيَّ مع الوصفاء والمؤذنين . . . الثلاث خارجين إلى باب السدة^(٣) مواصلين للتكبير . . . وخرج بخروجهم ابن طُمْلُس وابن أفلح وقد أعدَّ هنالك طائفة حسنة من الجند شاكي الأسلحة^(٤) ظاهري الأهبة^(٥) رائعي الزينة تكتفوا قِبَلَهُ الألوية معه معاً ، حتى انتهوا إلى باب الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمَنِ

(١) الحشم : حشم الرجل : خاصته الذين يغضبون لغضبه ، ولما يُصيبه من مكروه ، من عبيد أو أهل أو جيرة .

(٢) قُبْرَة : كورة تتصل بأعمال قرطبة من قِبَلِهَا ، ذات أرض زكية ، وهي مخصوصة بكثرة الزيتون . (معجم البلدان ، الحموي : ٣٠٥ / ٤) .

(٣) باب السدة : أحد أبواب قصر الخلافة بقرطبة .

(٤) يقال : فلان شاكُ السلاح ، وشاكُ في السلاح ، أي : يَلْبِسُ السلاح التام ، وهو من الشُّكَّة ، وهي : ما يُلبس من السلاح .

(٥) الأهبة : العُدَّة ، يقال : أخذ للأمر أهبته ، أي : عُدَّته . والأهبة : الاستعداد ، من تأهب للأمر : استعدَّ .

وهو منتظر مُتَلَبِّبٌ^(١) مَعَدَّ، فلما وصلت إليه استوى على صهوة فرسه، وفصل للغزوة وبين يديه العدة والعديد، وصف من الجند قد غصَّ بهم الطريق، فنفذ لسيله.

ذكر مقتل زيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجِي^(٢) صاحب الغرب وما يليه

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة بقية من شهر رمضان منها ورد الخبر من العُدُوَّة بقتل زيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجِي قائد مَعَدَّ بن إسماعيل الشيعي^(٣) صاحب إفريقية [وقائده على الغرب] قتله جَعْفَرُ وَيَحْيَى ابنا عليّ المعروف [بابن الأندلسي] المخالفان على مَعَدَّ فيمن استظهرا به [عليه من]... زَنَاتة^(٤) المنحرفين إلى خلفاء بني أمية بالأندلس [وجدوه].. بناحية الغرب في حرب دارت بينهم شهد[ها بنو خزر وغيرهم] من رؤساء البرابر القائمين على زيري بدعوة [الحكم].. المُسْتَنْصِر بالله وعلى اسمه، ففتح لهم فيه أعظم فتوح [ووصل] عليّ البغدادي كاتب جَعْفَر بكتابه إلى الخليفة [.....] رمضان، وذكروا احتياج الحرب العقيم^(٥) بين أهل الدعوتين بالعدوة.

وفي يوم السبت لخميس بقين منه دخل قُرْطُبَة سلس رسول القومس عند شلب بن مسرة بكتابه من مدينة لستره من أداني جليقية^(٦) بتاريخ يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان يذكر دخول المجوس - أهلهم الله - يوم السبت قبله وادي دويره، وذلك شطر النهار وأنهم خرجوا في الغارة إلى شُنت بَرِيه وبسيطها، وأنهم انصرفوا خائبين.

وفي العَشرِ الآخر من شهر رمضان أنفذ الخليفة المستنصر بالله مُباركاً ومُبَشِّراً

(١) مُتَلَبِّبٌ: من تَلَبَّبَ الرجل: تَحَزَّم وتَشَمَّر، أو لبس السلاح.

(٢) هو أول ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط. بنى مدينة «آشير»، وإليه تُنسب. وعُرف بالشجاعة وحسن السيرة. توفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م. (الأعلام، خير الدين الزركلي: ٦٣/٣).

(٣) هو أبو تميم، مَعَدَّ بن إسماعيل بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي: صاحب مصر وإفريقية. ولد في المهديّة، وبُويغ له بالخلافة في المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ، وتوفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م. (وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٥/٢٢٤).

(٤) زَنَاتَة: ناحية بِسَرْقُسْطَة، لم يتوسّع ياقوت الحموي في وصفها.

(٥) حرب عقيم: لا خير فيها.

(٦) جَلِيقِيَّة: ناحية قرب ساحل البحر المحيط، شمالي الأندلس. (معجم البلدان، الحموي: ٢/١٥٧).

الْفَتَيَيْنِ الْجَعْفَرِيَّيْنِ إِلَى كُورَةِ رَيَّةَ وَشَدُونَةَ^(١) لِإِشْحَانِ الْأَطْعَمَةِ مِنْهَا وَإِزْعَاجِهِمَا إِلَى الْأَسْطُولِ الْمَجْهَزِ إِلَى سَاحِلِ الْغَرْبِ. وَفِي عَقَبِ رَمَضَانَ رَكِبَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ الْعَلِيَا... (رَمَا) حَسَّ قَائِدُ الْأَسْطُولِ مِنْ قَرْيَةِ بَجَّانَةَ^(٢)... لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْبَحْرِ الشَّمَالِيِّ الَّذِي... الْمَجُوسِ...

عيد الفطر

وَفِي غَرَةِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثِمِائَةِ لَيْلَةٍ ارْتَقَابَهُ مَسَاءَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ بِقَصْرِ قَرْطَبَةَ وَبَعْضُ أَقَالِيْمِهَا... خَلْفَهَا، فَاسْتَهْلَ بِأَكْثَرِ كُورِ الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْعُدُوءِ، فَافْطَرَ النَّاسَ بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَأَفْطَرَ أَهْلَ قَرْطَبَةَ وَمَنْ جَاوَزَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي كَانَ الْيَوْمَ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ تَمُوزَ، وَقَعَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ، بَعْدَ انْقِضَاءِ صَلَاةِ الْعِيدِ، لَتَسْلِيمِ الْجُنْدِ عَلَيْهِ، فِي مَحْرَابِ الْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ مِنْ قَصْرِ الزَّهْرَاءِ، الْمُنِيفِ^(٣) عَلَى السَّطْحِ الْعَلِيِّ وَالْمُوفِيِّ عَلَى الرُّوْضِ الْبَهِيِّ، قَعُوداً فَخْماً أَشْبَهَ فِخَامِ جَلَسَاتِهِ الشَّهِيرَةِ الْجَلَالَةِ؛ شَهِدَهُ طَبَقَاتُ النَّاسِ فَكَانَ صَدْرُهُ الْإِخْوَةَ وَجَنْبَاتِهِ الْوُزَرَاءَ وَمُوسِطَتُهُ أَهْلَ الْمَرَاتِبِ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْخِدْمَةِ، وَسَائِرُهُ لُجُوهَ الْمَوَالِي وَبِيَاضُ رِجَالِ قَرْطَبَةَ؛ قَعَدَ مِنَ الْإِخْوَةِ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ الشَّقِيقُ أَبُو الْأَصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَتَحْتَهُ أَبُو الْمُطَرِّفِ الْمُغْفِرَةُ، وَعَنْ ذَاتِ الْيَسَارِ الْأَصْبَغُ أَبُو الْقَاسِمِ. وَقَعَدَ الْوُزَرَاءَ بِإِثْرِهِمْ فِي الْجَهْتَيْنِ بَعْدَ فَرَجَتَيْنِ عَلَى حَدِّ جَزْيِ الْعَادَةِ. وَكَانَ الْإِنْذَارُ قَدْ سَبَقَ (إِلَى) بَنِي مُحَمَّدٍ بْنِ هَاشِمٍ بِالْحَضْرَةِ... وَأَمْرُ زَعِيمِهِمْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَاشِمٍ بِالنَّزُولِ... وَالْقَعُودِ بَيْنَهُمْ وَالتَّوَصُّلِ بِوَصُولِهِمْ وَقُلْدَ سَيْفًا [مِنْ سَيْوَفٍ] الْخَاصَّةِ مَكَانَ رِدَائِهِ تَكْرَمَةً لَهُ، وَقَعَدَ بَعْدَ... الْوَزِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ... فَرَجَةٍ. وَحَجَبَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَهُ هَذَا عَنْ يَمِينِهِ الْوَزِيرُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِقَرْطَبَةَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ^(٤)، وَتَحْتَهُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِالزَّهْرَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحٍ مَوْلَاهُ، وَمَنْ عَنْ

(١) رَيَّةُ: كُورَةُ وَاسِعَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، قِبَلِي قَرْطَبَةَ، وَاسِعَةُ الْخَيْرَاتِ، فِيهَا عَيْنُ مَاءٍ سَاحِنَةٌ. (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، الْحَمَوِي: ١١٦/٣). شَدُونَةُ: مَدِينَةٌ تَتَّصِلُ نَوَاحِيهَا بِنَوَاحِي مَوْزُورَ. يُنسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ. (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، الْحَمَوِي: ٣٢٩/٣).

(٢) بَجَّانَةُ: مَدِينَةٌ مِنْ أَعْمَالِ كُورَةِ الْبِيرَةِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَرِيَةِ فَرْسَخَانِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ غَرْنَاطَةِ مِائَةِ مِيلٍ (ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ فَرْسَخًا). (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، الْحَمَوِي: ٣٣٩/١).

(٣) الْمُنِيفُ: الْمُسْتَرْفُ عَلَى غَيْرِهِ، يُقَالُ: عَزَّ مُنِيفٌ: عَالٍ تَامٌ، وَقَصُرَ مُنِيفٌ: طَوِيلٌ فِي ارْتِفَاعٍ.

(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ نَصْرِ بْنِ فُوزَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَسِيلَةَ الْقَيْسِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِ«الْمَصْحَفِيِّ»: وَزِيرٌ، أَدِيبٌ، شَاعِرٌ، كَاتِبٌ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م. (بَغِيَّةُ الْمُلْتَمَسِ، الضَّبِّي: ٢٥٧).

يساره الوزير صاحب الحشم مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلُس، وتحتَه صاحب الخيل زِيَاد بن أَفْلَح، وتلاههم أصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والخزّان والعُرَاض وسائر طبقات أهل الخدمة على منازلهم. وشهد قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إِسْحاق بن السَّليم^(١)، والحكام وأصحاب الشرطة الصغرى والردّ وأسباط الخلافة وجَلّة قریش وخاصتهم ووجوه الموالى أهل البيوتات، ثم الموالى العبيديون، ثم قضاة الكور والفقهاء المشاورون والعدول وبياض رجال قُرُطْبَة، توصل جميعهم فوجاً بعد فوج وتقدّموا للسلام أولاً أولاً، ثم تلاهم بياض الجند على طبقاتهم، والمتنقون من طبقات العبيد، وقضى جميعهم أوطارهم من رؤية خليفتهم.

وكان الأمر قد نفذ إلى عبد الرّخْمَن بن مُحَمَّد بن هَاشِم التُّجيبى بالنزول حيث ينزل أصحاب الشرطة والعهود... بينهم من سيوف الخاصة حسبما... بالقيام مع الحجاب عن ذات اليسار تحت... وأنذر أيضاً أخوه هَاشِم بن مُحَمَّد... وأخيه عبد الرّخْمَن بن مُحَمَّد بن هَاشِم التُّجيبين، وحدّ لهما النزول بحيث ينزل العراض، والتقدم... بتقدمهم، ففعلاً ذلك، وقُلداً أيضاً سيفين من سيوف الخاصة تشريفاً لهما، واستبان أهل المجلس تمام حسن الرأي فيهم والرضى عنهم...

وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي^(٢) فيما ترتجل من خطبها، وتنشد من أشعارها فتكثر وتجيد. وكان أول من قام فيه من الشعراء منشداً بين يديه كبيرهم طاهر بن مُحَمَّد البغدادي، المعروف بالمهند^(٣)، شعر له طويل منه: [من الكامل]

لَوْلَا الإِمَامُ الْمُزْتَضَى وَسَلِيلُهُ مَا سَاغَ تَلْفِيقُ الْقَرِيضِ لِمَقُولِ^(٤)
مَلِكٌ رَأَى اللَّهَ أَفْضَلَ خَلْقِهِ فَحَبَاهُ مِنْ رُتَبِ الْعُلَا بِالْأَفْضَلِ^(٥)

(١) هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن السليم: قاضي الجماعة بقرطبة، فقيه، عدل، مشهور، له عند أهل بلده جلالة مذكورة ومنزلة في العلم والفضل معروفة. توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م. (بغية الملتبس، الضبي: ٥٩).

(٢) يقال: ناغى الصَّبِيُّ: لاطفه بالمحادثة والملاعبة، ومنه يقال: كاد الموج يناغي السحاب، أي: اشتد ارتفاعه.

(٣) هو طاهر بن محمد المعروف بـ «المهند البغدادي»: أديب، شاعر، من أولاد الخطيب البغدادي، صاحب كتاب «تاريخ بغداد». لم يذكر الذين ترجموا له تاريخ وفاته. (بغية الملتبس، الضبي: ٣٢٦؛ جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٣٧).

(٤) السَّيْلُ: الولد حين يخرج من بطن أمه. لَفَّقَ الكلام تلفيقاً: زخرفه ومَوَّهَهُ. القريض: الشعر.

(٥) حَبَاهُ: اخْتَصَّهُ.

والحملان على منازلهم... في الانطلاق لسبيلهم فاستقلوا من قُرْبَةِ منصرفين للنصف من شَوَّال المؤرخ.

ذِكْرُ خبر فراق جَعْفَر بن عليّ المعروف بابن الأندلسي^(١) عامل المَسِيلَة^(٢) وما يليها من بلد المغرب لإمامة مَعَدّ بن إسماعيل الشيعي صاحب إفريقية. [وتقريبه] إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس وانضمامه في طريق فراره عنه إلى المخالفين له من برابر زنّاة المُنْحَاشِينَ^(٣) قديماً إلى دعوة الحكم الجماعية، وتآلب جماعتهم على زيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجِي عامل مَعَدّ على بلاد المغرب المُشَاق^(٤) لَجَعْفَر، ومقتلهم لزيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجِي عند انقضاؤه عليهم صَافِداً لهم عن طريقهم مُتَقَرِّبِينَ بقتله إلى الحكم؛ وَسَبَقَ جَعْفَر وَيَحْيَى أَخِيهِ وَذَوِيهِمَا بِالْعَبُورِ إِلَى أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ مُهْدِيَيْنِ رَأْسَ زيري، خَالِعِينَ لِلدَّعْوَةِ الشَّيعِيَّةِ، مُتَقَلِّدِينَ لِلدَّعْوَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ، وما جرى لهما لدى الْحَكَم من قبول ورفعة.

ذكر مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عبد الله الْوَرَّاق^(٥) الحافظ لأخبار المغرب أن جعفرأ وأخاه هذين الهاربين إلى وطن جدهما بالأندلس هما ابنا عليّ بن حَمْدُون بن سَمْلَك بن سَعِيد بن إبراهيم... بن أحمد بن عبد الحميد الجُدَامِي؛ وعبد الحميد هذا... [كان الداخل] إلى بلاد الأندلس من الشام وأرضه... وكان نزوله من الأندلس بكورة إلبيرة^(٦) بقرية... من قرى قلعة يَخْصُب. ثم تنقل [حفيدة] حمدون جدهما... [إلى بجاية^(٧)] فنزل بوادٍ بها بقرية تُعْرَف بِـ «قسطلنانة»، فاستقر بها ونُسَله. وخرج عليّ وجده إلى المشرق يبتغي الحج وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين،

(١) هو أبو علي، جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي: أمير الزاب (من أعمال إفريقية). توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م. (الأعلام، الزركلي: ١٢٥/٢).

(٢) المَسِيلَة: مدينة بالمغرب تُسَمَّى الْمُحَمَّدِيَّة، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة ٣١٥هـ، وهو يومئذٍ وليّ عهد أبيه. (معجم البلدان، الحموي: ١٣٠/٥).

(٣) انحاش عنه ومنه: ابتعد، ومنه: احتوش القوم الشيء، وعليه: أحاطوا به وجعلوه وسطهم.

(٤) المُشَاق: المُخَالَف، المعادي.

(٥) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف الْوَرَّاق: مؤرخ أندلسي. أصله من وادي الحجارة، ونشأ في القيروان، وتوفي بقرطبة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ١٠١؛ بغية الملتبس، الضبي: ١٤١).

(٦) إلبيرة: مدينة كبيرة متصلة بكورة قَبْرَة، بين القبلة والشرق من قرطبة، وبينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار. (معجم البلدان، الحموي: ٢٤٤/١).

(٧) بَجَايَة: مدينة على ساحل البحر بالمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلقين الصنهاجي سنة ٤٥٧هـ. (معجم البلدان، الحموي: ٣٣٩/١).

وهو ابن ثمانين عشرة سنة. فوقع ببلد «كتامة» وتزوج بها، وصحب أبا عبد الله الداعي الظاهر هناك بالدعوة، فاستهواه وغلب على قلبه ودخل في مذهبه، وكان اسمه الذي سمّاه به أبوه حمدون: ثعلبة؛ فسمّاه أبو عبد الله الداعي عليّاً، فاستمرّ به، وتقدم في صحابته إلى أن ظهر أبو عبد الله الداعي على ابن الأغلب وملك إفريقية وصيرها إلى إمامة عبيد الله الشيعي. فنفق عليّ عند عبيد الله بذلك، كان فيه، وأرسل به إلى المشرق في بعض ما ترسل الملوك فيه، فأحكم له شأنه، وقدم فازداد حظوة لديه، وضمّه إلى أبي القاسم وليّ عهده. فتصدّى لخدمته فازداد حظوة لديه ولطفت منزلته، وخرج معه إلى أرض المغرب سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فجزّب يومئذ أدبه. واخترع بنيان مدينة المَسِيلَة فألزم بنيانها عليّ بن حَمْدُون هذا، وولّاه عليها عند كمالها. فاستقرّ بها وأحسن عمارتها وأقام بها، وابنه جَعْفَرُ يومئذ مقيم بداره بالمهدية^(١) مع أمه ميمونة بنت علاهم الجيلي، قبيل من كتامة. فلما كان بنيان المَسِيلَة وتحصّنت بالسور، وجّه عبيد الله جعفرًا مع أمه إلى أبيه هناك، فجمع شمل عليّ فيها ولم يزحه عنها، وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة. فلما أن هلك عبيد الله وصار أبو القاسم مكانه، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة توجّه عليّ بن حَمْدُون إلى المهدية معزّيّاً لأبي القاسم عن أبيه ومُهَنَّا له بالولاية، واستخلف ابنه جَعْفَرًا بالمَسِيلَة فأقام عنده شهوراً، ثم انصرف إلى المَسِيلَة، ووالّى تعهد سلطانه مرّات، وابنه جَعْفَرُ يخلفه بالمَسِيلَة، وقد ظهر منه استقلال وضلّاعة^(٢)، ومهارة بخصال من الأدب وبراعة، طار له بها في الناس حديث طارت إليه الأفئدة. وظهر آخر ذلك أبو زيد مَخْلَدُ بن كيداد التاكرني^(٣) ذو الشأو البعيد في الإنفاص^(٤) بالشيعه، فضليّ عليّ بن حَمْدُون من حروبه نهابير^(٥) مهولة، اتّفَقَ عليه أن تردّي في بعض تجواله فيها في بعض طرقة من جرف هار^(٦) عالٍ بعيد القعر، وسقط فرسه عليه فاندقت يداه ورجلاه، وهلك في مُترَدّاه^(٧)، وذلك في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وتولى جَعْفَرُ ابنه المَسِيلَة من بعده

(١) المهدية: مدينة بالمغرب، اختطها عبد المؤمن بن علي (المهدي) قرب سلا، وهي جزيرة متصلة بالبرّ كهشة كَفُ متصلة بِرَنْد. (معجم البلدان، الحموي: ٢٢٩/٥).

(٢) الضلّاعة: القوة والثدّة، يقال: ضلّع ضلّاعة: قوي واشتدت أضلاعه.

(٣) عالم مشهور من زناتة. خرج على الدعوة الفاطمية في شمال إفريقية سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، وكانت له مع الفاطميين وأنصارهم حروب كثيرة. (البيان المغرب، ابن عذاري: ٢١٦/١).

(٤) الإنفاص: التكدير.

(٥) النهابير: جمع الثّهيرة: ما ارتفع من الأرض، أو جبل من رملٍ صعب المُرتقى، والمراد هنا: الأمور الصعبة الشاقة.

(٦) الجُرف: شقّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله. وجُرف هار: مُنهدم، مُنهار.

(٧) المُترَدّي: موضع السقوط.

رئاسة، فلم يزل متولياً لها مقيماً فيها رفيع المنزلة عند سلطانه شديد النصب ليزيري بن مَنَاد الصُّنْهَاجِي مُجاوره ببلد المغرب ومناوئه إلى أن قُتل زيري بن مناد المذكور، عامل مَعَدَّ بن إسماعيل صاحب إفريقية على عمل المغرب مُحَمَّد بن الخير بن خزر أمير زناتة^(١) القائم بدعوة بني أمية ملوك الأندلس عدوه، وأخذ له فرساً من عتاق الخيل كان إمامه مَعَدُّ بن إسماعيل صاحب إفريقية قد حَمَلَ عليه جَعْفَر بن عليّ، فأهداه جَعْفَر إلى مُحَمَّد بن الخير، فأرسل به زيري إلى مَعَدَّ، وبعث إليه بكتب أصابها في بيت ابن خزر بخط جَعْفَر بن عليّ يكتب بها زناتة، ويطلعهم على عورات زيري، ويحذرهم منه متى اطلع أنه يُريدهم، فبلغ ذلك من مَعَدَّ أشد مبلغ، وتكلم في جَعْفَر أسوأ الكلام وتهدهه بالقتل، فكتب بعض عيون المقدمين عنده مُغْلِماً له بذلك. وكتب مَعَدَّ إلى جَعْفَر يعزله عن المَسيلة، ويأمره بالقُفُول^(٢) إليه بجميع أهله وولده وماله إلى حضرته. وكتب إليه في فصل من كتابه يُعزّيه عن مُحَمَّد بن الخير خليله متقراً^(٣) له، ويخبره عن الفرس التي ذكرنا صَرَف زيري إليه فقال له: «أعظم الله أجرك في خليلك فقد أجاد قتالنا على الفرس الذي كنا حملناك عليه وآثرناك به على أنفسنا». فعند ذلك أُسْقِطَ في يد جَعْفَر بن عليّ وأيقن بالموت لا محالة، فبادر بنفسه وخرج من المَسيلة مع أخيه يَحْيَى وجميع أهله وولده وعبيده وخاصته وجميع ما قوي على الاستقلال به من ماله ونشبه^(٤)، في عقب جمادى الآخرة سنة ستين وثلاثمائة، فصار عند بني خزر أمراء زناتة القائمين بدعوة الخليفة، فتضاfer جميعهم على مَعَدَّ الشيعي وصَرَحُوا بدعوة الخليفة المستنصر بالله، وأعلنوا بذكره، ورفعوا الأعلام بريحه، فشق جَعْفَر الصحراء معهم قاصدين ليزيري إلى أن صاروا إلى «ملوية» فالتقوا بيزيري بن مَنَاد وقد احتفل لهم فجرت بينهم حرب صعبة أصيب بها زيري بن مَنَاد وَخُلِقَ من رجاله، وذلك يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان من هذه السنة بالقرب من «ملوية». وكانت هذه الواقعة من أعظم الوقائع وأبعدها صيتاً وأشنعها ذكراً، احتوى الزناتيون بها على عسكر زيري وأثخنوا القتل في جموعه وأدركوا ثأرهم المنيم^(٥) منه.

ذكر أبو جَعْفَر بن الجزَّار^(٦) هذه الواقعة في تاريخه المعروف بـ «التعريف في

(١) زَنَاتَة: ناحية بِسَرُفُسطَة من جزيرة الأندلس. (معجم البلدان، الحموي: ١٥١/٣).

(٢) القُفُول: الرجوع، العَوْدَة.

(٣) قَرَعَ فلاناً: أوجعه باللوم والعتاب.

(٤) النَّشَبُ: المال أو العقار.

(٥) ثَأْرٌ مَنْيَمٌ: راقد، ساكن.

(٦) هو أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد: طبيب، مؤرِّخ، من أهل القيروان. توفي سنة

٣٦٩هـ/٩٨٠م. (الأعلام، الزركلي: ٨٥/١).

أخبار إفريقية» فقال: وفي يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ستين وثلاثمائة خرج جَعْفَرُ بن عليّ بن حَمْدُون الأندلسي من المَسِيْلَة وهي المدينة التي بالمغرب [تسمى] المحمدية، وكان أميراً عليها، وأبوه قبله، يريد... حضرة الإمام المعز لدين الله وقد استدعاه [إليه] فخرج في عسكره مستقلاً برجاله وعبيده وعدده وسلاحه وأمواله في طريق القَيْرَوَان، ولم يبعد أن مال بذلك كله نحو الغرب فلحق بزنانته، وخلع الطاعة، وأظهر أن الذي حمّله على ذلك عداوته لزيّري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي مجاوره في عمل المغرب لتحامل زيّري عليه وأذاه له في عمله، وإيجافه^(١) على قبائل البربر الذين في عمل المَسِيْلَة، وذلك أن زيّري كان همّه وجِزْصِه ووَكْدَه^(٢) قطع آثار بَوادي البربر المفسدين في الأرض والقاطعين للسبل، فطلبهم بعمل جَعْفَر ويخفر ذمته لهم. فاتخذ ذلك جَعْفَر سبباً للغدر بسلطانه بعد تظاهر إحسانه عليه وعلى أبيه من قبله، فأفحش الغدر وركب الغرر في استنامته إلى الراتبين به من عُنَاة^(٣) زنانته. وسقط خبره على زيّري، فأراد أن يبادر إليه قبل أن يقوى أمره وهو على غاية الثقة بنفسه ومن معه بجمعهم، وابنه الأكبر يُوسُف بن زيّري الغالب على اسمه بُلُقَيْن فارس كتيبته ومُدبّر حربه يومئذٍ غائب بقاصية عمله، فزحف إلى جَعْفَر مبادراً المكان الذي عرف اجتماعه فيه ببني خزر ومن معهم من زنانته، وذلك في شهر رمضان من هذه السنة فرمى بنفسه عليهم فاقتتل فريقاهم قتالاً عظيماً واعتركوا. وأقبل زيّري وهو حام مغضب ليحرّك الرجال [ويذمر^(٤)] الأبطال على الأقدام وتوسط المَاقُط^(٥) بِفَضْل ما فيه من الشجاعة والجرأة، فكبا به فرسه وألقاه إلى الأرض، فأكبّ عليه حُمَاةُ رجاله طمعاً في تخليصه فلم يذنبهم الزناتيون من ذلك، واشتد القتال بين الفريقين، فمات عليه خلق كثير من أصحابه وأعدائه إلى أن أفرج رجاله عنه. واستمر انهزامهم، فاحتزّ الزناتيون رأس زيّري وأرسلوا به إلى الأندلس، إلى سلطانها، الحكم بن عبد الرّخْمَن. واعصُوصَ^(٦) الزناتيون لَجَعْفَر بن عليّ وقد أظهر المقام معهم، وأنفذ أخاه يَحْيَى بن عليّ (وقد أظهر المقام) مع رجال منهم، نحو الحكم إلى الأندلس، مزدلفين^(٧) بصنعهم داعين إلى تقريبهم؛ وقد لحقت جَعْفَر بن عليّ في مقامه لديهم

(١) الإيجاف: الحث أو الحَض، أو تحريك الشَّر.

(٢) الوُكْد: الهم والقُصْد.

(٣) العُنَاة: جمع العاتي: الجبّار، المتكبر.

(٤) دَمَر فلاناً على الأمر: حَضّه لِيَجْد فيه.

(٥) المَاقُط: المضيق في الحرب.

(٦) اغصُوصَ القوم: تجمعوا وصاروا عصباً واحدة.

(٧) اذْدَلَف الرجل، وتَزَلَف: تَقَرَّب وتَقَدَّم.

مخافة من مكرهم وشرهم، فأعمل الحيلة في باطنه حتى انحصار^(١) إلى الأندلس، فعبر البحر في مركب اتخذته عدة لنفسه فتم له ذلك ووصل الأندلس، فقبله سلطانها الحكم، وأفضل عليه، فاستقر عنده، وجرت له خطوب [من] محبوب ومكروه لديه.

وذكر أبو جعفر هذا، في كتابه أن الذي جرى قتل محمد بن الخير بن خزر أمير زنادة على يديه في أول سنة ستين هذه التي اغتري زيري بن مناد عدوه برأيه فيها، كان يوسف بن زيري لا زيري بنفسه.

[وذكر غير] الرازي فقال واختصر: وفي يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ستين وثلاثمائة التقى يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي المشتهر اسمه بلقين^(٢) مع محمد بن الخير بن محمد بن خزر أمير زنادة، فهزمه بلقين وأخذ في رجاله، وقتل جماعة من أهل قرابته. فلما أيقن محمد أنه قد أحيط به اتكأ على سيفه فذبح نفسه به أنفة من أن يملكه بلقين، فأتى بأمر عظيم طار ذكره في أرض المغرب.

رجع الحديث إلى كلام الرازي بقصة جعفر الأندلسي:

قال عيسى بن أحمد^(٣): ولما أن تم لأمر بني خزر ومن معهم من برابر زنادة ومستجيشهم^(٤) جعفر بن علي من الفتح في عدوهم زيري بن مناد ما تجاوز أمنيته، بادر جعفر بإرسال كاتبه علي البغدادي إلى الأندلس بكتابه إلى الخليفة ملقياً بنفسه إليه معتصماً بدعوته، راغباً في تقبل فيئته^(٥)، وإنزاله منزلة من اعترف لحقه واهتدى بهديه. فوافى كتابه ذلك إلى باب الخليفة الحكم [مع] أول رسله في الوقت الذي تقدم ذكره، فكرم مورده وأهيب بمرسله، ثم أتبعه جعفر بن علي خلفه إلى الأندلس في رهط من سراة^(٦) بني خزر تعجلوا بحمل رأس زيري بن مناد ورؤوس أعلام أصحابه إلى الخليفة الحكم، ولزم أمراء بني خزر مكانهم في وجه يوسف بن زيري الشائر بأبيه مريئين^(٧) في مباداته، مطالعين لرأي الخليفة الحكم في ذلك، مستدعين تقويتهم عليه

(١) انحصار فلان: عدل وحاذ، وانحصار القوم في الحرب: جالوا جولة يطلبون الفرار والهرب.

(٢) هو أبو الفتح، سيف الدولة، بلقين (بلقين) بن زيري بن مناد الصنهاجي، المسمى «يوسف»: مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس. توفي سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م. (الأعلام، الزركلي: ٧٤/٢).

(٣) هو عيسى بن أحمد بن محمد الرازي: مؤرخ، من أهل الأندلس. توفي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م. من آثاره: «أخبار ملوك الأندلس». (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٨٧/٣).

(٤) استجاش القوم: طلب منهم جيشاً، أو جمعهم للقتال.

(٥) الفينة: الرجعة.

(٦) سراة القوم: ساداتهم.

(٧) تريت فلان: أبطأ.

[مترقبين] لما يراجعهم به، داعين إلى عقد بيعتهم إياه بين يديه.

فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلون من شوال منها ورد الخبر من الساحل القبلي بحلول يحيى بن علي المعروف بابن الأندلسي بمَرْسَى محملة من عمل بَجَانة، وبحلول رجال بني خزر القادمين بِمَرْسَى المَرِيَّة، وأن احتلالهم بهذين المَرْسَين كان يوم الاثنين لخمس خلون من شوال منها، وأن رؤساء الواصلين إلى المَرِيَّة من بني خزر: عبدون بن الخير بن مُحَمَّد بن خزر، ومَسْعُود بن عَطِيَّة بن عبد الله بن خزر، ومُقاتل بن أبي خَزْرُون بن أبي العزيز خزر.

فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال المؤرخ خرج علي البغدادي كاتب جَعْفَر بن علي، فارط القوم إلى الأندلس، يريد بَجَانة لتلقي يَحْيَى بن علي وبني خزر مبشراً لهم ومتقدماً بهم إلى ما ولي [من] القبول لهم والسؤال فيهم. فلما كان يوم السبت لست بقين منه خرج ناجيت بن مُحَمَّد، وأحمد بن عبد الملك صاحب المخزول إلى بَجَانة لتلقي يَحْيَى بن علي ومن معه من أهله ومن بني خزر الوافدين معه، ومعهما ثمانية وستون فرساً لركوبهم، على بعضها اللُجُم المفرغة والسروج المعركة^(١)، ومن البغال الزوامل^(٢) لتحمل أثقالهم مائة وخمسون بغلاً، ومن الأبنية لاكتنانهم^(٣) أربعة... من آدم من خمسين بنية^(٤) بجميع فرشها وآلاتها، وثلاث [قباب] من كتان وأربعة وأربعون خباء من كتان من أخبية العبيد، وعشرون خباء من ضَرْب من أخبية الطنجيين. وخرج معهما جملة من وكلاء دار الخيل وفرسان الرياضة، وعدد كبير من... والخمسين والجند، وأوقار^(٥) من ضروب الوطاء^(٦) والغطاء والأبنية المُستعملة بذلك لخدمتهم واكتمال تكريمهم.

وفي يوم الاثنين لثلاث خلون من ذي القعدة منها خُوطب القواد والعمال بكور الأندلس المجندة في استقدام بياضها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يَحْيَى بن علي وبني خزر القادمين برأس زيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي قائد معدّ، صاحب إفريقية، ورؤوس أعيان أصحابه التي حِيَزَتْ^(٧) في الوقعة بزيري المتقدم ذكرها.

(١) المَعْرَقَةُ: الكرمة.

(٢) الزوامل: جمع الزامل: من الدواب: الذي كأنه يطلع في مشيه من النشاط.

(٣) اكْتَنَى فلان: اسْتَتَرَ.

(٤) البنية: الزَيْق يُخاط في جيب القميص، تثبت فيه الأزرار. أو القماش بكامل عرضه.

(٥) الأوقار: الأثقال، الأحمال.

(٦) الوطاء: المهاد الوطيء.

(٧) حِيَزَتْ: امْتَلِكَتْ، ولعل المراد: حُزَّت.

فلما أن كان يوم الأربعاء لخمس خلون منه احتل صاحب القوم جَعْفَر بن علي بِمَرْسَى بَزْلِيَّانَةَ^(١) من عمل كورة رَيَّةً مَغَافِصاً^(٢) باحتلاله، معه أهله وولده ووجوه رجاله المختصين به وثقة مواليه وعبيده مُمْلِصاً^(٣) عن برابر زناته، مستعجلاً إلى جوار الخلافة. وكان عند مفارقتها لإمامه مَعَدَّ وكشفه وجهه في خُلَعَانِه قد عزم على التلوم بالعدوة عندما أرسل أخاه يحيى وأكابر بني خزر إلى الأندلس لاستطلاع رأي الخليفة الحكم في النبذ إلى معد عَدُوِّهِ والتنظر لما يراجع به، ثم رأى بعد ذلك اللحاق بباب سُدَّة أمير المؤمنين، بأهله وولده، ليستقر حاله ويطمئن جأشه. وورد الخبر بنزوله بِالْمَرْسَى المذكور يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة، فظهر العمل في التأهب لوروده والاستعداد لتلقيه.

فلما أن كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها، خرج صاحب السكة والمواريث وقاضي إشبيلية مُحَمَّد بن أبي عامر^(٤) فتي الدولة لتلقي جَعْفَر بن علي ومعه أربعة من عتاق الخيل^(٥) وبغل أشهب منتقاة من دواب الركاب بسروج الخلافة ولجمها هبة لجعفر، وخمسون فرساً من جياذ خيل الجند بسروجها ولجمها حملاناً لفرسانه، ومائتا زاملة لاحتمال أثقاله، ومن المظال الجليلة والأبنية الفسيحة وما دونها من القباب المتوسطة والأخبية كالأعداد المخرجة إلى أخيه يحيى ومن معه من بني خزر المتقدم ذكرها. وأخرج معه عدة أحمال من الوطاء النفيس والغطاء السري وأنواع الأبنية والأمتعة وما شاكل ذلك، إبلاغاً في تكريمه وتكريم أهله وأصحابه. وخرجت في يوم الخميس الثالث من خروج ابن أبي عامر بإثره عدة من البغال الظهيرة الوثاق المنسوبة إلى الوطاء^(٦) محملة عذتها من العماريات^(٧) والهوادج المتقنات الصناعات، الفاخرة الأجلال والكسوات، لصيانة عيال جعفر فيهن، في

(١) بَزْلِيَّانَةَ: قرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين مَالَقَة ثمانية أميال، وَيُنَسَّبُ إليها عدد من العلماء الأفاضل. (معجم البلدان، الحموي: ٤١٠/١).

(٢) غَافِصَة مُغَافِصَة، وَغِغَافِصاً: فاجأه وأخذه على غِرَّةٍ فركبه بِمَسَاءَةٍ.

(٣) تَمْلِصٌ من الشيء، أو من فلان: تَخَلَّص منه، وَمِلِصٌ الرجل: وَلَّى هارباً.

(٤) هو أبو عامر، محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر المعافري القحطاني، المعروف بالمنصور بن أبي عامر: أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي، وأحد الشجعان الدهاء. أصله من الجزيرة الخضراء، وقدم قرطبة شاباً، فعظمت مكانته، وتولَّى أموراً كثيرة. وكانت وفاته سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م. (الأعلام، الزركلي: ٢٢٦/٦).

(٥) عِتَاقُ الخيل: كِرَامُهَا.

(٦) أي هي مُذَلَّلَة سهلة لينة فيها وَطَاءَةٌ.

(٧) العماريات: جمع العمارية: ضَرَبٌ من الهوادج.

طريقه إلى الحضرة. فورد الخبر بأن ابن أبي عامر رسول الخليفة إلى جعفر احتل عليه يوم الأحد لأربع عشرة خلت من ذي القعدة بالمرسى الذي خرج فيه جَعْفَرُ بشرقي قرية بَزْلِيَّانَةَ من عمل مَالَقَةَ^(١)، وعلى أربعة أميال منها، فاجتمع به مُرَحَّباً وَمُبَشَّراً، وأسلم إليه جميع ما أرسله إليه الخليفة من الهدايا المتقدم ذكرها، ووجد عنده بسيلاً (و) عبد الحميد بن بسيل غَامِلِي كورة رِيَّة قد لزمه مقيمين لما يحتاج إليه، فكسر^(٢) جميعهم بمحلتهم تلك يوم الاثنين والثلاثاء بعده لاثنين عشرة ليلة بقيت منه، إلا أن جعفرأ قدم في يوم الثلاثاء المذكور، بعد ثَقْلِهِ وابنيه، إلى مدينة مَالَقَةَ، ثم خرج به وبأصحابه صاحب السكة مُحَمَّد بن أبي عامر الرسول فيه سائراً يوم الأربعاء بعده لإحدى عشرة بقيت منه، متنقلاً في المراحل رافعاً بالعيال إلى أن احتل يوم الجمعة لسبع بقين منه قرية أقوه ماره، فوصل إلى مُحَمَّد بن أبي عامر فيها غلاماً للخليفة الحكم معه ستة أفراس من عَرَابِ الخيل بِسُرج الخلافة وَلُجْمها أجراها هدية لِيَجْعَفَر بن عليّ يستجل أبدالها لحملانه. فأوصلها إليه، فاشتد بها سروره وسما ثناؤه. ورحلوا يوم السبت بعده يؤمون مدينة قَبْرَةَ فوافاهم لها صاحب المخزول ناجيت بن مُحَمَّد، وأحمد بن عبد الملك الموجهان في إيراد يَحْيَى بن عليّ وبني خزر، فالتقت جماعتهم نهارهم ذلك بمحلة مطليانة بمقربة من مدينة قَبْرَةَ. وعندما اقترب يَحْيَى من أخيه جَعْفَر ترجل إليه ودنا منه مُسَلِّماً عليه، فأمره جَعْفَر بالركوب، وباتوا ليلتهم بمحلة مطليانة بمقربة من مدينة قَبْرَةَ، ثم انتقلوا يوم الأحد فاحتلوا قرية أطانة من عمل قُرْطُبَةَ، ويوم الاثنين بعده لِسْتُ بقين من ذي القعدة نزلوا فحصى^(٣) السرادق طرف شرقي قُرْطُبَةَ، فَعُدل بَعِيَالِ الرئيسين جَعْفَر ويحيى إلى المنية بالشمامات بشط النهر الأعظم المنسوبة إلى الأخ أبي الحكم بن القرشية، المُسَوَّرات في العمارات على ما عهد به الخليفة، إكراماً لِيَجْعَفَر وَيَحْيَى وإبلاغاً بِسِتْرِ أَهْلِي الرجلين وصيانتهم. ونفذ عهده إلى الخصيان أصحاب الرسائل والمقدمين: أن إذا جَنَّ الليل^(٤) أن تنهضوا بهن إلى مدينة قُرْطُبَةَ مع جماعات الرجال في خفية، فتردّوا عيال جعفر إلى الدار التي أمر بها وهي المنسوبة إلى يُوْسُف بن سُليمان المعروف بابن

(١) مَالَقَةَ: مدينة عامرة من أعمال رِيَّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمَرِيَّة. (معجم البلدان، الحموي: ٤٣/٥).

(٢) كَسَرَ (هنا): بمعنى أقام وتلّث.

(٣) الفَحْصُ: كل موضع يُسْكَن، سهلاً كان أو جبلاً، بِشَرَط أن يُزْرَع، فهو عند أهل الأندلس «فحص»، ثم صار علماً على مواضع عدّة في تلك البلاد. (معجم البلدان، الحموي: ٤/٢٣٦).

(٤) جَنَّ الليل: أظلم، فَسَرَ الكائنات.

البياني، وتردُّوا عيال يَخَيِّ أخيه إلى الدار المنسوبة إلى قاسم بن يَعِيش الحديثة الشراء من ورثته.

ذكر صفة ترتيب البروز المُعَدَّ لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما قُرْطُبَة حتى وصلا مجلس الخلافة

وأمر الخليفة، المستنصر بالله، غداة يوم الثلاثاء، لخمس بقين من ذي القعدة، قائده أحمد بن سَعْد الجَعْفَرِي صاحب الشرطة العليا بالنهوض فيمن ركب معه من طبقات الجند والوفود والحرس في التعبئة بالعدة الكاملة إلى مكان اضطراب جَعْفَر وَيَخَيِّ ومن معهما من بني خزر بمحلة فحص السرادق وإدخالهم قُرْطُبَة والتقدم بهم عنها إلى المنية المنسوبة إلى ابن عبد العزيز يُعَرِّفهم بتبؤهم^(١) إياها حتى يتهيأ وصولهم إليها، فأحكم ابن سَعْد العمل في ذلك لما توافقت إليه مقانب الأجناد المشتركين معه، واستوى له ترتيبهم، فاندفع بهم من قصر الزهراء، وقد غصَّ بهم الفضاء، فانتهوا إلى باب مَظَلُّ الرئيسين جعفر وَيَخَيِّ ابني علي وقد رُفِعَ إزاءه رأس زيري بن مَنَاد في قناة عالية وحفَّه برؤوس أصحابه الغُلاة المُحَلِّين لأهل السنة في حراب سامية، تُوفي عدَّتْها مائة رأس، فتناولها فرسانُ الخزس المأمورون لحملها عندما عهد أحمد بن سَعْد إلى جَعْفَر ومن معه بالركوب، فركب جميعهم وحفَّهم^(٢) أصحاب السلطان المرسلون، بينهم صاحب السكة القاضي مُحَمَّد بن أبي غَامِر، وصاحب المخزول ناجيت بن مُحَمَّد، وأحمد بن عبد الملك، وبَسِيل وعبد الحميد ابنا أحمد بن عبد الحميد بن بسيل قائد كورة رَيَّة، فردت العساكر على أعقابها وقلبت على نحو ترتيبها في مجيئها، فتقدمتها الرؤوس الملعونة مصطفةً متتابعةً يقدمها رأس مُوبِقها زيري بن مناد عالياً عليها وبإثرها الجيوش جيشاً بعد جيش ومقنب^(٣) إثر مقنب، يتلوها موكب جَعْفَر وَيَخَيِّ ومن معهما من بني خزر. وقد كرم القائد أحمد بن سَعْد جماعتهم في مواكبته لهم أبلغ تكرمة زاد فيها زعيمهم جَعْفَر بن علي بسطةً على ما أمر به، فسار بردف تلك الجيوش والمواكب أمثالها من صناديد^(٤) أهل قُرْطُبَة ومن انضمَّ إليهم من المستدعين للمشهد من بياض أهل الكور وأجنادهم ووفود

(١) تَبَوُّا المكان، وبه: نزله وأقام به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩].

(٢) حَفَّهم: أحاط بهم.

(٣) المِقْنَبُ: الجماعة من الفرسان أو الخيل دون المائة، تجتمع للغارة.

(٤) الصناديد: جمع الصنديد: الشريف، الشجاع، الشديد.

أهل النواحي وَمُزَعَّجِيهِمْ^(١) قد تعبوا سِمَاطِينَ^(٢) من المحلة إلى باب منية ابن عبد العزيز.

ولما انتهوا إلى باب السدة من قصر قُرْطُبة استقبلهم هناك من تعبئة المحارس والعرفاء المُدْرَعِينَ ورجالة الأرباض بِقُرْطُبة الشاكين^(٣) في الأسلحة أعداداً مُتْرَاضُونَ قد ضاقت بهم الأفنية، وشرقت^(٤) بهم السُّرُوج والأفضية^(٥). وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرطة فوق فراش المدينة على باب السدة من أبواب قصر الخلافة صاحب الشرطة العليا القائد بِلَنْسِيَّة وَطَرْطُوشة هِشَام بن مُحَمَّد بن عُثْمَان خليفته لِعَمِّهِ الوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عُثْمَان، وفي المشبك على باب الجنان منها مُحَمَّد بن الوزير جَعْفَر بن عُثْمَان، يُرْتَبَان ما يلزمهما ترتيبه، فمشى القوم حال استنهاضهم^(٦)، قد طاشت^(٧) أفئدتهم حتى أفضوا إلى المَصَارَةِ^(٨)، وَعِيَجَ^(٩) بهم إلى العقبة التي عليها مسجد الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة إلى رَبَضِ مسجد الشفاء، إلى رَبَضِ حمام اللبدي إلى أن أصحروا^(١٠) إلى المنية المذكورة فأمروا بدخولها والنزول فيها إلى أن يستدعيهم الخليفة، وقد بُسِطَ لهم أنواع البسط البديعة، وَنُصِدَتْ^(١١) بأجناس الأرائك الرفيعة، فظلوا فاكهين بأرغد نعمة. واضطرب الأعزّة المرسلون فيهم مُحَمَّد بن أبي عامر وأصحابه مُصَحَّرِينَ في أبنيتهم عند فحص باب منية لا يريمون^(١٢) مكانهم، والرؤوس منصوبة عند باب المنية حذاءهم، وقد تقدم قائد الجيش يومئذ أحمد بن سَعْد الجَعْفَرِي والجيش بين يديه إلى باب قصر الزهراء، فتوصل إلى الخليفة مولاه عَشِيَّ النهار، فأعلمه بكنهه^(١٣) الحال، ووصف له حركات النهار، فأحمد له نظره وارتضاه، وكفَّ عن استدعاء القوم.

(١) الْمُزَعَّجُونَ: من زَعَجَهُ رُغْجاً: أقلقَه، أو قلعه من مكانه، أو خُتَّه على الحركة والعمل.

(٢) السِّمَاطُ: الصُّف.

(٣) الشاكون في الأسلحة: المُدَجَّجُونَ بها.

(٤) شَرِقَ الموضع بأهله: امتلأ فضاء.

(٥) الأفضية: جمع الفضاء: ما اتَّسع من الأرض، أو الخالي منها.

(٦) استنهض فلاناً إلى الأمر استنهاضاً: دعاه إلى سرعة القيام به.

(٧) طاش طَيْشاً وَطَيْشَاناً: اضطرب وانحرف.

(٨) المَصَارَةُ: الموضع تُمَصَّرُ فيه الخيل: تُدْرَب لإبراز قدرتها على الجري.

(٩) عِيَجَ بهم: مِيلَ وَعَدِلَ.

(١٠) أَصْحَرَ القوم: برزوا في الصحراء، أو ظهرُوا فيها.

(١١) نُصِدَتْ: رُتِبَتْ وَنُصِّتَتْ.

(١٢) لا يريمون مكانهم: لا يتركونه، لا يبرحونه.

(١٣) كُنْهُ الشيء: حقيقته.

وكان قد أنفذ عهده إلى الوزير صاحب المدينة بِقَرْطُبَةِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ بجمع رَجَالِ قَرْطُبَةِ من أحداثها وفتيانها المحسنين لحمل السلاح واكتتاب أسمائهم على تطبيقهم في أرباضهم وإعطائهم التراس والحراش من خزائن السلاح ليشاهدوا يوم الموكب إلى الزهراء، فأنفذ الجمع لهم ونظر في ذلك واستوسع في عدد من استنفر منهم.

وعهد الخليفة أيضاً إلى الناظرين في الحشم مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ طُمْلَسِ الوزير، وَزِيَادُ بْنُ أَفْلَحِ صاحب الخيل بترتيب الكتائب وتعبئة المقاتب ونظم العساكر لاستدعاء جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ ومن معه، إليه، والاحتفال فيما يقيمانه من ذلك، فشرعا في ذلك ومن يخدمهما فيه من طبقات الكُتَّاب من مبتدأ ليلة الخميس، قد أذكيا^(١) له المصاييح والشمع بأيدي خدمتهم، حتى قضيا منه جزءاً كبيراً في ظلام ليلتهما، واتصل نظرها فيه من صباح يوم الخميس بأحد عمل وأوحاه مقتسماً على من حقهما من طبقات أهل الخدمة الكفلاء به. فلما استتب على أفضل وجوهه وانتظم على أثقف تناسقه^(٢) نفذ العهد إلى صاحب الشرطة العليا القائد بِلَنْسِيَّةِ وَطَرْطُوشَةَ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بالمسير من قصر الزهراء في الجيوش المعبأة لاجتلاب جَعْفَرِ وَيَحْيَى ابني عليٍّ ومن معهما من بني خزر من مكان محلته بمنية ابن عبد العزيز إلى الزهراء للقاء الخليفة. فخرج لوجه ذلك في رواء^(٣) جميل وترتيب جليل يقدمه ضروب الأعمال الفخام، وصنوف الرايات الجسام، وبينهن الشطرنج الشامي، كرامة شرفه بها الإمام، فمضى في عَسْكَرٍ جميل جحفل من أكابر الخمسين بدون الخيل والعبيد بالزهراء، وبين متكفرين^(٤) في الدروع السابغة والبيضات^(٥) اللامعات، يتدافع بهم مراح العِزَابِ^(٦) الصاهلة.

فلما وصل هِشَامُ إلى محلته بالمنية المذكورة آذنهم بالركوب، وقد كانوا له على أهبة، فابتدروا الخروج في جماعتهم وصار معهم الرسل النافذون فيهم: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، وناجيت بن مُحَمَّدٍ، وأحمد بن عبد الملك، وابنا بسيل، قد صُفَّتِ الرؤوس المحمولة صدر الموكب يقدمها رأس زيري بن مَنَادٍ في قناته السامية، يتلوها موكب جَعْفَرِ وَيَحْيَى وبني خزر ومن لَفَّ لِقَهم من رجالهم، فساروا من باب

(١) أذكى المصباح: أشعله.

(٢) على أثقف تناسقه: على أقوم ترتيبه.

(٣) الرِّوَاءُ: المنظر الحسن.

(٤) مُتَكَفِّرُونَ: مُسْتَبْرُونَ.

(٥) البيضات: جمع البَيْضَةِ: الخُوذة.

(٦) العِزَابُ: الخيول العربية الأصيلة، خلاف البراذين. وخيل مراح: نشيطة.

المنية بين صفّين مُضطَفَّين من رَجَّالة الأرباض بِقُرْطَبَةِ المسلّحين من عند السلطان، انتهت عدتهم في التحصيل ستة عشر ألف راجل عمّ جميعهم بالتراس والرماح، ثم انتقلوا بين مراتب الفرسان المدرّعين الذين كلّف أهل الخدمة وصقالبه القصر إركابهم من عندهم في الأسلحة الشاكة. وكانوا عدة وافرة، ثم تقدموا بين صفوف فرسان الطنجيين المدرّعين، ثم نهضوا بين ترتيب فرسان الخمسين وعبيد الدرق والعبيد الرماة، وعلى جميعهم الدروع السابغة والبيض اللامعة، ثم اشتقوا بين صفّي فرسان العبيد الرماة الخاصة، لابسى الأقبية البيض، متقلّنين المقاريف^(١) الوبر، مُتَنَكِّبِي قِسِيَّهِمْ^(٢) وِكِنَانِهِم الزغرية^(٣)، ثم نفذوا بين الفرسان المدرّعين حاملي القنوات الناصلة^(٤)، وكانت عدتها مائة قناة، ثم صاروا بين سِمَاطِي الفرسان أصحاب الجواشن^(٥)، ثم أفضوا إلى صفّي الفرسان أصحاب التجافيف^(٦)، وكانت عدتها مائتي تجفاف، ثم انتقلوا إلى تعبئة أصحاب العدة الرائقة من البنود الغريبة الأنواع والصفات والتمائيل الرائعات: من الأسود الفاغرة^(٧)، والنمور الجائشة^(٨)، والعقبان الكاسرة^(٩)، والشعابين المضطربة، وكانت عدتها مائة صورة. ثم ولجوا بين صفّي الجنائب^(١٠) خيول أمير المؤمنين المُقَرَّبَةِ^(١١)، مكسوة بسروج الخلافة ولجمها المحرّقة والمعرّقة^(١٢)، وكانت عدتها مائة فرس. انتهى موقفها في هذا الترتيب إلى باب الصورة القبلي من أبواب مدينة الزهراء. ثم ولجوا باب المدينة بين صفّين مُرتَّبين من فرسان العبيد والعرفاء المدرّعين، ثم نهضوا بين صفّين من رَجَّالة المسدّدين،

(١) المقاريف: أي الأقاريف: جمع أقروف: لباس للرأس مخروطي الشكل.

(٢) تَنَكَّبَ قَوْسَهُ: ألقاه على منكبه.

(٣) الزُّغْرِيَّة: نسبة إلى زُغَر، وهي قرية بمشارف الشام.

(٤) الناصلة: الخارجة، يُقال: نَصَلَ من الشيء: خرج منه، يقال: نَصَلَ السيف من قِرَابِهِ، ونصلت الخيل من الغبار. وسهم ناصل: خرج منه نصله.

(٥) الجَوَاشُنُ: جمع الجوشن: الدرع.

(٦) التجافيف: جمع التجفاف: ما يلبسه المحارب كالدرع ونحوه، أو ما يُجَلَّلُ به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب.

(٧) الفاغرة: من فَغَرَ قَمَهُ فَغَرَأَ: فتحه.

(٨) الجائشة: من جاش الفرس ونحوه جَيْشاً، وَجَيْشَاناً: هاج وارتفع عند مسّه بالعقب. والجائشة: المتحركة أو المضطربة.

(٩) الكاسرة: من كَسَرَ الطائر جناحيه: ضَمَّهُمَا للوقوع على فريسته.

(١٠) الجنائب: جمع الجنيبة: الدابة تُقاد إلى جانب صاحبها.

(١١) المُقَرَّبَةِ: الفرس أو الناقة القريبة المُعَدَّة للركوب، أو الفرس تُكْرَمُ فَيُقَرَّبُ مَرْبُطُهَا وَمَعْلَفُهَا.

(١٢) المُعَرَّقَةُ: القليلة اللحم المهزولة.

والرماة المختلطين الرامين بنوعي القياس من الأحرار والعبيد، ومن ضُمَّ إليهم من أصحاب الصناعات، وقد لبسوا الثياب الملونة من الإفرند وغيره، على عواتقهم القيسي العربية. وكان صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح قد استوى على كرسيها قاعداً يرتب ما يلزمه ترتيبه إلى أن دخل القائد صاحب الشرطة هِشَام بن مُحَمَّد إلى القصر، ودخل بدخوله الرسل النافذون - كانوا - إلى جَعْفَر ومن معه لأول عبوره مُحَمَّد بن أَبِي غَامِر، وابن ناجيت، وابن عبد الملك، وابنا بسيل، ومعهم جَعْفَر وَيَحْيَى وبنو خزر. وكان في فصلان^(١) باب السُدة جزاً إلى دُويرات البرطلات^(٢): الدولتان^(٣) من البوابين والعبيدين والغلمان والوكلاء بدار الخيل وغيرهم من طبقاتهم قعوداً في المصاطب على اتصالهم في أحسن زيهم مُتَقَلِّدي السيوف الحالية، متقلنسين بالقلائس الموشية؛ وأفضوا إلى دار الجند وقد ترتب فيها رجالة الرماة لابسي أنواع الثياب الملونة، وعلى رؤوسهم المقاريف الدرية، وقد تنكبوا القيسي الكبار أشباه الحنايا، بأيديهم الطبرزينات والأجوزة والدماغات والأعمدة؛ فعندها تقدم صاحب الشرطة هِشَام بن مُحَمَّد إلى موضع نزوله في المجلس القبلي بدار الوزراء مع أصحابه، وتأخر مُحَمَّد بن أَبِي غَامِر وصحبه المتكنفون لِجَعْفَر وأخيه يَحْيَى وبنو خزر بجماعتهم عن مداه، فنزلوا عند باب السُدة، وصاروا إلى مجالس الجند مع أصحابهم، وقد استوى جلوس الخليفة المستنصر بالله على السرير بالمجلس القبلي الموفي على الرياض المنيفة على السطح العلي؛ [وكان] قد تقدم بإنذار الإخوة فمن دونهم من طبقات أهل المملكة بالحضور أحفل ما جرت به عادتهم، فأهبطوا^(٤) لدعوته وتوصلوا على مراتبهم إلى محلّه، فكان أول مأذونٍ له منهم الإخوة الثلاثة، قعد منهم أبو الأصبغ عبد العزيز شقيقه عن يمينه وتحتّه أبو المطرّف المغيرة أصغرهم وقعد عن يساره أبو القاسم الأصبغ، ثم توصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم بإثر الإخوة بعد فجوة. وقام الحُجّاب منهم عن ذات اليمين: جَعْفَر بن عُثْمَان وصاحب الحشم مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس، وولِي مُحَمَّد بن قَاسِم صاحب الخيل زِيَاد بن أفلح. ثم توصل أصحاب الشرطة العليا والوسطى فقاموا حُجّاباً على منازلهم عن ذات اليمين واليسار. ثم أذن لأصحاب المخزول والخُزّان والعُراض وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، ولَمَن أُنذِر من قريش والموالي والقضاة والفقهاء والعدول، فتوصل جميعهم ومثلوا قياماً على أقدامهم. وقام صَفّان من الكُتّاب والمقدمين والوصفاء

(١) الفصلان: جمع الفصيل: الرحبة عند مدخل البيت.

(٢) البرطلات: جمع البرطل: المدخل.

(٣) الدولتان: الجماعتان أو الفئتان.

(٤) أهبطوا: أقبلوا مُسرعين.

الأكابر ومَن دونهم من طبقات الخدم والخصيان من بين يدي آخر المجلس والمُعْتَرَض، في زِيَّهم الجميل، عليهم اللّامات^(١) السابغة والسيوف الحالية المرصعة بالجواهر الفاخرة، فكانوا من أبهى حلى المملكة. وانتظم بِصَفِّي أكابرهم في طول السطح العلوي مَن دونهم من الوصفاء وطبقات أهل الخدمة بالدار على سباطين، دارعين متقلدين بالسيوف الحالية وعلى رؤوسهم الطشنيات المُقَضَّضة المرقَّشة، متهيئين إلى المُعْتَرَض بين يدي مجلس الأمراء الغربي إلى باب الفضلان، واتصلوا صَفِّين على انتظام الفضلان إلى فصيل الكتاب الذي يشرع بابه إلى دار الوزراء. وانتظمت التعبئة بعدهم بدار الوزراء من رَجَالِ فرسان الرياضة ومن متخيَّري عبيد الحاجب جعفر الهالك، عصبة رائقة المرأى كاملة الشكة، على رؤوسهم البيضات المذهبة وبأيمانهم الحراب الواسعة العريضة على صنعة السيوف الإفرنجية الملونة العصي، المزينة بأنايب الفضة، انتهت تعبثتهم إلى الفصيل المعروف بفصيل أبي العرَّاض، وانتظم في مصاطب تلك الفضلان الطوال بياض الكور المُستَدْعون اليوم مترنين بأحسن الزينة اللائقة بهم.

ولما استقر جَعْفَر وَيَحْيَى ابنا عليّ وبنو خزر في البهو الأوسط من مجالس دار الجند، وتهذبت التعبئة، خرج الفتيان الكتّاب إليهم بالإذن في دخولهم، فتقدموا وتقدم بهم مُحَمَّد بن أبي عامر وأصحابه المُخَرَّجون أولاً للمجيء بهم، فنهضوا داخلين إلى أن صاروا في السطح العلوي، ثم استنهضوا إلى المجلس الذي قعد فيه الخليفة، فلما أنهضوا إلى بابه قَبَلُوا البساط مرة بعد أخرى، ثم تقدم بهم إلى السرير وناولهم الخليفة يده، فتقدمهم جَعْفَر بالتقديم والتسليم، ثم تلاه يَحْيَى أخوه، ثم قُدِّم بنو خزر الأسن فالأسن، فقضوا ما عليهم من ذلك، وأمرهم الخليفة بالقعود إكراماً لهم. وقُدِّم أصحابهم إثرهم الأسن فالأسن فقبَّلوا وسلَّموا، وشافه الخليفة جَعْفراً قبلهم فأوسع يسأله عما لديه وبسطه. وفعل ذلك بأخيه يَحْيَى وبنو خزر أصحابهما، ونطق بتقبل نزوعهم وتحقيق رجائهم واعتقاد مكافأتهم على محبتهم وصاغيتهم، ووعدهم بالإحسان إليهم والتشريف لهم. فأعلنوا الشكر واستهلوا بالدعاء وأكثروا من الثناء وحمدوا الله تعالى على ما منحهم إياه وألهمهم له من تجديد إسلامهم وتأكيدهم إيمانهم، في قصدهم حَرَم أمير المؤمنين وإسنادهم إلى عز سلطانهم ونبذهم لدعوة الضلال وشيعة الكفار واعتياضهم من ذلك بالسنة والجماعة، والعز والطاعة. وغرب جَعْفَر بن علي في غرابة الأدب مقامه ذلك عند مشافهة أمير المؤمنين له، إذ كان لا يرد الجواب إليه إلا بعد أن يستوي قائماً ويكلمه فيرد جوابه إلى أن انقضى المجلس

(١) اللّامات: جمع اللّامة: أداة الحرب كلّها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع.

فاستُبدِع ذلك من أدبه، وانطلقت الجماعة من المجلس عند انتهائه، فصاروا إلى مقعدهم الأول في مجالس الجند، ومُحمَّد بن أبي عامر وصحبه الموكلون بهم لا يفارقونهم إلى أن ركب بهم صاحب الشرطة العليا القائد هِشَام بن مُحمَّد بحضرتهم لمنصرفهم، فركبوا معه وسار بهم مُشيَّعاً لهم ومبلغاً إلى الوزراء الذين تقدم الأمر بإنزالهم فيها بِقَرْطَبَة. وكان ركوبهم من الموضع الذي نزلوا فيه عند الأبهاء^(١) بدار الجند، وابن أبي عامر وصحبه لا يزايلونهم^(٢)، فخرجوا من قصر الزهراء مع هِشَام بن مُحمَّد، والترتيب الذي جاؤوا فيه على هيئته، فبلغوا زعيمهم جَعْفَر بن علي إلى دار يُوْسُف بن علي بن سُلَيْمان التي أنزل فيها أهله وثقله، ونهضوا بأخيه يَحْيَى إلى دار قَاسِم بن يعيش، وانتهوا ببني خزر إلى دار إبراهيم الفتى الخليفة الموسومة بـ «النزل»، فاغتنى يوم دخولهم إلى دار إبراهيم هذا، يوم الأحد، أحد الأيام العُقم^(٣) التي طار خبرها بالأندلس في الحسن والزينة.

ولما أن استقر جَعْفَر ويَحْيَى بداريهما واطمأنَّ فيهما، عهد أمير المؤمنين بإجراء ألف دينار دراهم^(٤) على كل واحد منهما للشهر، ومن القمح لنفقاتهما لكل شهر لكل واحد منهما سبعون مُدّاً توسعةً عليهما وإغداقاً في الإفضال عليهما. وأجرى أيضاً على بني خزر من الدنانير والقمح والعلوفة ما يفيض ولا يغيض. ثم تضاعفت على الجماعة الجرايات^(٥) وترددت الصُّلَّات، فأضحوا مغتبطين بما سئى لهم المقدار مُتَغَمِّسين في الحبرة^(٦)، قال: وكان الذين دخلوا مع جَعْفَر بن علي من بنيه وأهله، ابنه الخارج في عسكر جوهر غلام مَعَدَّ إلى مصر المعتقل هناك، وعَمَّار وعليّ وحَسَن ومَيْمُونَة وسُكَيْنَة وتامة وفاطمة وهند أولاد يَحْيَى أخيه، وأخت لهما تُدعى عزيزة بنت علي بن حَمْدُون وابنتها حَمْدُون من رجل سني كنيته أبو القاسم الغساني، وجاء معها إلى الأندلس، وأخت أخرى لها تُدعى زَيْنَب بنت عليّ، جاءت معهم ومعها زوجها مُحمَّد بن مَهنا البجاني.

وذكرت الشعراء شأن فراق جَعْفَر بن عليّ وأخيه يَحْيَى لسلطانهما مَعَدَّ بن

(١) الأبهاء: جمع البهو: البيت المُقدَّم أمام البيوت، أو المكان المُخصَّص لاستقبال الضيوف.

(٢) يزايلونهم: يفارقونهم.

(٣) عُقم: جمع عقيم: شديد، أو لا خير فيه، والمراد هنا: يوم مشهور لا مثيل له في الحسن والزينة.

(٤) دينار دراهم: أي يُعطون قيمة كلِّ دينار دراهم، والمعروف: أن الدينار من ذهب، والدرهم من فضة.

(٥) الجرايات: جمع الجِزَاية: الجاري من الرواتب.

(٦) الحبرة: السُّرور والنعيم.

إسماعيل وانسلاخهما من دعوته ومصيرهما إلى الخليفة الحكم واعترافهما بحقه فيما مدحت به الخليفة وقتَ ورودهما عليه فأكثرَت وجودت، فكان من مختار ذلك قول مُحَمَّد بن شَخِص^(١) في شعرٍ طويل له أوله: [من الطويل]

بأيمن إقبالٍ وأسعدٍ طائرٍ تباشيرٍ محتومٍ من الأمرِ واقعٍ
توافتٍ بملكٍ من معدٍّ مقوَّضٍ لملكٍ إلى مهديٍّ مزوانٍ راجعٍ^(٢)
فيا لك من بُشْرَى سُرورٍ تَضْمَنَتْ بلوغَ الأمانِي عن سُعودِ الطوالعِ
لعمري لقد أبدتْ وقِيعَةً جَعْفَرٍ ويَحْيَى إلى الشيعيِّ أخرى الوقائعِ
تجلَّى بها غيبُ المقاديرِ مثلما تجلَّتْ سطورُ الصِّكِّ من فضِّ طابعٍ^(٣)
هُما ما هما من وافدينِ تسابقا إلى ظلِّ ضافيِ الظلِّ ضخَمِ الدَّسائِعِ^(٤)
تلقَّاهما من برِّهِ واصطناعه عوائدِ جَمِّ الصُّنْعِ جَزَلِ الصَّنَائِعِ^(٥)
فَجَعَفَرُ يُغْنِي عن جُنودِ برِّأيه ويَحْيَى يُلاقِي حاسِرًا ألفَ دارِعٍ^(٦)
هُما قاتِلًا فِرْعَوْنَ أُمَّةِ أَحْمَدٍ برغمِ معدٍّ والرماحِ الشَّوارِعِ^(٧)
وللهِ سِرٌّ في إثارةِ جَعْفَرٍ لإهلاكِ زيريِّ ذائعٍ أو كذائعِ
وتاه لِعِزِّ النَّفْسِ أوَّلَ رَاكِضٍ فكانَ لكأسِ الحَتَفِ أوَّلَ جَارِعِ^(٨)
رَمَاهُ على سَعْدِ الإمامِ، وحوْلُهُ ألوفُ ألوفٍ من مُطيعٍ وسامِعِ
ولا جَيْشٍ إلا الصَّبْرُ والدعوةُ التي وقى اللهَ راعيها عِثَارَ الوقائعِ^(٩)
إذا الحرُّ لم يجعلَ من الصبرِ دِزْعَهُ وإن لم يُوقِ الموتَ جَفْنَ المدامِعِ
فَمَا الصَّارِمُ الماضيِ بماضٍ وَلَا الحِمَى بِحامٍ ولا الحِضْنُ المنيعُ بمانِعٍ^(١٠)

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن مطرّف بن شَخِص: أديب، شاعر، مُتصَرِّفٌ في القول، سلك فيه مسلك الجدِّ والهزل. توفي قبل الأربعمئة. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٩٥؛ بغية الملتبس، الضبي: ١٢٢).

(٢) وافى القوم: أتاهم، وتوافى القوم: تتأَمَّوا، وتوفَّى المُدَّة: بلغها واستكملها. مقوَّض: مُهَدَّم.

(٣) تجلَّى: انكشف وظهر. الصِّكِّ: وثيقة بمالٍ أو نحوه.

(٤) الضافي: الثَّام، السَّابغ. الدسائِع: جمع الدسيعة: الجفنة الواسعة، أو العطية الجزيلة.

(٥) اصطنع فلاناً لنفسه: اختاره، واصطنع عنده صنعة: أحسن إليه.

(٦) الحاسر (من الجنود): من لا درعَ له ولا مِقْفَر.

(٧) الرماح الشَّوارِع: المُسَدَّة، يقال: أشرع نحوه الرمح: سدَّده.

(٨) الحَتَف: الهلاك، الموت. الجارِع: من جرع الماء ونحوه جَرْعاً: بَلَّغَهُ.

(٩) العِثَارُ: الزُّلُّ.

(١٠) الصَّارِم: السيف القاطع.

وَكُلَّ حَوَى حِفْظاً وَفَرَّ بِدِينِهِ
 نَوَى بِالنَزْوِعِ اللَّهَ إِذْ كُلُّ نَازِعٍ
 تَوَلَّاهُ مَا غَابَتْ سِرَائِرُ زَيْنِغِهِ
 وَمَا ضَاعَ قَطْعُ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ مِنْهُمَا
 وَأَشْفَعُ مَا يَحْظِيهِمَا الطَّاعَةُ الَّتِي
 فَعَّلَ لِبِلَادِ الشَّرْقِ هُبِّي مِنَ الْكَرَى
 أَظْلَكَ مَهْدِيَّ الْإِمَامِ فَسَارِعِي
 كَأَنَّكَ بِالْيَوْمِ الْمَعْجَلِ لِلْعِدَا
 وَكُلَّ لِكُلِّ الْهَاشِمِيِّينَ طَائِعٍ
 أَمَانِيهِمْ تَرْنُو إِلَيْهِ كَمَا رَنَتْ
 إِذَا اسْتَبَقَ الْأَمْلَاكُ مِنْ آلِ غَالِبٍ
 بِهِ عُدٌّ مِنْهَا آخِرًا قَبْلَ أَوَّلٍ
 كَذَا رَابِعُ الزُّهْرِ الدَّرَارِي أَجْلُهَا
 تَوَاضَعَ كَيْ يَزْدَادَ عِزًّا وَإِنَّمَا
 وَقَامَ بِمَا أَدَّى عَنِ اللَّهِ أَحْمَدُ
 وَقَدْ زَمَّهَا مَرْوَانَ مِنْ يَوْمِ زَاهِطٍ
 وَرَاثَةَ سُورَى لَوْ أُعِيدَ لَمَّا وَعَثَ
 وَلَا شَاعَ فِي مِصْرٍ لِصُخْبِ مُحَمَّدٍ
 أَصَاخُوا إِلَى صَوْتِ الْأَذَانِ فَجَاوَبُوا
 وَلَمَّا وَعَوْا مَا قِيلَ فَوْقَ مَنَابِرِ

فِرَارَ عَزِيزٍ لِلْأَعْزَةِ خَاضِعٍ
 إِلَى ظِلِّ مَوْلَانَا إِلَى اللَّهِ نَازِعٍ^(١)
 فَلَمَّا بَدَتْ أَبْدَى تَوَثَّبَ خَالِعٍ^(٢)
 وَمَا أَمَلَ عِنْدَ الْإِمَامِ بِضَائِعٍ
 غَدَتْ فِي غَدَاةِ الْبَعْثِ إِحْدَى الشَّوَاغِ^(٣)
 وَلَا أَنْظُرِي مِنْ طَرْفٍ يَفْظُنُ هَاجِعٍ^(٤)
 فَلَا حَظَّ فِي الْبُقْيَا لِمَنْ لَمْ يُسَارِعِ
 بِوَضْعِ الْحَبَالِي أَوْ بِشَيْبِ الْمَرَضِ
 كَعَاصٍ وَلِلْمَهْدِيِّ عَاصٍ كَطَائِعِ
 عُيُونِ الْغَوَانِي مِنْ فُتُوقِ الْبَرَاقِ^(٥)
 حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ غَيْرَ مُدَافِعِ
 وَرُتَّبَ مِنْهَا وَاحِدًا بَعْدَ تَاسِعِ
 وَإِنْ كَانَ فِي اسْتِعْلَائِهَا دُونَ سَابِعِ
 تَقَدَّمَ عِنْدَ اللَّهِ عِنْدَ التَّوَاضِعِ
 فَتَابَعَ تَبْصِيرًا لِمَنْ لَمْ يُتَابَعَ
 بِرَأْيٍ لِأَهْوَاءِ الْجَمَاعَةِ جَامِعِ^(٦)
 لِدَعْوَتِهِ الْأَذَانُ دَعْوَى مُنَازِعِ
 أَذَى لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِيهَا بِشَائِعِ
 بِتَضْفِيقِ رَاحَاتٍ وَسُكْبِ مَدَامِعِ^(٧)
 نَسُوا شُنْعَةَ الْمَسْمُوعِ فَوْقَ صَوَامِعِ^(٨)

(١) نَزَعَ إِلَى الشَّيْءِ نَزْعًا: حَنَّ وَاشْتَقَّ، وَنَزَعَ عَنِ الشَّيْءِ: كَفَّ وَانْتَهَى.

(٢) الزَّيْنِغُ: الضَّلَالُ. الْخَالِعُ: مَنْ خَلَعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ: خَرَجَ مِنْهَا.

(٣) يَحْظِيهِمَا: يُقَرِّبُهُمَا.

(٤) الْكَرَى: النُّومُ. الْهَاجِعُ: النَّائِمُ.

(٥) تَرْنُو: تَدِيمُ النَّظَرِ مَعَ سُكُونِ طَرْفٍ. الْفُتُوقُ: الشَّقُوقُ، الْوَاحِدُ: فُتُقٌ. الْبَرَاقِعُ: جَمْعُ الْبُرُوقِ: قَنَاقُ تَغْطِي بِهَا الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا.

(٦) زَمَّ الشَّيْءُ زَمًّا: شَدَّهُ.

(٧) أَصَاخُوا: اسْتَمَعُوا، أَنْصَتُوا. الرَّاحَاتُ: جَمْعُ الرَّاحَةِ: الْكَفُّ.

(٨) شُنْعَةُ الْمَسْمُوعِ: قُبْحُهُ.

فباتوا أسارى دون أسرٍ وأصبحوا
وَأَسَكَّتْهُمْ قَرْطُ التَّقِيَّةِ فَانْطَوَوْا
وَلَوْ زَمَّهَا مُسْتَنْصِرُ اللَّهِ بِاسْمِهِ
إِمَامٌ غَدَا زَمَّ الشَّرِيعَةَ شُغْلُهُ
فَعَمَّرَ أَهْلَ الْفَضْلِ كُلَّ الْجَوَامِعِ
أَعَزَّ ذَوِي الْأَفْهَامِ وَالْعِلْمِ ظِلُّهُ
وَمَا شِئْتُ مِنْ شَادِي قَرِيضٍ وَرَاجِزٍ
وَأَيَّ بَلِيغٍ أَوْ خَطِيبٍ يَفِي بِمَا
فَتِلْكَ مَسَاعِيهِ وَهَذِي صِفَاتُهُ

والشعر في وصف هذا اليوم كثير يطول إحكامه، ولقد ملح يونس بن هارون الشاعر الرمادي^(٥) يذكره في بعض غزله حيث يقول: [من الكامل]

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِغِلْغِلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ
وَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْوَاهُ يُبْرِزُ وَجْهَهُ
إِذْ أَكْثَفَ الْجَيْشَ اللَّهُامَ لَجَعْفَرٍ^(٦)
قَامَتْ لَوَاحِظُهُ مَقَامَ الْعَسْكَرِ

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من شهر ذي القعدة منها جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله فوق السرير جلوساً فخماً، أوصل إلى نفسه أجناد الكور وبياض أهلها الذين استدعاهم لمشاهدة دخول جعفر بن علي ومن جاء معه من قومه ومن قوم زناته عند وجوب مرجعهم إلى بلادهم، فتوصلوا إليه بحسب مراتبهم الأولى بعهد الخلفاء في التقدم، فدخل أول جمعهم جند دمشق وهم أهل كورة إلبيرة، ثم جند حمص وهم أهل كورة إشبيلية^(٧)،

(١) صَزَعَى: قَتَلَى، أو مطروحون أرضاً.

(٢) التَّقِيَّةُ: الخشية والخوف، والتقية عند بعض الفرق الإسلامية: إخفاء الحق، ومصانعة الناس في غير دولتهم تحزناً من التلّف والهلاك.

(٣) الرُّوْغُ: الخَوْفُ، الفَرْعُ.

(٤) نَقَى الحديث ثَنَوْاً: بَثَّه.

(٥) هو أبو عمر، يوسف بن هارون الكندي الرمادي: شاعر عالي الطبقة، أصله من رمادة، وُلِدَ بقرطبة، وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م.

(المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية: ٣؛ جذوة المقتبس، الحميدي: ٣٥٨).

(٦) جيش لُهام: عظيم، كأنه يلتهم كُلَّ شيءٍ.

(٧) إشبيلية: مدينة كبيرة، لم يكن بالأندلس يومذاك أكبر منها، وكانت تُسمى «حمص» وفيها كانت قاعدة ملك الأندلس وسريه. وتقع غربي قرطبة، على بعد ثلاثين فرسخاً. (معجم البلدان، الحموي: ١/١٩٥).

ثم جند قنسرين وهم أهل كورة جِيَّان^(١)، ثم جند فلسطين وهم أهل كورة شَدُونَة، ثم جند الأردن وهم أهل كورة رَيَّة. فلما استكمل هؤلاء الدخول وقضوا حقَّ التسليم أذن لمن بعدهم من طوائفهم المستدعين، فتقدم في أولهم أهل كورة قَبْرَة، ثم أهل إِسْتِجَة^(٢) وأشونة^(٣) وتَاكْرُنَا^(٤) وَلَبْلَة^(٥)، وغيرهم ممن استجلب لهذا المشهد. فاستمع الخليفة من كبيرهم وصغيرهم ما ذكروه مما استخبرهم عنه من سير عمَّالهم، فكافأ المشكور منهم سعيه، وقارض المذموم منهم بسيئه، فانقضى مجلسهم معه، وأوذوا بالانطلاق إلى أوطانهم، فكان يوم جَعْفَر بن علي ومن ورد معه من أحد الأيام العقم بِقَرْطَبَة في اكتمال حسنه وجلالة قدره، خَلَدَ حديثه زمناً في أهلها، قاضياً مِنْ عَجَب الجلالة، وكلُّ شيء فإلى انقضاء، إلَّا إله الأرض والسماء، تعالى جدّه.

ذكر القنطرة

وفي يوم الأربعاء لخمس خلون من ذي القعدة منها ابتدئ بعمل سدِّ مُحْكَم الصناعة قريب المونة من منابت شجر الشعراء المجتلبة من شمش جبال قَرْطَبَة، مُثَقَّف بِصُوم الجنادل والرمل ملائم بحرُ الطُفْل بحاشية النهر الأعظم بِقَرْطَبَة، لَصَقَ الجسر ليدفع جرية الماء بالجهة كيما يكشف عن الأرجل هناك التي أثر فيها الماء على تطاول الأمد، فكشط جبسها وخوف من وهيبها. وتوكلَ نظر الخليفة بتداركها وإعجال جلائها، فتمَّ حقن الماء عنها، وشرع في رفعها وتسويتها...

وفي يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة منها وافى الخبر بإقلاع صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرُّحْمَن بن مُحَمَّد بن رُمَاحس من مدينة إشبيلية بالأسطول منصرفاً إلى المرية عاقفاً عن إجراءاته^(٦) إلى جهة المجوس الظاهرين في البحر

(١) جِيَّان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وتتصل بكورة تدمير وطليطلة. (معجم البلدان، الحموي: ١٩٥/٢).

(٢) إِسْتِجَة: كورة متصلة بأعمال رَيَّة، وبينها وبين قرطبة عشرة فراسخ. (معجم البلدان، الحموي: ١٧٤/١).

(٣) أَشُونَة: حصن بالأندلس، في نواحي إِسْتِجَة، وقيل: حصن من أعمال قرطبة. (معجم البلدان، الحموي: ٢٠٢/١).

(٤) تَاكْرُنَا: كورة كبيرة، ذات جبال حصينة، يخرج منها عدد من الأنهار. (معجم البلدان، الحموي: ٧/٢).

(٥) لَبْلَة: قصبه كورة بالأندلس، يتصل عملها بعمل أكشونية، وهي بَرِّيَّة بَحْرِيَّة، كثيرة الزروع والثمار. (معجم البلدان، الحموي: ١٠/٥).

(٦) عَافَ الشيءَ عَافاً، وعِيفاً: كرهه وتركه. أجرى السفينة في الماء إجراءً: سَيَّرَهَا.

الشمالي، إذ وردت الأنباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد إقدامهم وتلجيجهم^(١) في البحر الشمالي لا يلوون على شيء بحسن دفاع الله عن المسلمين، إذ اتصل بهم، وصحّ لديهم صمد الخليفة المستنصر بالله لحربهم، ونصبه التدبير عليهم، وتجريده القائد الوزير غالب بن عبد الرّحمن، مُدبّر حروبه نحوهم، وقصدهم في البر، ونهوض القواد بالأساطيل إلى ناحيتهم وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة والأساطيل الثقيلة التي لم يجد أعداء الله، عند سماعهم بها، من نفوسهم معيناً على التعرض لملاقاتها والانبساط في السواحل التي أحسّوا بهم فيها، فولّوا على أعقابهم ناكسين^(٢)، ومما رجوه من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

ذكر عيد الأضحى

وافى عيد الأضحى في العام يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة، فجلس فيه الخليفة الحكم على السرير بقصر الزهراء في المجلس الشرقي للتهنئة، للعادة، أفخم قعود وأسناه، فتوصل الإخوة الثلاثة، قبل جميع الناس، أبو الأصبغ عبد العزيز وأبو القاسم الأصبغ وأبو المطرف المغيرة؛ ففقد الإخوة على مراتبهم بعد السلام. ثم توصل الوزراء وسلموا وقعدوا إثر الإخوة على منازلهم ذات اليمين،... ووصل بوصولهم يحيى بن محمد بن هاشم التّجيبى. وقام الحُجّاب من ذات اليمين وذات اليسار، ثم توصل إثر ذلك طبقات أهل الخدمة على منازلهم ومراتبهم يُقدّمهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى والصغرى، وفي جملتهم هاشم بن محمد بن هاشم التّجيبى، ثم أصحاب المخزول والخزان والعراض وفي جملتهم عبد الرّحمن بن محمد بن هاشم التّجيبى وعبد الرّحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التّجيبى، وتسانل^(٣) بعدهم طبقات أهل الخدمة ووقفوا في الترتيب على العادة، وتؤدي بالسلام في رجالات قريش الأقرب فالأقرب والأسنّ فالأسنّ منهم، فتوصلوا وسلّموا وأمرؤا بالقعود في البهو الذي يلي البهو الذي قعد فيه أمير المؤمنين عن يساره، وقد كان أنذر جعفر بن عليّ وأخوه يحيى ورجال بني خزر القادمون من العُدوة ليشهدوا السلام في هذا اليوم، فشهد جعفر وبني خزر، وتخلف يحيى لعلّة نالته، فأجلّس جعفر مع بني خزر قبل

(١) التلجيج: من لَجَّ في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه، أو من ألَجَّ القوم: ركبوا اللّجة، وهي معظم البحر وتردّد أمواجه.

(٢) ناكسون: من نكص عن الأمر: أحجم وتراجع.

(٣) تسانل القوم: خرجوا، أو جاؤوا متتابعين، واحداً إثر واحد.

الوصول في أحد المجالس القبلية من دار الجند الأدنى منها إلى القصر، فلما أُذِنَ للموالي القُرْطُبيّين في الدخول أُذِنَ لِجَعْفَرٍ وبني خزر معهم فنهضوا في جملتهم فقبضوا التسليم. وعهد الخليفة بتشريف جعفر من بينهم بإلزامه الحجاب مع أهل الخدمة، فوقف تحت زَكْرِيَاءَ بن يَحْيَى الشبلاري الخازن بالزهراء، وتتابعَت طبقات الناس في التسليم من طبقات أهل قُرْطُبَة، ثم من الوفود والجنود إلى أن انقضى المجلس.

وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل القول وتنشد الشعر فتكثر وتستجيد، فكان من أحسن ذلك قول مُحَمَّد بن حسين الطُّنبِي^(١) في شعرٍ طويل له، يقول فيه: [من الكامل]

نَظَرَ الإلهُ إِلَى الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً فَاخْتَارَ أَفْضَلَهَا لَهَا وَتَخَيَّرَا
مَلِكٌ أَقَامَ الْعَدْلَ فِي أَيَّامِهِ سُوقاً، فَصَارَ الْحَقُّ فِيهِ مَتَجَرَا
لَمْ يَجْرِ طَيِّبٌ ذِكْرُهُ فِي مَجْلِسٍ إِلَّا حَسِبْتَ بِهِ الْهَوَاءَ تَعَطَّرا
مَلَأَ الْعِبَادَ سَنَاؤُهُ وَتَنَاؤُهُ عَذْلاً فَأَكْسَدَ مِسْكَهَا وَالْعَنْبَرَا^(٢)
لَا يَبْتَغِي السَّارِي دَلِيلاً نَحْوَهُ [فَالْبَدْرُ] مِنْ لَأَلَائِهِ قَدْ أَسْفَرَا^(٣)
يَجْلُو ظِلَامَ اللَّيْلِ نُورَ جَبِينِهِ فَكَأَنَّ مُرْتَقَ الدُّجْنَةِ فَجَّرَا^(٤)
لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ أَعْظَمَ حَظُّهَا فِي الدَّهْرِ أَنْ تُطَوَّى لَدَيْكَ وَتُنْشَرَا
قَرَّتْ عِيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِغُرَّةِ زَهْرَاءَ تَسْلُكُهُمْ سَبِيلاً أَزْهَرَا^(٥)
أَبْصَارَهُمْ تَجْلُو سُوراً ظَاهِراً وَقُلُوبُهُمْ تَجْنِي سُوراً مُضْمَرَا^(٦)
قَلُوا أَنَّ أَرْكَانَ السَّرِيرِ كَوَاكِبُ يُشْرِقْنَ لَأَسْتَحَقَّقَتْ مِنْهَا أَكْثَرَا
غَيْرُ النُّكْرِ وَأَنْتَ شَمْسٌ لِلْهُدَى أَنْ تَغْتَدِي شَمْسُ الضُّحَى لَكَ مِنْبَرَا

(١) هو محمد بن حسين التميمي الحماني الطنبلي الزابي: شاعرٌ مُكثَّرٌ مُتَفَنُّ، من بيت أدبٍ وشعر، وجمالة ورياسة. توفي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٥٦؛ بغية الملتبس، الضُّبِّي: ٦٨).

(٢) السَّناء: الرفعة والعلو. السَّناء: المديح، وذكر الآخرين بالخير. أكسد الشيء: جعله كاسداً: أي غير رائج لقلّة الرغبة فيه.

(٣) الساري: السائر في الليل. اللألاء: البريق واللمعان. أسفر: وضع وظهر وانكشف.

(٤) مُرْتَقِ الدُّجْنَةِ: يقال: رتق الشيء رَتْقاً: سدّه أو لَحَمَهُ أو أَصْلَحَهُ. والمُرْتَقِ: الذي سُدَّ خَلْلُهُ أو لُجِمَ وَأُصْلِحَ شَأْنُهُ. الدُّجْنَةُ: الظلمة.

(٥) قَرَّتْ عين فلان: سُرَّ وَرَضِيَ وَاطْمَأَنَّ. الثُّرَّة: الجبين. سلك الطريق: اجتازه أو سار فيه.

(٦) تجلو: تكشف، تظهر. تجني: تقطف، تتناول، تجمع. المُضْمَرُ: الخفي، المستور.

وقول مُحَمَّد بن شُحَيْنص في شعر طويل أوله: [من الطويل]

أَلَمْ يَنَا الْأَضْحَى فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَإِنْ كَانَ مَوْلَانَا بِمَا قُلْتُهُ أَوْلَى
تَجَلَّى أَمِينُ اللَّهِ وَالْعِيدُ وَالضُّحَى فَكَانَ أَمِينُ اللَّهِ أَفْضَلَهَا مَجْلَى^(١)
وَمَا مَائِلَتْ مِنْهُ الضُّحَى غَيْرَ وَجْهِهِ فَكَانَتْ لَهُ مِثْلًا وَلَيْسَتْ لَهُ مِثْلًا
لِيَهْنِ بَنِي الْإِسْلَامِ فَخَرُ اسْتِلامِهِم بَنَانُ يَدِ الْعَلِيَّا مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى^(٢)
رَعَى اللَّهُ مَنْ وَلَّى رِعَايَةَ خَلْقِهِ فَكَانَ لَهَا أَهْلًا وَكَانَتْ لَهُ أَهْلًا
وَمَنْ عَادَتْ الدُّنْيَا عَرُوسًا بِمُلْكِهِ قَدَامَتْ لَهُ عِرْسًا وَدَامَ لَهَا بَغْلًا^(٣)
يقول فيها في ذِكْرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ:

وَرَأَيْ مَعْدٍ جَلَّ فِي خَلْعِ جَعْفَرٍ لِإِهْلَاكِ زِيرِي فَأَوْلَى لَهُ أَوْلَى^(٤)
أُذِيرَتْ بِهِ كَأْسُ الْمَنِيَةِ بِالْمُنَى فَأَيُّ مَذَاقٍ مَا أَمَرَّ وَمَا أَخْلَى
أَثَرَتْ لِأَشْيَاعِ الرِّوَافِضِ وَالَّذِي تُرِيدُ لَهُ شُغْلًا سَيَعْدِمُهَا شُغْلًا (كَذَا)^(٥)
بَلِ اسْتَشْعَرَتْ حَرْبًا وَأَبَدَتْ تَجْمُلًا وَمُسْتَشْعِرُ الْأَدْوَاءِ أَسْرَعُهَا تُكْلًا^(٦)
وَبِاسْمِ أَمِينِ اللَّهِ أَيْدِ جَعْفَرٍ وَمَا زَالَ حِزْبُ اللَّهِ يَغْلُو وَلَا يُغْلَى
ومنها في ذكر ولده هِشَامٍ:

نَهَتْهُ النَّهْيُ قَبْلَ الثَّمَانِي عَنِ الصُّبَا فَصَارَ اسْمُهُ مِنْ قَبْلِ مَنَشِئِهِ كَهَلَا^(٧)
وَلَمْ لَا يَجُوزُ الْعَهْدُ طِفْلًا وَقَدْ حَوَى رَضَى اللَّهُ مَنْ وَلَاهُ وَالِدُهُ طِفْلًا
فَاكْرَمَ بِمَنْ أَضْحَى الْإِمَامُ لَهُ أَبَا وَأَنْجَبَ بِمَنْ أَضْحَى الْإِمَامُ لَهُ نَجْلًا^(٨)
غَدَوْتَ خِيَارَ اللَّهِ مِنْ خَيْرِ طَيْئَةٍ صَفَتْ فَاضْطَفَى مِنْهَا الْخَلَائِقُ وَالرُّسُلَا

(١) أفضلها مَجْلَى: أفضلها ظهوراً وظلوعاً وانكشافاً.

(٢) البنان: أطراف الأصابع. العليا: العلياء: الرفعة والسُّودد والمجد.

(٣) العِرْسُ والعَرُوس: الزوجة. البَغْلُ: الزوج.

(٤) جَلَّ: عَظَّمَ. الخَلْعُ: الخروج من الطاعة، أو نقض التَّيَعَّة.

(٥) الأشْيَاع: الأتباع. الروافض: فرقة من المسلمين كانت تجيز الطعن في الصحابة، وسُمُّوا بذلك لأن أوليهم رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشيخين (أبي بكر وعمر).

(٦) التَّجْمُلُ: التَّصْبِيرُ. الأدْوَاء: جمع الداء: المرض. التُّكْلُ: فَقْدُ الحميم أو الحبيب.

(٧) النَّهْيُ: العقل.

(٨) أَنْجَبَ بِهِ: أي ما أجمل أو ما أكثر نجابته، والنجابة: هي النباهة والظهور على المثل. التَّجْلُ: الإبن.

ومنها في ذكر غالب مولاة:

بِسَعْدِكَ يُبْلَى غَالِبٌ لَا بِبَاسِهِ
وَبِاسْمِكَ يَغْدُو أَعَزُّ الْجَيْشِ رَامِحاً
رَمَيْتَ بِهِ جَيْشَ الْمَجُوسِ عَنَاءَةً
وَلَمَّا أَحَاطَتْ بِالْمَحِيطِ جُنُودَهُ
سَرَتْ تَخِيطُ الظُّلَمَاءِ وَالْمَوْجِ مِثْلَمَا
وَمَرَّتْ إِلَى أَقْصَى الْجَزَائِرِ تَجْتَزِي
أَسَاطِيلُ هُنَّ الْمَوْتُ أَوْ فِي طِبَاعِهِ
إِذَا أَتَخَنَتْ فِي إِثْرِ رَاكِبِهَا انْتَبَرَى
وَأَخْرَجَ هَذَا الشَّعْرَ:

وَقَى اللَّهُ بِالْأَرْوَاحِ مِثْلَ الَّذِي وَقَتْ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَخَامِسِ الْإِسْتِجِي فِي شَعْرِ لَهُ طَوِيلٍ، مِنْهُ: [من الكامل]

اللَّهُ لِلْحَكَمِ الْخَلِيفَةِ صَانِعُ
مُسْتَنْصِرُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ حَسْبُهُ
رَاقَتْ بِبَهْجَةِ مُلْكِهِ أَيْمَانَا
فَالْعَدْلُ مَبْسُوطٌ وَدَيْنُ مُحَمَّدٍ
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الرُّضَى لِعِبَادِهِ
يَهْنِيكَ عِيدُكَ بَلْ هُنْتُهُ إِمَامَةً
وَخَلِيفَةً فِي الْعِيدِ مِنْ أَيَّامِهِ
فِيمَا اضْطَفَاهُ لَهُ وَعَنَّهُ دَافِعُ
وَنَصِيرُهُ وَلِمَنْ بَغَاهُ صَارِعُ^(٥)
فَكَأَنَّهُنَّ عَرَائِسُ وَصَنَائِعُ
غَضُّ وَغَضُّ الْمَلِكِ أَخْضَرُ يَانِعُ^(٦)
وَالْمَتَقِي لِمَعَادِهِ وَالْخَاشِعُ^(٧)
أُمُومَةٌ يَأْبَى بِهَا وَيُقَارِعُ^(٨)
وَشُرُوقُهُنَّ مَشَابَهُ وَقَرَائِعُ

(١) الراح في الحرب: المتسلح برمح.

(٢) تخيط الظلماء: تسير فيها على غير هدى. الظعن: الراحلون، المسافرون. الدهناء: القلاة. اعتسف القلاة: سار فيها على غير هدى.

(٣) تجتزي: تجتري. تكتفي بالرطب عن الماء. خضم الشيء خضماً: أكله بجميع فمه، أو بأقصى أضراسه.

(٤) انتبرى له: عرض.

(٥) بغاه: طلبه أو أراد به سوء. صارع: من صرعه، إذا طرحه أرضاً وقتله.

(٦) الغض: النضر الطري. اليناع: الناضج.

(٧) المعاد: الآخرة. الخاشع: الخاضع الدليل المنقاد.

(٨) يقارع: يجالده ويضارب.

فَسَلِمَتْ لِلإِسْلَامِ أَطْوَلُ مُدَّةٍ وَعَلَاكَ نَامِيَةٌ وَسَعْدُكَ طَالِعُ

ذكر خبر الصبي المتفاوت الخلق

وفي شهر ذي الحجة المؤرخ اتصل الخبر بأن صبيًا بقرية مناس ماريه من إقليم قُرُطَبَة من كورة رَيَّة، كان مولده في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، خالف في خلقه وتركيبه وصورته الحد المتفاوت من ضعف الولدان إلى الشدة والقوة، فأرسل فيه فأحضر إلى قُرُطَبَة في آخر ذي قعدة، لتقع عليه العين.

قال عيسى بن أحمد: فعنيت بشأنه وأنعمت الكشف عن حاله وولادته ونشأته، فأخذتها عن جده لأبيه الذي قدم به، وهو خَلَفُ بن يَحْيَى بن أراقبي بن خَلَف بن منتقم بن عبد الله بن بذر بن ناصح الفرائش مولى الأمير عبد الرَّحْمَنِ بن مُعاوية، واسم الغلام عُمَر بن أراقبي بن خَلَف، فأخبرني أن أمه أتت به لتسعة أشهر آخرها ذو الحجة المؤرخ من العام المؤرخ لثمان خلون منه، فخرج من بطنها مختوناً مترهلاً الجلد^(١)، فنشأ بمدة نشأ حسناً ونما لحمه وعظمه وعظم خلقه بسرعة ومشى على قدميه إلى سنة، وتكلم كلاماً ضعيفاً مطروفاً للسان، أكله أكل غلام. ورأيتُه فكان طوله ستة أشبار إلى اثنين وعشرين شهراً من ولادته، وأثغر^(٢) في عقب العام المؤرخ إلى أربعة أعوام وعشرة أشهر من ولادته، وله أخ أكبر منه في السن ودونه في الخلق، ووالده وأمه في الوقت باقيان. فاختمل الصبي إلى قصر الزهراء وأوصله الخليفة فائق صاحب البرد والطرز، إلى نفسه وكاشف جده خَلَف بن يَحْيَى عن حقيقة أمره فأعلمه بما تقدم ذكره، ولم يخالفه في وصفه وأكل بين يديه. وأنهى خبره إلى الخليفة الحكم فأمره بإيصاله إليه مع جده خَلَف، فنظر فيه وكان بين يديه ملياً، وأمر له بصلة وافرة، ثم أمر بإعادته إليه كَرَّةً أخرى مع جده بحضرة الأمير أبي الوليد هِشَام ابن أمير المؤمنين، فتملأ النظر فيه والسؤال عنه واهتبل^(٣) جده خلف ذِكْرَهُ مَغْرَمًا^(٤) يلزمه في قريته المتقدمة الذكر يبغى تخفيفه عنه، فأسقطه الخليفة عنه أجمعه، وأمر بمخاطبة صاحب الكورة بذلك. ووصل الأمير أبو الوليد هِشَام الغلام عُمَر بصلية جزيلة، فأنصرفا، وأذن لهما بالانصراف إلى وطنهما مَخْبُورَيْن^(٥).

(١) المَخْتُونُ: الذي قُطِعَتْ قُلُوبَتُهُ. مُتْرَهَلٌ: مضطرب مُسْتَرْخ.

(٢) أثغر الغلام: نبت أسنانه.

(٣) اهتبل في سيره: أسرع، أو كذب وخدع، وتهلّل لأهله: تكسّب.

(٤) المَغْرَمُ والغرامة: ما يلزم أداؤه تأديباً أو تعويضاً.

(٥) مَخْبُورَان: مختصّان بقطاع ونحوه.

وفي يوم السبت لست خلون منه قعد الخليفة الحكم قعوداً احتفالاً بقصر الزهراء، فأوصل إلى نفسه ملح العباد، رسول جلوية بنت الملك الهالك رذمير، حاضنة الملك المملوك بعده، رذمير بن شانجة بن رذمير، صاحب جليقية يومئذ ففهم عنه وخرج. ثم توصل بعده القومس أسمنه بن شانجة المرتهن عن أخيه شانجة بن غرسية صاحب بنبلونة. ثم توصل خميس بن أبي سليط صاحب قشتيلة وديقة بن شبريط رسول ابن ألسور، وتوصل مع العجم من كبار نصارى قُرُطبة قاضيهم أصبغ بن نبيل وأسقفهم عيسى بن المنصور وقومسهم معاوية بن لب ومطران إشبيلية عبيد الله بن قاسم يترجمون عنهم ولهم، ففهم الخليفة ما أذوه عن مرسلهم، وأجمل الرذ عليهم، فانطلقوا لسيولهم.

ذكر رفع وهي أُرْجل القنطرة

(و) للنصف من ذي الحجة منها تم عمل سد المنعة المعقود أسفل نهر قُرُطبة، وفي الشرق منها الذي عُونِي إقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أُرْجل الحنايا التي ظهر وهيها^(١) من أُرْجل القنطرة، واقتُلِعَتْ حجارة قنوات الرّحى المُصاقبة^(٢) للرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الأُرْجل فيتمكن من التوصل إلى إصلاح أسسها وتقوية ضعفها، فشرعت في ذلك أيدي الفعلة في هذا الوقت في تحصين تلك الأُرْجل وتقويتها بتوابيت الخشب الجسام وأوتاد الحديد الثخان^(٣) الوثائق والصخر المجوب من المقطع في نهاية الصلابة والضحخم المكثّر له من ملاط^(٤) الكلس المُظَاهِر باتقان الصنع. وجعل الخليفة المستنصر بالله يتأب مكانه في الأوقات بنفسه، وينظر إليه بعينه مؤكداً على المتولين النظر فيه، الخلفاء الأكابر، خدّمه، ومن معهم من رؤساء كتّابه. وإذا لم ينزل إلى المكان ارتقى إلى السطح فوق باب السدة من قصر قُرُطبة المشرف عليه، فكان كالشاهد له لقربه منه، فيتملى القعود هناك متأملاً للعمل مشيراً فيه برأيه، مؤكداً على الفعلة في تعجيله قبل هجوم الشتاء، نظراً للناس واهتبالاً^(٥) بمصالحهم، فيزكو العمل وتبدو المعونة.

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة والنظر في قنطرة قُرُطبة التي هي أم قُرُطبة

(١) الوهي: الضغف والوهن.

(٢) المُصاقبة: المُقَابِرة أو المُوَاجِهَة.

(٣) الثخان: الغليظة الصلبة.

(٤) المِلاط: الطين يُطلى به الحائط.

(٥) الاهتبال: الاغتنام، أو الاحتيا، أو الاقتصاص.

المرضعة، ومَفْضَى^(١) سَبُلِهَا المتشعبة، وجماعُ معاشها المختلفة، وقلادةٌ جيدها
المزدهية، وعليا مبانيها المعجزة قد ازداد توكدًا، وتضاعف توقدًا، لاقترابِ فصل
الشتاء الذي قد أظَلَّ، واهتبالِ الخليفة بها الذي لا يملّ، فلم يزل يعلو ويستقل إلى أن
كمل بناؤه واستوى تحصينه وأُمِنَتْ عاديته، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من المحرم
منها، فركب نحوه الخليفة المستنصر بالله من قصر قُرْطَبَة وأجاز النهر فتأمله كاملاً،
وسرَّ به وارتضاه، وأعلى شكر الله على معونته عليه، وجمعت الأيدي عليه، بعد
إزاحةِ عِلَّةِ القنطرة، على جبر الخُزَم^(٢) الذي بُيِّقَ^(٣) بسدِّ القنطرة للتمكن من البناء في
أرجلها فعطَّل الرَّحَى الرفيعة المائلة فوقه، فاتصل العمل فيها وفي توثق شدَّها، إلى أن
أحكم ذلك وأكمل في عقب صفر منها، فانطلقت الرَّحَى لِطَحْنِهَا، وعادت إلى أوَّلِهَا،
بِحَمْدِ اللَّهِ تعالى.

(١) مَفْضَى السُّبُل: مُلْتَقَاها.

(٢) جَبَرَ الخُزَم: أصلحه، والخرم: الشَّقُّ.

(٣) بُيِّقَ: انْتَقَبَ وانشَقَّ.

سنة إحدى وستين وثلاثمائة

أول المحرم فاتحتها يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من أكتوبر الشمسي .
ففي يوم الأحد لعشر بقين منه نظر الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن
عُثْمَان مع صَاحِب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر فيما عهد به الخليفة المستنصر بالله
من تنقليل دار البرد التي بغربي قصر قُرْطُبَة وفي صدر سوقها العظمى إلى دار الزوامل
التي بالمصاراة، طرف قُرْطُبَة، وتنقليل الزوامل من مكانها هناك إلى الدار التي بقرب
المحبس عند قصر الناعورة، وإقامة حوانيت للبزازين^(١) بدار البرد المُخَلَّاة، لينفسح
بهم سوقهم، وتستوسع صناعتهم، إذ شَكُوا ضيقها . وكانت تلك الدار مُصَابِة لهم
فَبُلَّغُوا بتبوتها أملاً قضى وطهرهم . وكانت هذه الدار البردية من بنيان الأمير الداخل
عبد الرَّخْمَن بن مُعاوية، رحمة الله عليه .

وفي صدر المحرم منها رَحَلَ الخليفةُ الحكم خليفته المتقدم في خصوصيته،
فائقاً الفتى الكبير الصَّقْلبي، صاحبَ البُرْد والطرز، من داره بالمصاف الشرقي من
قصر الزهراء إلى دار الحاجب، جَعْفَر بن عُثْمَان بن عبد الرَّخْمَن الصَّقْلبي المتوفى في
سنة ستين قبلها، الجليلة القدر بالمصاف الغربي قربه، عندما اعتلت منزلته لديه،
تنوياً به وتشريعاً له .

وفي آخر ليلة بقيت من سنة ستين وثلاثمائة المنسلخة هبَّت رياح عاصفة،
ولاحت بروق لامعة، وقصفت رعود مفزعة، وتنزل مطر وابل^(٢) رَوَى البسيطة^(٣)
وتنزلت في عَقِب المحرَّم منها أمطارٌ ثرة امتدت الزراعة بها من كل جهة .

وفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها احتلَّ الوزير القائد غَالِب بن
عبد الرَّخْمَن بمحلة فحصر السَّرادق قافلاً من غزاته إلى سُد^(٤) الغرب التي تجوّل فيها
وأشرف على المجوس الأردمانيين الجائشين في هذه السنة، فاستركب إليه الجيوش

(١) البزازون: بائعو الثياب والأقمشة .

(٢) مطر وابل: شديد، غزير .

(٣) البسيطة: الأرض .

(٤) سُد: كذا في الأصل، والسُد: الجبل .

يوم السبت بعده من قصر قُرْطُبَة في التعبئة المنتظمة بالعدِّ الفخمة، فيها الشطرنج والألوية، فتقدم من محلته وبين يديه المراكب على أجل هيئة وأتم أهبة، إلى أن وصل إلى قصر قُرْطُبَة والخليفة يومئذٍ مقيم به، فتوصل إليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له ومسائلاً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى الله فيها المسلمين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. فخلع عليه وانطلق إلى داره، محموداً سعيه.

وفي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها الذي كان التاسع عشر من شهر دجنبر، تزلزلت الأرض في أول الساعة الرابعة منه وسكنت بسرعة.

وفي يوم الخميس لليلة بقيت من صفر نزل بِقُرْطُبَة وما يليها غيثٌ وابلٌ، اتصل من سَحَر^(١) ليلته إلى عشيّ النهار، فكمل لِدُرُور^(٢) الغيث الوابل من ليلة الأربعاء لِسِتْ خلون من ربيع الأول، وهاجت فيها رياح شداد، وهاجت ليلة الخميس بعده ريح نكباء^(٣) شديدة الهبوب، اتصلت يوم الخميس بعده وانهمرت الأمطار بِقُرْطُبَة من يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر منها إلى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت منه، وهاجت في هذه الأيام رياح شداد باردة ونزل الثلج بأقاليم قُرْطُبَة وكورها وزاد النهر، وكانت للخليفة المستنصر بالله يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ربيع الأول منها رَكْبَة حافلة اجتاز فيها بالربض المعروف بقرن مرمل بالربض الشرقي، وسلك المحجّة^(٤) الضيقة على شمال الخندق فاغتصت بأهل مركبه، وتأمل آفة الضُغاطِ فيها عند مثل مركبه، وأنه لا يُؤْمَنُ عند الازدحام فيها التردّي^(٥) في الخندق المصاقب^(٦) لها، فعهد ساعة نزوله بابتياح الحوانيت التي على هذه المحجّة من أربابها ما بلغ ما يوافقهم من أثمانها وهدمها وضمها إلى المحجّة كيما تتسع بالناس وتؤمن مَضَرَّتُها^(٧)، نظراً منه للكافة وامترأ^(٨) للحسنة، فنفذ ذلك سريعاً وعظمت به المنفعة.

وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول منها أوصل الخليفة المستنصر بالله إلى نفسه، وهو بمُنية أرحاء ناصع، العارضين: مُحَمَّد بن يَغْلَى وابن أخيه يَغْلَى بن

(١) السَحَرُ: آخر الليل قبيل الفجر.

(٢) درور الغيث: سقوطه، انهماره.

(٣) النكباء من الرياح: التي تنحرف وتقع بين ريحين كالصبا والشمال، يقال: نكبت الريح: مالت عن مهاب الريح العادية.

(٤) المَحْجَّةُ: الطريق المستقيم.

(٥) التَّرْدِي: السقوط.

(٦) المصاقب: المُقابل، المُواجه.

(٧) مَضَرَّتُها: ضَرَرُها وأذاها.

(٨) امترأ الشيء: استخرجه.

أحمد بن يَغْلَى، فأمرهما باللاحاق بسيدهما، الوزير القائد في سَرَقُسْطَة أحمد بن يَغْلَى إذ اتصل به أنه بآخر رَمَقٍ^(١) من علّة، فإن قضى نَحْبَهُ، التزما ضَبْطُ عمله والمقام به إلى أن يأتيهما من أمره ما يحتملان عليه، فنظر في شأنهما ونفذ الأمر يوم الخميس لخميس بقين منه.

وفي يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ربيع الآخر منها، حُوطِبَ صاحب الشرطة العليا، أحمد بن مُحَمَّد بن عَبَّاس، بتقديمه من قيادة مدينة لَارْدَة وذواتها من الثغر الأعلى إلى مدينة سَرَقُسْطَة^(٢) وتُطِيلَة^(٣) وأعمالها منه، مكان واليها الهالك بها الوزير أحمد بن يَغْلَى، رحمه الله، وولّى عَبَّاس بن مُحَمَّد بن عَبَّاس مدينة لَارْدَة وعملها، وعقد له بها، فخرج نحوها يوم السبت لسبع خلون منه، فلما كان في ليلة الجمعة لعشر بقين منه وصل إلى قُرْطُبَة العارضان، مُحَمَّد بن يَغْلَى وابن أخيه يَغْلَى بن أحمد، عيال الوزير أحمد بن يَغْلَى وأعوانه وثقله، التقيا بهم في طريق سَرَقُسْطَة مُقبِلين، فانصرفا بهم.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول رأى الخليفة، المستنصر بالله، إيقاع اسم القيادة العليا على الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَن، تشريفاً له وتنويهاً بذكره لحמיד غنائه وجميل مقامه. ووقع له بذلك إلى الوزراء على ظهر كتاب كان خاطبه به منتصفاً له في معاني الجند والارتباط الذين إليه، قصد منها نصيحته والاحتياط على المال. فحسن موقعه منه، وأخرج كتابه إلى الوزراء فوقّع على ظهره بخط يده: «هذا ما تضمنه غَالِب لنا بلسانه وأبانه عندنا وبين أيدينا له صامتاً ثم حَطُّه بيمينه في كتابه هذا، وقد قبلناه وأمضيته ورَضِيناه وأجزناه، فليلزم توقيعنا هذا، ويستقر في البيت عندكم، إن شاء الله، وَرَأَيْنَا أَنْ نُوقِعَ اسم القيادة العليا على غَالِب مولانا لغنائه وجميل مقامه، فلا يُخَاطَب من الآن إلا به تشريفاً له، إن شاء الله، واللّه المستعان».

وفي [يوم] الإثنين غرة جمادى الأولى منها، هجمت على الوزير، صاحب المدينة بِقُرْطُبَة، جَعْفَر بن عُثْمَان، علّة شديدة، فلما صار في بحرانها^(٤) يشس من الحياة، ولم يشك في حلول القضاء به، فخاطب الخليفة المستنصر بالله يذكر ما هو عليه من الإشراف على المنية، وأنه لا يشك في انصرام مُدَّتِهِ ويسأله أن يخلفه في بيته

(١) الرَّمَقُ: بقية الروح.

(٢) سَرَقُسْطَة: بلدة مشهورة، تتصل أعمالها بأعمال تُطِيلَة، ذات فواكه طيبة عذبة، مبنية على نهر كبير، ولها شهرة بصناعة الثياب. (معجم البلدان، الحموي: ٢١٢/٣).

(٣) تُطِيلَة: مدينة تقع شرقي قرطبة، وتتصل بأعمال أشقة. وهي شريفة البقعة، غزيرة المياه، كثيرة الأشجار والأنهار. (معجم البلدان، الحموي: ٣٣/٢).

(٤) البُحْرَانُ: التَّعْيِير الذي يحدث للعليل فجأة في الأمراض الحُمّية الحادة، ويصاحبه عرق غزير، وانخفاض سريع في الحرارة.

وأهله، الخلافة العالية، على ظنة الخليفة عليه، واغتمَّ لشدة حاله، ووقَّع إليه مخاطباً مجاوباً بخط يده على ظهر كتابه:

«قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك ووقوع يأسك وارتفاع رجائك، فعظم علينا ذلك وكثر غمنا به، وأشفقنا منه، ونرجو أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لا بُدَّ من كونه قريباً أو بعيداً، أو تخطأنا، فكل ما سألت ورغبت في نفسك وأهلك ومن تتخلف، فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأمَلَّته ورجوته، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا لما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك^(١) ومحمود صحبتك. وإنَّا لم يرد علينا من قبلك وناحياتك قط ما أغمنا ولا ما أنكرنا ولا سوء ثناء قط بشيء، ظاهراً ولا باطناً، فإن تكن المصيبة فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وإن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديد إفضاله وجميل بلائه، وعلى كل أحواله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فَجَرَى من قَدَر الله تعالى أن أفرقَ جَعْفَر من مرضه، واستبل^(٢) واستوى نُقُوه^(٣)، فركب إلى الزهراء أول ركة كانت له يوم الثلاثاء لتسع خلون من جمادى الأولى منها، وتوصل إلى الخليفة وشهد مجلس الرأي بين يديه مع الوزراء أصحابه. وفي غرة جمادى الأولى منها بلغت جَرَاية جَعْفَر بن عليّ الأندلسي، الأمين المستأمن إلى الخليفة المستنصر بالله؛ وابنه إبراهيم، إلى ثمانمائة دينار وازنة لكل شهر.

وفي يوم السبت لثمان خلون منه أمر الخليفة المستنصر بالله صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نُضَر بتوسيع المحجة العظمى بسوق قُرْطُبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها وهذ^(٤) الحوانيت المتحيقة^(٥) لعرضها، المضيق لسبيلها، كيما ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين، نظراً منه لكافة المسلمين واهتبالاً بمصالحهم، فاتم ذلك على ما خُدَّ له.

وفي يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الأولى وصل إلى قُرْطُبة قسطنطين الملقى، رسول صاحب القسطنطينية، المقدم على مملكة الروم فسعى في قتله هذا الملك الذي أنفذ رسوله هذا إلى الخليفة المستنصر بالله، واسمه أبو السمسقين.

(١) الحُرْمَةُ: ما لا يحلُّ انتهاكه من ذمَّة أو حقٍّ أو صحة، يقال: تحرُّم منه بحرمة: تحمَّى وتَمَنَّى، وتحرُّم بفلان: عاشره ومالحه وتأكدت الحرمة بينهما.

(٢) استَبَلَّ فلان من مرضه، وأَبَلَّ، وإَبْتَلَّ، وَبَلَّ: بَرَأَ وَصَحَّ.

(٣) النُّقُوه: يقال: نقَّه من مرضه نقَّهاً ونُقُوهاً: بَرَأَ، ولا يزال به ضعف.

(٤) هَذَّ البناء ونحوه: هَدَمَهُ.

(٥) الْمُتَحَيِّقَةُ: الْمُتَقَشِّصَةُ، يقال: تَحَيَّقَ الشَّيْءُ: أخذه من حافاته وتَقَشَّصَهُ.

وليس من أهل بيوت مملكتهم بل كان هو الدُمُسْتَقُّ ليعْفُرْنَ^(١) قبله، فانتزى^(٢) مكانه، فكرم الخليفة رسوله، وأمر بإنزاله في مُنْيَةِ البنتي، وأُجْرِيت عليه الجراية الواسعة.

وفي هذا التاريخ توصل إلى أمير المؤمنين يَحْيَى بن هُذَيْل بن رَزِين وبنوه وبنو أخيه المَتَوَفَّى مَرْوَانَ بن هُذَيْل، وكانوا أربعة، أحمد وعَبْد الرَّحْمَنِ وَمَسْرُوراً وَحُسَيْناً وَلُبّاً وَعِيسَى بن مروان، فرساناً نبهاء، فبسطهم وأثنى عليهم ووعدهم بجميل، وقسم بينهم عمل والدهم مروان أقساماً، سجل لكل واحد منهم على قسطه منها عن تراض منهم واتفاق بمحضر الوزراء في بيتهم، وعَمَّ جميعهم بالخَلْع الفاخرة ورُدُّوا^(٣) بالسيوف الحالية، ووُفِّرَ من ذلك حظ عمهم يَحْيَى وبنيه فانقلبوا بِغَبْطَةٍ، وذلك في عقب جمادى الأولى منها.

وفيه قَدَمَ مُحَمَّد بن أبي قادم وأحمد بن قَاسِم بن قَلْزَم إلى أمانة الأهراء، وقَدَمَ مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي غَامِر إلى خُطَّة الشرطة الوسطى مجموعاً له إلى ما في يده من خُطَّة المواريث والقضاء بإشبيلية ووكالة الأمير أبي الوليد هِشَام، فارتفعت منزلته في الدولة وأُزِيحت عنه خُطَّة السكة^(٤)، فتقلدها صاحب الشرطة العليا القائد بَجَيَّان، يحيى بن إدريس. فلم يستقل يحيى بأمر السكة ولا تهيأ له قعودٌ فيها ولا ضَرْب ديناراً ولا درهماً إلى أن صُرِفَ عنها بأحمد بن حُدَيْر في صدر رمضان من هذه السنة، ثم أُضِيقت إليه الخزانة في شهر جمادى الأولى فاستقلَّ بِالْعَمَلَيْنِ.

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الآخرة منها نزل بِقَرْطَبَةِ غَيْثٍ وابل، ودخل شهر إبريل العجمي فجاء الحضرة رعدٌ شديد وأنواء مكفَّهَةٌ^(٥).

وفي آخر رجب منها سَجَّل الخليفة المستنصر بالله للخمسة من ولد عمريل بن تيملت المغربي المَتَوَفَّى: عبد الرَّحْمَنِ وحكم ومضا وغالب وزروال، على عمل أبيهم عمريل، مُسَهِّماً فيه بينهم على رضئ منهم وتسليم بين يدي الوزراء في بيتهم، وَعُمُّوا بالخلع ورُدُّوا بالسيوف الحالية حسبما فعل ببني رزِين نظرائهم، وانقلبوا مَغْبُوطِينَ إلى بلدهم.

وفي صدر شعبان منها صفح الخليفة عن فَتْح الحَجَّام الخصي، مولى الناصر وَمُزْنِيه، وكان مسخوطاً مسجوناً بداره، فأذن له في الخروج والتصرف من غير استخدام ولا تقريب.

(١) يعفرون: هو تقفون الثاني إمبراطور القسطنطينية.

(٢) انتزى على الشيء: نزا عليه: وَتَبَّ، وانتزى به قلبه إلى الشيء: طَمَحَ ونَازَعَ إليه.

(٣) رُدُّوا بالسيوف: أَلْبَسُوها، يقال: رَدَّى فلاناً: ألبسه الرِّداء.

(٤) السُّكَّة: حديدة منقوشة، تُضْرَب عليها النقود.

(٥) المَكْفَّهَةُ: المَتْرَاكِبَة، ويقال: سحاب مَكْفَّهَرٌ: غليظ أسود، وعام مَكْفَّهَرٌ: عابسٌ مُجْدِبٌ.

وفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة منها أوقع صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أَفْلَح عن عهد الخليفة بالعصبة البُطْرَاء من أهل قُرْطَبَة المُسْتَخْفَيْن بالطاعة، الصائِلين بِذَرْبِ^(١) الألسنة، أَنبَهُم عِيْسَى بن قَرْلَمَان^(٢) الملقب بالزبراقة، الكاتب الشاعر، ومؤنس الكاتب، مولى الأخ المنذر بن الناصر، وأحمد بن الأسعد الملقب بِصَدَّام الكاتب، وجماعة إليهم، رُمُوا بالاستخفاف والتعطيل والعَمَص^(٣) للخليفة والرُتُوع^(٤) في أعراض الناس ونشر مثالبهم^(٥)، في أشعار يجتمعون على صَوْغها ويتبارون فيها. فرأى أمير المؤمنين رفع أذاهم وقَطَعَ مضرَّتَهم بنفيهم^(٦) من الأرض وإيداعهم السجن والإبلاغ في إهانتهم جزاء بما كسبت أيديهم وما زُورَتْ^(٧) أَلْسنتهم، وما الله بظلام للعبيد. فأحْفَى^(٨) الطلب عنهم وأودع السجن من ظفر به منهم، وفات بعضهم، فكان ممن ألحف^(٩) الطلب له والبحث عليه من مُسْتَخْفِيهِمْ، يُوسُف بن هارون البَطْلَيْوسِي الشاعر المعروف بأبي جنيش^(١٠)، زعيمهم، غاب مدة والطالب له حثيث والفداء عليه مُتَّصِل، فلما أيقن أن البقاع لا تليقه^(١١) والأرض لا تحمله، أهدى نفسه كالعبد مُسْتَبْسِلاً لِحَتْفِهِ^(١٢)، فأقبل مغيراً طلعتة، شاداً حيازيمه^(١٣)، واضعاً لبداً^(١٤) له فوق رأسه كيما يَتَوَطَّأه^(١٥) في السجن، فلم يُؤَبِّه^(١٦) له حتى انتهى إلى باب السجن بالزهراء، فقال لِيَوَّاه: أنا فلان المطلوب الذي تعلمون

(١) ذَرَبُ الألسنة: سَلَطْتُهَا وَجَدْتُهَا وَفُحْشُهَا.

(٢) هو عيسى بن عبد الله بن قَرْلَمَان، أبو الأصْبَغ الخازن: شاعر مشهور، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، ولم يذكر تاريخ وفاته. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٩١).

(٣) العَمَصُ: التحقير والاستصغار والازدراء.

(٤) رَزَعَ في لحمه رُتُوعاً: اغتابه، وَرَزَعَ في أعراض الناس: تناولها بالسوء.

(٥) المثالب: العيوب.

(٦) النَّفْيُ: عقوبة تقع على الشخص بإبعاده خارج البلاد قسراً.

(٧) زُورَتْ أَلْسنتهم: كذبت، وموَّهت، وزِيَّت الباطل.

(٨) أَحْفَى الطلب: ألْحَ واستقصى.

(٩) ألحف السائل: ألْحَ.

(١٠) هو الشاعر يوسف بن هارون الرمادي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

(١١) لا تليقه: لا تمسكه.

(١٢) الحتف: الهلاك.

(١٣) الحيازيم: جمع حيزوم: الصدر أو وسطه.

(١٤) اللَّبْدُ: الصوف.

(١٥) يَتَوَطَّأه: يدوسه، ينام عليه، يتخذه وطاءً: أي مهاداً.

(١٦) لم يُؤَبِّه له: لم يهتم به أحد.

خبره قد أتيتكم بنفسي، ولا مرحب^(١) بي، فَضْمُونِي فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، وَعَرَفُوا صَاحِبَ الْمَدِينَةِ بِخُصُولِي. فَابْتَدَرُوهُ وَأَوْصَدُوهُ^(٢) وَعَجَلُوا إِلَى صَاحِبِ الْمَدِينَةِ، مُحَمَّدَ بْنِ أَفْلَحَ، بِخَبْرِهِ، فَأَمَرَهُمْ بِتَقْدِيمِهِ إِلَى مَجْلِسِهِ بِكَرْسِي الشَّرْطَةِ، بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ، مَتَلُولًا^(٣) بِحَبْلِ فِي عُنُقِهِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَقِيدَ بَرْمَتُهُ مِنْ بَابِ السَّجْنِ إِلَى كَرْسِي الْمَدِينَةِ، وَكُتِبَ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَفْلَحَ، إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ يَعْرِفُهُ بِمَكَانِ يُوسُفَ وَمَا كَانَ مِنْ إِذْعَانِهِ وَمَجِيئِهِ مِنْ ذَاتِهِ خَاضِعًا مُحْكَمًا فِي نَفْسِهِ، فَرَقَّ لَهُ الْخَلِيفَةُ وَعَهْدَ بِإِطْلَاقِ سَبِيلِهِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ بْنِ هَارُونَ، أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْحَكَمُ بِإِطْلَاقِ سَبِيلِ عِيسَى بْنِ قَزْلَمَانَ، الْكَاتِبِ الشَّاعِرِ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ تَقَدَّمُ سَجْنَهُمْ بِمِثْلِ جَرِيرَتِهِ^(٤)، فَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمْ بِخَزْنِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَالِاتِّقَاءِ لِمَعَاوِدَةِ قَرَفَتِهِمْ^(٥)، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، وَذَلِكَ فِي عَقَبِ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لَثْمَانِ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْهَا، قَدِمَ قُرْطُبَةَ أَوْلَادُ الْوَزِيرِ الْقَائِدِ الْعَاصِي بْنِ حَكَمِ التُّجَيْبِيِّ صَاحِبِ قَلْعَةٍ^(٦) أَيُّوبَ الْمُتَوَفَّى فِي هَذَا الْوَقْتِ وَهُمْ: حَكَمٌ وَأَحْمَدُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ وَلُبٌّ، وَأَقْبَلَ مَعَهُمْ قَاضِي الْبَلَدِ، مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ، وَصَاحِبُ الصَّلَاةِ فِيهِ، يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ، النَّافِذُ عَزْلَهُمَا عَمَّا كَانَا يَتَوَلَّيَانِهِ، وَالِاسْتِبْدَالُ مِنْهُمَا مَعًا بِالْفَقِيهِ مُحَمَّدَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ الْحَاجِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَطْرِيُولِيِّ، جَمَعَا لَهُ مَعًا؛ وَقَدْ كَانَ مُتَقَدِّمًا فِي الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ وَالْفَضْلِ، فَأَدْنَى الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ مَكَانَ الْفَتَاةِ أَوْلَادِ الْعَاصِي وَكَرَّمْ مِثْوَاهُمْ^(٧) وَأَقْرَاهُمْ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، وَأَمَرَ بِسَجْنِ مُحَمَّدَ بْنِ دَاوُدَ الْمَعْزُولِ عَنْ قِضَاءِ قَلْعَةِ أَيُّوبَ، وَيُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبَ الصَّلَاةِ بِهَا، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَاتِبَ الْعَاصِي الْقَادِمَ مَعَهُمْ لَجَرَائِرِ نَقْمِهَا عَلَيْهِمْ.

وَفِي عَقَبِ رَجَبٍ مِنْهَا وَرَدَ كِتَابُ الْوَزِيرِ الْقَائِدِ الْأَعْلَى غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي غَالِبِ وَزُرْوَالٍ وَحَكَمٍ، يَصِفُهُمْ بِالْبَاسِ وَالْحَزْمِ، وَيُشِيرُ بِتَقْلِيدِهِمْ عَمَلَ وَالدَّهْمِ

(١) المرحب: السعة، ويقال في الترحيب: مرحباً بك، أي أنزل في الرحب والسعة، ويقال في الدعاء عليه: لا مرحباً بك.

(٢) أوصدوه: ضيقوا عليه وأرهقوه، أو حبسوه.

(٣) المتلول: الملقى على عنقه وخذه.

(٤) الجريمة: الجناية، الذنب.

(٥) القرقة: التهمة.

(٦) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جلييلة القدر، من أعمال سرقسطة، كثيرة الأنهار والأشجار، وكان فيها عدد من الحصون. (معجم البلدان، الحموي: ٣٩٠/٤).

(٧) المثوى: المقام.

عمريل بن تيملت، فأُجيب إلى ذلك، وسجل لعبد الرّخْمَن منهم على حصن «بوذيل»، ولأخيه غالب على حصن «عتيقة»، ولأخيها مضا على «بنه رويه»، ولأخيهم زروال على «الصخيرة»، وكرموا بالخلع والجوائز.

وكان الخليفة الحكم قد رتب المعروف بابن أبي عَمْرُوس العريف، وسعيداً صاحبه، المسلمين الماهرين بالخدمة، المعروفين بصدق اللهجة، للسفارة بينه وبين ملوك جليقية ولقاء قواميسها والتردد إليهم كل وقت لتعرف أخبارهم والتجسس لأنبائهم، وحمل الكتب إليهم كل وقت، وصرفها عنهم، فيصح الصحيح وتحسن الفائدة^(١).

وفي غرة شهر رمضان منها جدد الخليفة المستنصر بالله الحكم، عادته التي لا يخلّ بها، من إفشاء الصدقات ومظاهرة القربات، سراً وعلانية، فنعش الله بمعرفه أمة من ذوي الحاجة.

وفي عشي يوم الأحد، أول أيّامه، أوصل الخليفة إلى نفسه الفقيه أحمد بن مُحَمَّد بن يُوسُف الملقب بالقُسْطَلِي^(٢) فأمره بالتأهب لتعليم ولده الأمير أبي الوليد هِشَام، وأحسن وصاته به ورسم له في تعليمه وتدريبه رسوماً أقادّه عليها ولم يَغْدُ عنها، نفع الله الولد بها. وكان قد أمر بتطرية الدار المعروفة بدار الملك بقصر الزهراء وتنجيدها وإقامة كل ما يحتاج إلى إقامته وإعداده بها وفي الطريق إليها، وفتح باب غربي في فصيل الفتيان بها، يقترب عليه الخروج منها إلى هذه الدار، فيكون قعوده مع مؤدبه المذكور في المجلس الشرقي منها، بأيمن طائر. فقضي ذلك كله وأحكم شأنه، فكان جلوس الأمير أبي الوليد مع معلمه في المجلس المذكور من الدار المحدودة يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان. واستخف الخليفة الحكم السرور بما هياه الله من ذلك، إلى أن برز إلى هذا المجلس نهاره هذا لتقع عينه على ابنه وتشاهد كيف صبره على الثقاف الذي لَزَّهُ^(٣)، فعابن من ركانة^(٤) مجلسه وطلاقة وجهه وإقباله على معلمه وسكون جأشه ما قرّت به عينه وتجددت معه مسرّته، فبادر بإخراج مالٍ واسع إلى صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر بعينه^(٥) ليفرقه على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل، شكراً لله تعالى على جليل منته عليه في قرّة عينه وسلالة مجده. وعهد بعقد استثمار الفقيه أحمد بن يُوسُف معلم الأمير أبي الوليد

(١) يبدو أن هذه الجملة قد وُضعت في غير موضعها، لذلك لم يتّضح معناها، أو المراد منها.

(٢) هو أبو القاسم، أحمد بن محمد بن يوسف المعافري: فقيه، أديب، ولي أحكام الشرطة، وحدث، وتجوّل في بلاد المشرق، ولم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته.

(٣) لَزَّهُ: شدّه وألصقه به.

(٤) الركانة: الرزانة والوقار، يقال: رَكَنَ ركانةً، وركونة: رَزَنَ وَوَقَر.

(٥) بعينه: أي تحت بصره وملاحظته.

هشام بإجراء الرزق عليه: الراتب والحملان والعلوفة. وعهد بإقامة علوفة للأمير أبي الوليد محدودة العدد موصوفة الأطعمة تُقدَّم إليه وإلى من معه من صبيانهِ كل يوم بموضع حِضارِهِ ذلك. وأمر بتقديم ذكاء، الوصيف الكبير الخصي، ناظرًا للأمير أبي الوليد قَيُومًا^(١) على جميع صبيانهِ متكفلًا لشأنهِ.

وفي يوم الإثنين لخمسِ خلون من رمضان منها توصل إلى الخليفة المستنصر بالله فائق مولاه، خال الأمير أبي الوليد هشام، فقدَّمه من خطة العرض إلى خطة المخزول. وأوصل إلى نفسه أصحاب المخزول، وأعلمهم بما رآه من إنهاض فائق هذا إلى المخزول مُشركًا معهم.

وفيه ولي أضحى بن مُحَمَّد بن فُطَيْس نصف كورة رِيَّة وخُوطب بكتاب نسخته: «بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيم: أما بعد، فإنما تُستدام النعمة بشكرها، وتُعرف النصيحة باستعمالها، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة، فاسح للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك، أو بحسب نقصك وتقصيرك، فاستعن بالله وخذ بالرفق في أمرك، وقلة الرغبة في شأنك، واجتنب التحامل على رعيك، فإنها من حَفِي عناية أمير المؤمنين بموضع لا يُترك معه البحث عن أحوالها والكشف عن سيرتك فيها إن شاء الله. ورأى تقليدك شطر كورة رِيَّة، وهي من أهم كور الأندلس عليه، برأ وبحراً، وجباياتها وضياعها، فانظر أي خادم تكون، وشاكراً للنعمة تظهر، إن شاء الله».

وفي يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها دار بين الطنجيين والملحقين من طوائف الجند عند اجتماعهم بباب السدة من قصر قُرْطُبة تنازع أفضى إلى التصايح، فتطاول بعضهم على بعض، واختلط بهم سواد أهل قُرْطُبة متعصبين على الطنجيين، فنالت الطنجيين جراحات فاشية، وركب لتسكين الهيعة الناظران في الحشم الوزير مُحَمَّد بن قاسم بن طُمْلَس، وصاحب الخيل زياد بن أفلح، والمخلف على المدينة بِقُرْطُبة مُحَمَّد ابن الوزير جَعْفَر بن عُثْمَان، وبين أيديهم طبقات من الجند فقبضوا على كثير من الطنجيين وأوقعوا بهم وسجنوا كثيراً منهم فهدأت الهيعة^(٢).

وفي يوم الخميس لخمسِ خلون من شهر رمضان منها استدعى الخليفة المستنصر بالله إلى مجلسه الخاص مع الوزراء أصحاب الخيل الناظر في الحشم

(١) القَيُوم: القائم الحافظ.

(٢) الهَيْئَةُ: الفتنة.

زياد بن أفلح مولاه وصاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان فأمرهما بالتأهب للخروج قائدين على صائفة هذا العام المجردة^(١) إلى الغرب لما لا يزال يتوقع من عادية المجوس الأرذمانيين الطارقين له - أهلكهم الله - فأخذا في ذلك .

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت منه عهد إليهما الخليفة باستعجال الخروج، فركبا في يوم الخميس بعده إلى قصر قُزُطْبَة والخليفة مقيم به، فتوصلا إليه وعرفاه بتمام أهبتهما، فحدَّ لهما في وجههما ذلك حدوداً أمرهما بالتزامها من استشعار الحزم واجتناب التواني والأخذ بأمحض الرأي^(٢) المقارن للعزم واستخارة^(٣) الله تعالى في جميع الأمر والإفاضة^(٤) مع أولي الرأي فيما يقع عليه التدبير، فأصغيا لوصاته وتزودا من دعائه وأمر بمسرتهما بما أعده لهما من الخلع الفاخرة والعمائم السريّة والسيوف الحالية . وأمر لهما بعلمين وعقدتين من أرفع أعلامه يرفعان صدر ما أخرج معهما من العدة، وبمظلٍ رفيع يجتمعان فيه للنظر ويغشاهما فيه وحده، بعثهما إبلاغاً في تشريفهما . فنفذ ذلك كله لوقته، وتوافى بباب القصر طبقات الجند وصنوف العدد المرسلين معهما، فاندفعا خارجين لوقتتهما على باب الجنان من أبواب القصر، والمراكب بين أيديهما ومن خلفهما على المصاراة إلى الناعورة، وقد برز إلى النظر إليهما من الخاصة والعامة خلائق لا يحصيهم إلا خالقهم - عزّ وجهه - فنفذا لسييلهما .

ذكر احتياج حروب العُدوة

مع حسن بن قنن الحسني وما يتعلق بذلك

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها، دعا الخليفة المستنصر بالله الوزير الناظر بالحشم محمد بن قاسم بن طُمُلس فعهد إليه بالتهيؤ للخروج إلى مدينة سَبْتَة سَبْتَة أَعْجَل ما يقدر عليه، قائداً لما يضمه إليه من طوائف الأجناد ويقويه من ضروب العُدَد والعتاد^(٥)، للذي بدا من نقض حسن بن قنن الحسني المارق المشترف للعهد، ونبذه للولاية وانحرافه إلى دعوة قرينه مَعَدَّ بن إسماعيل صاحب إفريقية المُجَدَّ له في الضلالة وانضوائه إليه واستدعائه من دنا منه من أحزاب ضلالتة، مستعيناً بهم فيما اعتزم عليه من شقاقه وإعلانه بإيقاع الدعاء له على منابر عمله .

(١) المُجَرَّدَةُ: المُخَرَّجَةُ.

(٢) أمحض الرأي: أخلصه.

(٣) استخار الله: طلب منه الخير.

(٤) الإفاضة: التَّوَسُّع في الحديث ونحوه.

(٥) العتاد: عُدَّة كل شيء، وعتاد الحرب: الأسلحة والدواب وغير ذلك.

فتقدم في توصيته بتقوى الله ربه، وإيقاظ رأيه وعزمه، واستعمال جهده وجده في مغاورة الفاسق حسن، وإخماد ناره، وأمره أن متى أظهره الله تعالى على طائفة من أنصاره أو المقتربين به أو غلب على أهل أرض ممن في طاعته، أن يأخذ بالعفو ويؤثر الصفح ويقبل واضح العذر ويحسن التجاوز، مذكراً حمد الله تعالى وشكره، موجباً طاعته، متحريراً العدل في سيرته، معتقداً أعمال حسن النية في حب السلامة وإيثار العافية وإصلاح البلاد والاستصلاح للرعية؛ وليحفظ من حق الله تعالى فيهم ما ضيعوه، فإن خير الولاية من يصلح منهم ما أفسدت من أنفسها الرعية بحفظ ما أضاعت من أمورها وجمع ما افترقت من شؤونها. وأمره أن يستعين بمن دخل في طاعته ووفى ببيعته وعهده على من أدبر عنه، فإن إقبال المدبر بعد إدباره وطاعة المطيع بعد عصيانه فت في أعضاء أهل المعصية وحجة على أهل المخالفة. وأمره بإقامة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في أرض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى ويظفر بأهلها ويمحو منها آثار الشيعة المارقة ويعلي سنة الأئمة الراشدين حتى ينالهم من بركة ذلك وحلاوته وفضله ومثته ما نال الجماعة من رعية أمير المؤمنين، بحول الله وقدرته.

فلما أن حان خروج الوزير محمد بن قاسم من بين يدي أمير المؤمنين خلع عليه منديل مشدود مترع^(١) من خلع تنقأها^(٢) له من ثياب الخز العبيدي والعائم الشروب المثقلة، وفوقها سيف ضروب منسوب النصل ثقيل الحلية، ومع ذلك بدرة من خمسمائة دينار دراهم. فقعد محمد بقية يومه هذا مع الوزراء أصحابه لتتيمم أعطية الجند الخارجين معه، ثم فصل محمد خارجاً لوجهه يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من رمضان المؤرخ وحوله من طبقات الأجناد وبين يديه من العدد ووراءه من الأنقال ما يتجاوز الوصف ويملا الأعين، فاستمر به سيره فكان ركوبه البحر من الجزيرة يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من شوال منها. ولاقى ريحاً طيبة سهل الله عليه العبور وعلى من معه من الأجناد فصار جميعهم بسبته^(٣).

وفي هذا اليوم بعينه احتل فيها صاحب الشرطة قائد البحر عبد الرحمن بن رُماحس بالأسطول فتكاملت بها الجيوش، وصار الوزير ابن طملس في عقب شوال إلى مدينة تطاون، فألفاها خالية، فتقدم منها إلى مدينة طنجة^(٤).

(١) مُترَعٌ: مُتملىء.

(٢) تَنَقَّأَها: بلدة مشهورة، من قواعد بلاد المغرب، تقابل الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. وهي مدينة حصينة، تشبه المهديّة. (معجم البلدان، الحموي: ١٨٢/٣).

(٤) طَنَجَة: مدينة على ساحل بحر المغرب، مقابل الجزيرة الخضراء، وهي من بلاد البربر، وبينها وبين سبته مسيرة يوم واحد. (معجم البلدان، الحموي: ٤٣/٤).

فلما كان يوم السبت لتسع بقين من رمضان منها أوصل الخليفة المستنصر بالله إلى نفسه قيصر وسعداً الجزري ورشيقاً من وجوه موالي أبيه، الناصر لدين الله، وإسماعيل بن [عبد الرّخْمَن بن] الشيخ، وعبد الرّخْمَن بن يُوْسُف بن أرمطيل، وعبد الرّخْمَن بن أبي جَوْشَن من أكابر الأحرار، فأمرهم بالتأهب للغزاة في الأسطولين المجهزين، أسطول إشبيلية وأسطول المَرِيَّة، وخلع على جميعهم، وردّوا بالسيوف الحالية، ودفعت إليهم الصلات الوافرة، فكان خروجهم لوجههم من مدينة الزهراء يريدون إشبيلية، وبين أيديهم أحمال العُدْوَة، يوم الخميس لسبع بقين منه.

وفي هذا الوقت وُلِّي علي بن مُحَمَّد بن أبي الحُسَيْن الشرطة الصغرى مجموعة له إلى عمل القضاء بالشعر، وبلغ رزقه إلى ثلاثين ديناراً، وقُدِّم أخوه حسن بن علي إلى الشرطة الصغرى أيضاً إلى ما يليه من قضاء الشعر في اليوم بعينه.

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى العيد بالاستهلال الفاشي، يوم الثلاثاء السادس عشر من يوليه العجمي، وقعد فيه الخليفة المستنصر بالله للتهنئة على العادة، فوق السرير في المجلس الشرقي في السطح العلوي، وقامت المراتب والتهنئات والتعبثات في نهاية التمام وجودة النظام، وشهد الإخوة فقعد منهم عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبغ، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسم الأصبغ، وقعد الوزراء بإثرهم بعد فرجة، وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بَقْرُطَبَة جَعْفَر بن عثمان وتحتة الوزير صاحب الشرطة العليا مُحَمَّد بن سَعْد، وتحتة صاحب الشرطة الوسطى مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عامر، فانتظم الصفان بعدهم من طبقات أهل الخدمة على مراتبهم. وتوصلت إلى الخليفة رجالات قريش والموالي والحكام وقضاة الكُور والفقهاء أهل الشورى وغيرهم، والعدول وبياض قُرْطَبَة ووجوهها. وشهد في هذا النهار يحيى بن مُحَمَّد بن هاشم التَّجِيبِي المنتشل من النكبة، فقعد تحت الوزير عُبيد الله بن عبد الله الزجاجي، وقعد تحتة جَعْفَر بن علي المستأمن إلى الخليفة، وَحَجَبَ أخوه يحيى وابنه إبراهيم بن جَعْفَر في صف القيام تحت الخزان. وكان المحفل يومئذ عظيماً قامت فيه الخطباء والشعراء مرتجلين للقول ومنشدين للشعر، فكان من أحسن ما أنشد الخليفة يومئذ قول مُحَمَّد بن حُسَيْن الطَّبَنِي في قصيدة مطولة حسنة أولها: [من الكامل]

عَرَفَ الدِّيَارَ وَرَاحَ غَيْرَ مُعَرِّجٍ صَدَّ الْخَلِيَّ يَشُوْبُهُ نَظْرُ الشَّجِي^(١)

(١) عَرَّجَ عليه: مال، وعَرَّجَ بالمكان: نزل به. يَشُوْبُهُ: يُخالطه، يمازجه. الصَّدُّ: الإعراض والهجر. الْخَلِيُّ: من لا هَمَّ أو حَبَّ يشغله. الشَّجِي: الحزين، الكئيب.

قَسَمَ الضَّمِيرَ عَلَى وَقُوفٍ مُرْمِضٍ وَعَلَى مَسِيرٍ لِلْجَوَانِحِ مُزْعَجٍ^(١)
شَوْقُ إِقَامَتِهِ وَشَوْقُ ظَلْعَتِهِ فَمَتَى يُرْجَى فُزْجَةُ الْمُتَفَرِّجِ^(٢)
هَتَفَتْ مُطَوَّقَةُ الْجَنَاحِ فَهَيَّجَتْ بَعْدَ النَّزْوَعِ دَفِينِ ذِكْرِ مُبْهَجِ^(٣)
طَفِقَتْ تُؤَلِّفُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ جَوَى وَتَزِيدُ فِي إِنْضَاجِ قَلْبٍ مُنْضَجِ^(٤)
مَعشوقَةُ التَّفْوِيفِ تُمَقِّ جِيدُهَا مَا بَيْنَ مَوْشَى وَبَيْنَ مُدَبَّجِ^(٥)
تُزْهِى بِسَلَكِ عَقْدِهِ لَمْ يَنْقُطِعْ وَجُمَانُهُ الْمَنْظُومُ لَمْ يَتَدَحَّرْجِ^(٦)
يَابِنِ الْخِلَافِ قَدْ عَرَجَتْ إِلَى الْمَدَى بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى بِأَكْرَمِ مَغْرَجِ^(٧)
وَنَصَرَتْ أُمَّةٌ أَحْمَدٍ وَحَمَلَتْهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ عَلَى بِيَاضِ الْمَنْهَجِ^(٨)
وَلَقَدْ حَفِظْتَ وَدِيعَةَ اللَّهِ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَ حَفْظَ الْخَائِفِ الْمُتَحَرِّجِ^(٩)
وفيها:

مَا أَنْتَ إِلَّا نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي هِيَ لِلْغَنِيِّ وَلِلْفَقِيرِ الْمُتَرَجِّي
وَلَكَ الْبَقَاءُ فَإِنْ عَيْشَكَ رَحْمَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَظِلُّ عَيْشٍ سَجَسَجِ^(١٠)
فَابْهَجْ بِفَطْرِكَ فِي السَّرُورِ وَلَا تَزَلْ تَطْوِي وَتَنْشُرُ أَلْفَ فِطْرِ مُبْهَجِ
حَجَّتْ لَوَاحِظٌ مِنْ رَأَى، وَقَدْ رَأَتْ وَضَحَ الْهَلَالِ لَوَاحِظٌ لَمْ تَحْجُجِ^(١١)

- (١) مُرْمِضٌ: مَنْ رَمِضَ الشَّيْءَ: اشْتَدَّ حَرُّهُ. الْجَوَانِحُ: جَمْعُ الْجَانِحَةِ: الضَّلْعُ الْقَصِيرَةُ مِمَّا يَلِي الصَّدْرَ.
(٢) الطَّغْنُ: الرَّحِيلُ وَالسَّفَرُ. الْفُزْجَةُ: الشَّقُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، أَوْ انْكَشَافُ الْهَمِّ.
(٣) مُطَوَّقَةُ الْجَنَاحِ: حَمَامَةُ مُطَوَّقَةٌ. هَيَّجَتْ: أَثَارَتْ، حَرَّكَتْ. التَّزْوَعُ: الْحَنِينُ وَالشَّوْقُ. مُبْهَجٌ: مُفْرِجٌ، مُبْرِزٌ.
(٤) تُؤَلِّفُ: تَجْمَعُ. الْجَوَى: حُرْقَةُ الْحُبِّ. انْضَجَ الشَّيْءُ: جَعَلَهُ نَاضِجًا، يُقَالُ: انْضَجَ اللَّحْمُ: شَوَاهُ عَلَى النَّارِ حَتَّى لَا يَنْ وَطَابَ أَكْلُهُ.
(٥) التَّفْوِيفُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفَوْفِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ الرَّقِيقَةِ الْمُوشَاةِ. تُمَقِّ جِيدُهَا: زَيَّنَ. مَوْشَى: مُحَسَّنٌ، مُزَيَّنٌ، مُتَمَنِّمٌ، مُنْقَشٌ. مُدَبَّجٌ: مُنْقَشٌ، مُزَيَّنٌ.
(٦) السَّلْكُ: الْخَيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ فِيهِ الْخَرَزُ وَنَحْوُهُ. الْجُمَانُ: اللَّوْلُو، أَوْ حَبٌّ يُصَاغُ مِنَ الْفِضَّةِ عَلَى شَكْلِ اللَّوْلُو.
(٧) عَرَجَ: صَعَدَ، أَوْ ارْتَفَعَ وَعَلَا. الْمَغْرَجُ: مَكَانُ الْعُرُوجِ.
(٨) الْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ.
(٩) الْوَدِيعَةُ: مَا يَدْفَعُهُ الْمَرْءُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَصُونَهُ عِنْدَهُ وَيَحْفَظَهُ. الْمُتَحَرِّجُ: مَنْ تَحَرَّجَ فُلَانٌ مِنَ الشَّيْءِ: تَجَنَّبَهُ مَعَ احْتِمَالِ مَشَقَّةٍ وَضِيقٍ.
(١٠) السَّجَسَجُ: يَوْمٌ سَجَسَجَ: لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا بَرْدٌ، وَعَيْشٌ سَجَسَجَ: سَهْلٌ، رَغْدٌ.
(١١) الْوَضْحُ: الضَّوْءُ، أَوْ الْبَيَاضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

قمران نَوَّرَ ذا الصَّيَّامَ وَرَدَّ ذَا
وَعَلَى مَجَالِسِهِ بَرُودٌ فَسَيْفِسِ
ضَرِبَتْ جَلَالَتُهُ رَوَاقاً مُحَرِّمًا
مَا اسْتَكْبَرَ الرَّاؤُونَ بِهِجَةً مُلْكِهِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي فِي وَصْفِهِ
تَهْتَزُّ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ حِنَّةً
ومنها في ذكر ولده هشام:

حَصَّنَ بِهِ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
لَهَجَتْ بِبَيْعَتِهِ النُّفُوسُ فَأَخَذَهَا
عُودُ النَّبُوءَةِ وَالْخِلَافَةِ أَصْلُهُ
وَإِذَا تَبَلَّجَ وَجْهُهُ صُبْحٌ مُقْبِلٍ
هُوَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَابُ سُورِهَا
وَارِمَ الْمَشَارِقَ بِاسْمِهِ فَلْيَفْتَحْنِ
وَأَقِمَّ بِهِ أَوْدَ الزَّمَانِ الْأَعْوَجِ
مِنْ وَاجِبِ الْأَشْيَاءِ لَوْ لَمْ تَلْهَجْ
فَالْفَرْعُ مِنْ تِلْكَ الْعُرُوقِ الْوُشْجِ
فَالشَّمْسُ تَحْتَ ضِيَائِهِ الْمُتَبَلِّجِ
فَاعْهَدْ وَسَرِّبْهُ الْأَنَامَ وَأَبْهَجْ
مَا بَيْنَ مِصْرَ إِلَى بِلَادِ الرَّخَجِ

- (١) الْمَحَاقُ: مَا يُرَى فِي الْقَمَرِ مِنْ نَقْصٍ فِي جِزْمِهِ وَضَوْؤُهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ لَيَالِي اكْتِمَالِهِ. الدُّمْلُجُ: سِوَارٌ يُحِيطُ بِالْعُضُدِ.
- (٢) فَسَيْفِسِ (الْفَيْسِفَاءُ): قَطْعُ صَغَارٍ مِنَ الرِّخَامِ أَوْ الْحَصْبَاءِ أَوْ الْخَرَزِ، يُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَكُونُ مِنْهَا صُورٌ وَرُسُومٌ.
- (٣) الرِّوَاقُ: بَيْتٌ كَالْفَسْطَاطِ يُحْمَلُ عَلَى عَمُودٍ وَاحِدٍ طَوِيلٍ، وَرَوَاقِ الْبَيْتِ: مُقَدَّمُهُ. الْمُسْرَجُ: الْمَضَاءُ، الْمُحْسَنُ، الْمَزِينُ.
- (٤) اسْتَقَلَّ الشَّيْءُ: ارْتَفَعَ، وَاسْتَقَلَّ الشَّيْءُ: تَقَلَّلَ. الزَّبْرَجُ: الْحَلِيَّةُ وَالزَّيْنَةُ مِنْ وَشْيٍ أَوْ جَوْهَرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.
- (٥) الْمُتَبَلِّجُ: الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي كَلَامِهِ وَلَا يَبِينُ.
- (٦) الْحِنَّةُ: رِقَّةُ الْقَلْبِ. أَعَزَّ: سَيِّدٌ شَرِيفٌ، مَشْهُورٌ، أَيْضُ الْوَجْهِ. الْأَبْلَجُ: الْوَاضِحُ.
- (٧) الْأَوْدُ: الْأَعْوَجُ وَالْمِيلُ.
- (٨) لَهَجَ بِالْأَمْرِ: أَوَّلَعَ بِهِ فَثَابَرَ عَلَيْهِ وَاعْتَادَهُ.
- (٩) الْوُشْجُ: الْمَتَدَاخِلَةُ، الْمَتَشَابِكَةُ، الْمَلْتَفَةُ، مِنْ وَشَجِ الشَّيْءِ: تَدَاخُلُ وَتَشَابُكُ وَالتَّفُّ.
- (١٠) تَبَلَّجَ: وَضَحَ وَظَهَرَ وَأَسْفَرَ.
- (١١) الرَّخَجُ: أَهْلُ رَخَجٍ، وَهِيَ كُورَةٌ أَوْ مَدِينَةٌ مِنْ نَوَاحِي كَابِلٍ. (لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ: ٣/ ١٦١٥ - رَخَجٌ -).

يَا رَبِّ بَلَّغْهُ جَمِيعَ رَجَائِهِ لِأَبِي الْوَلِيدِ وَزَدْهُ مَا لَمْ يَزْتَجِ
لِيَدُمُ سِرَاجُ اللَّهِ فِي هَذَا الْوَرَى فَضِيَاؤُهُ مِنْ فَضْلِ نَوْرِ الْمُسْرِجِ^(١)
وَقَوْلُ مُحَمَّدَ بْنِ شُخَيْصٍ فِي قَصِيدَةٍ حَسَنَةٍ أَوْلَاهَا: [مِنْ الْخَفِيفِ]
كَأَدَّ أَنْ يَزْحَمَ الْغُدُوَّ الْعَشِيَّ يَوْمَ وَافَاكَ لِلْسَّلَامِ النَّدِيَّ^(٢)
يُؤْنَسُ الْبَعْضُ مِنْهُ بَعْضُ جَلَاهُ وَجْهَكَ الطَّلُقُ لَا الصَّبَاحُ الْجَلِيَّ
قَابَلَ الْفَطْرُ مِنْكَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَهُوَ مِنْ وَفْدِكَ الْكَرِيمِ السَّنِيَّ^(٣)
فَهَنِيئًا لِلْعِيدِ زُورُ إِمَامٍ كُلُّ عَيْشٍ مِنْهُ هَنِيٌّ مَرِيَّ^(٤)
يَحْجِبُ الثُّورَ شَخْصُهُ حِينَ يَبْدُو فَهُوَ لِلنَّاطِرِينَ: بَادٍ جَلِيَّ^(٥)
ذُو جَلَالٍ يُقْصِيهِ سَاعَةٌ يَبْدُو لِمَوَالِيهِ فَهُوَ: دَانٍ قَصِيَّ^(٦)
يَا وَلَاةَ الْوَرَى أَصْبِخُوا لِقَيْلٍ أَنَا فِي نَصِّهِ: جِبَانٌ جَرِيَّ^(٧)
فِي تَوَلِّيِ الْإِمَامِ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ وَعَاةٌ عَنْ جِبْرِئِيلِ النَّبِيِّ^(٨)
غَيْرَ أَنَّ الَّذِي يُضَافُ لَهُ الْأَسَدُ سَمَ إِلَى الطَّاعَةِ التَّقِيَّ الزَّكِيَّ
وَالْمَوْفِي هَذَا وَذَا مَلِكٍ مِنْ سَبْطِ عُثْمَانَ هَذِيَّةُ عُمَرِيَّ^(٩)
جِرَتْ فِي وَضْفِهِ عَلَى أَنَّ قَلْبِي أَحْوَذِيَّ وَمِقُولِي صَنِيرْفِيَّ^(١٠)
وَلِعُمَرِي لَوْ أَنَّ سَخْبَانَ أَنْحَى لِعُلَاهُ لَعَابَ سَخْبَانَ عِيَّ^(١١)

(١) السُّرَاجُ: المصباح. المُسْرِجُ: الذي يُشْعَلُ المصباح.

(٢) النَّدِيَّ: مجلس القوم ومجتمعهم.

(٣) السَّنِيَّ: الرفيع، الشريف القدر.

(٤) الزُّورُ: الزيارة. المَرِيَّ: السهل، اللين، السانع.

(٥) الْجَلِيَّ: الواضح.

(٦) يُقْصِيهِ: يبعده. الْقَصِيَّ: البعيد.

(٧) أَصْبِخُوا: استمعوا. الْقَيْلُ: الملك. النَّصُّ من الشيء: منتهاه، ويقال: بلغنا من الأمر نَصَّهُ: شِدَّتُهُ، ومنه: نَصُّ الدابة: استحثُّها شديداً. الْجَرِيَّ: الكثير الاندفاع في السير.

(٨) تَوَلَّى الْإِمَامَ: طاعته ومبايعته ونصحه. وعاء: فهمه وحفظه.

(٩) سَبْطُ عُثْمَانَ: ولده. عُمَرِيَّ: نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١٠) الْأَحْوَذِيَّ: العالم بالأمر، أو الْمُشْمَرُ في الأمور القاهر لها، لا يندُّ عليه منها شيء. الْمُقُولُ: اللسان. الصَّبْرُ فِيَّ: المتصرف في الكلام الخبير به.

(١١) سَخْبَانَ: هو سَخْبَانُ بْنُ زُفَرٍ بْنِ إِيَّاسِ الْوَائِلِيِّ الْبَاهِلِيِّ: خطيب، يضرب به المثل في البيان والفصاحة. توفي سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م. (الأعلام، الزركلي: ٧٩/٣). عابه: شانه. الجي: العجز عن الإفصاح والتبيين.

وَحَدِيثِي الصِّفَاتِ بَلَّ جَلَّ عَنْهَا
غَيْرَ أَنِّي أَنْصُ مِنْهَا عَلَى قَدِّ
بَهَرَ الْوَاصِفِينَ أَنَّ تُقَاهُ
مَنْ ثَنَى جِلْمُهُ الشُّذَا فَشَذَاهُ
إِنْ أَثِيرَ الْحَدِيثُ وَالرَّأْيُ مِنْهُ
كَيْدُهُ فِي الْعِدَا الْفَنَاءُ الَّذِي [...]]
وَقَدْ أَغْزَيْتَ جَحْفَلًا لَكَ فِيهِ
ومنها في ذكر حَسَنَ بْنِ قَنُونٍ:

كَيْفَ يُزَجَّى بِأَنْ يُوفِّي قَرِيشًا
قَدَّمْتُهُ الطَّغَامُ أَنْ قَالَ جَدِّي
فَيَرَى فِي أُمِّيَّةٍ مَا رَأَاهُ
أَقْصَدْتُهُ أَرَاؤُكَ الْغُرَّ مَا تَقُ
إِنْ لِي فِي الْقَضَاءِ بِالزُّكَنِ صِدْقًا
حَقَّهَا وَهُوَ مِنْ قُرَيْشٍ نَفِيٍّ^(٨)
حَسَنِيٍّ وَلَيْتَهُ حَسَنِيٍّ^(٩)
حَسَنُ الْقَاضِلِ التَّقِيُّ الرَضِيُّ
صَدُّ مِنْ نَافِذِ السَّهَامِ الْقِسِيِّ^(١٠)
لَمْ يَنْلُهُ إِيسَانَا الْمُرْنِيِّ^(١١)

(١) وحدي الصفات: منفرد الصفات. الجَلِّي العَلِّي: الواضح السَّيِّ.

(٢) الْأَبْي: الْمُسْتَعْصِي.

(٣) بَهَرَ: أدهش وحير. مَلَكِي: نسبة إلى الملائكة.

(٤) الْجِلْم: الأناة وضبط النفس، أو العقل. أَبطحي: نسبة إلى بطحاء مكة. مَدْنِي: نسبة إلى المدينة المنورة.

(٥) مالك: هو الإمام مالك بن أنس، صاحب المذهب المالكي عند أهل السنة. توفي سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م.

النخعي: لعله أبو عمر، حفص بن غياث بن معاوية النخعي الكوفي، القاضي، الفقيه، الحافظ، الثقة، المتوفى سنة ١٩٤هـ / ٨١٠م.

(٦) الْغَنَاء: التَّقَعُّ والكفاية.

(٧) الْجَحْفَل: الجيش الضخم الكثير العدد.

(٨) التَّقِي: الْمَطْرُود، الْمُبْعَد.

(٩) الطَّغَام: أراذل الناس وسفهاؤهم.

(١٠) أَقْصَدَهُ: رماه فأصابه.

(١١) الزُّكْن: الفراسة، أو قوة الحدس، أو الظنُّ المُداني لليقين، يقال: زَكِنَ الْأَمْرُ: ظَنَّهُ طَنًّا كان عنده بمنزلة اليقين.

إياس: هو إياس بن معاوية بن قُرَّة المزنِي، قاضي البصرة، الذي يُضْرَبُ به المثل في الذكاء والفطنة، المتوفى سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م.

إنها لإمام بُشْرِى سُورِرِ إذ لأهل الخلاف فيها نَعِي
 حفظ الله بلدة ما عداها بِالمُوالي من الجبَاءِ الحَبِي^(١)
 تُربة لَدَنَّة وَرِيحٌ بَلِيلٌ وَطَلَعٌ طَلَقٌ وَجَوٌّ عَزِي^(٢)
 ثُمَّ مَا شِئْتَ مِنْ رِياضٍ جَنَاهَا بَثْنِي وَنَسْجُهَا عَبْقَرِي^(٣)
 حَكَمَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا إِمَامٌ وَهَشَامٌ لِلْعَهْدِ فِيهَا وَلِي
 ذَا سَمِيٍّ لِمُصْطَفِيهِ، وَهَذَا لِإِمَامِي هُدًى سَمِيٍّ كَنِي^(٤)
 وَهَوٍّ لِمُسْلِمِينَ كِفْلٌ وَفِي بِأَمَانِيهِمْ وَكَفَوْ كَفِي^(٥)
 وَأَحَقُّ الْوَرَى بِشُكْرِ بَنِي مَزْ وَأَنْ [...] جَزَبَهَا الْحَكَمِي^(٦)
 وهي طويلة .

وفي يوم الاثنين صدرَ شَوَالُ منها خرج الموكلون بابن الخال سَعِيدَ المعزول عن ولاية كورة إشبيلية نحو الوزير صاحب المظالم عبد الرَّحْمَنِ بن مُوسَى بن حُدَيْرِ المرسل لإشبيلية لمحنة ما تشكاها أهلها من حَيْفِهِ عَلَيْهِمْ لِيَقْفَهُ مع المتظلمين منهم ويمتحن عليه ما نسبوه إليه من مظالمهم، فينتصف منهم وممن استغدوا عليه من حاشيته وخدمته .

وفي يوم السبت أُعيدَ أَصْبَغُ بن قَاسِمِ بن أَصْبَغِ^(٧) إلى ما كان بيده من قضاء قَرْمُونَةَ^(٨)، ونقل أحمد بن مُحَمَّد بن مُفَرِّج عن قضاء شَدُونَةَ، وأشُونَةَ، وتَاكُرْنَا إلى القضاء بكورة رَيَّة، مكان خالد بن هِشَام صاحب الشرطة الصغرى المعزول عنها في هذا التاريخ .

وللنصف من شَوَالِ منها ورد الخبر بقبض مُحَمَّد بن سُلَيْمَانَ التاجر المعروف

(١) الجبَاءُ: العطاء .

(٢) لَدَنَّةٌ: طَرِيَّةٌ. جَوٌّ عَزِيٌّ: طَيِّبٌ رَاضِيٌّ، يقال: عَذَا الْبَلَدَ عَذْوًا: طَابَ هَوَاؤُهُ .

(٣) الْبَثْنِي: نسبة إلى الْبَثْنَةِ: الروضة، أو الأرض الطيبة الإنبات. الْعَبْقَرِي: الديباج، أو الطنافس الثخان، أو كُلُّ مَا بُولِغَ فِي وَصْفِهِ، وَلَا يَفُوقُهُ شَيْءٌ، يقال: رَجُلٌ عَبْقَرِيٌّ، وَثَوْبٌ عَبْقَرِيٌّ .

(٤) سَمِيٍّ: يقال: فُلَانٌ سَمِيٌّ فُلَانٌ: أَيِ اسْمِهِ مِثْلَ اسْمِهِ . وَفُلَانٌ كَنِيٌّ فُلَانٌ: أَيِ كُنْيَتِهِ مِثْلَ كُنْيَتِهِ .

(٥) الْكِفْلُ: الضَّامِنُ. الْكُفْوُ: الْكُفْوُ: الْكُفْءُ: الْقَوِيُّ الْقَادِرُ عَلَى تَصْرِيفِ الْأُمُورِ. الْكَفِيُّ: الْكَافِي .

(٦) فِي الْبَيْتِ نَقَصَ لَمْ نَهْتَدِ إِلَيْهِ .

(٧) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ، أَصْبَغُ بن قَاسِمِ بن أَصْبَغِ .

(٨) قَرْمُونَةُ، وَقِيلَ: قَرْمُونِيَّةٌ: كُورَةٌ غَرْبِيَّةٌ قَرْطُبَةِ، وَشَرْقِيَّةٌ إِشْبِيلِيَّةٌ، قَدِيمَةُ الْبَنِيَانِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ إِشْبِيلِيَّةٍ سَبْعَةُ فَرَاسَخٍ. (معجم البلدان، الحموي: ٣٣٠/٤) .

بابن نقورة على الفاسق عبد الملك بن سميت المعروف بِخَنُوصِ الْآبَقِ^(١) من مصاف السلطان إلى الملحد الشيعي معد بن إسماعيل المتحرك الآن إلى أرض مصر الواغل^(٢) - في ضَغْفَةِ بني العباس - في سلطان المشرق الذي يدبره لهم أمراء الديلم . وكان هذا الفاجر وَقْتَهُ هذا متجولاً ببعض سواحل إفريقية ، ساعياً للفتنة ، فتحيل عليه هذا التاجر مُحَمَّد بن سُلَيْمان وكاتَبَ صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمَن بن رُمَاحس أن يوجه إليه بمركبٍ معمر مع من يثق به ، فأرسل نحوه مركباً مناسباً فيه عبد الله بن شُعَيْب وابن الأزرق صاحبه البحران ليستعين بهما في ما احتاج إليه من ختل هذا الفاسق خَنُوص . فلما وصلا إليه بنى على خَنُوص بنياناً أحكمه وأبرمه ، فعلق في حبالهما وقبضا عليه وعلى ولده أسراً ، فتوثقا منهما بالحديد الثقيل ، واحتللاً بهما قرية بَجَانَةَ لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال المؤرخ ، فأقبلا به وبولده نحو قُرْطَبَة ومعهما البحران اللذان أعاناه عليهما ابن شعيب وابن الأزرق ، فوصلوا إليها يوم الاثنين لسبع بقين من شوال منها ، وقد تقدم بالفاسق خَنُوص وبابنه ، مغلولين مصفودين^(٣) إلى الزهراء ، ووقفا بباب السُّدَّة من قصرها ، فوبخه صاحب المدينة بها مُحَمَّد بن أفلح ، وأغلظ له وأمر بضمه وضم ابنه إلى السجن بالزهراء ، وتوصل موثقهما مُحَمَّد بن سُلَيْمان التاجر مع ابن شُعَيْب وابن الأزرق البحرين المعينين عليه إلى الخليفة المستنصر بالله معرفين بشأنه ، فأخمد سعيهم وأثنى على طاعتهم وخرجوا عنه . وقد تقدَّم للوزراء بالخروج إلى بيتهم والدعاء بالتاجر مُحَمَّد بن سُلَيْمان وغبطه بصالح فعله وإسلام ما أُمِرَ له به من الصلة والخلع ، مكافأة له على سعايته ، وذلك ألف مثقال جعفرية ، ومنديل مشدود على خلع من شكله سنية ، إلى ما له عند أمير المؤمنين من حسن الرأي ذخيرة ؛ وأن يدعوا بابن شعيب وابن الأزرق البَحْرِيَّيْن ، فيدفعوا إلى كل واحد منهما ما أمر له من الصلة والكسوة أيضاً ، وذلك خمسمائة دينار وكسوة من سَرِي الخَزْ ؛ فانطلقا شاكِرَيْن مَغْبُوطَيْن .

وركب أيضاً صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح بأمر أمير المؤمنين إلى الدويرة المبتناة في هذا العام قرب سجن الزهراء في الدار المنسوبة إلى السقائين ، فامتحنها وثقفها من جهاتها ، ثم نقل إليها من داخل السجن عبد الملك بن شُعَيْب المعروف بِخَنُوصِ الموصد في قيوده مع ابنه ، وقاسم الموثق قَبْلَهُما في السجن

(١) الْآبَقُ: المتمرد، الشاق عصا الطاعة .

(٢) الواغل: من وَغَلَ في الشيء وغولاً: أمعن فيه ، ويقال: أوغل في البلاد: ذهب وبالع وأبعد ، وأوغلت الحاجة فلاناً في كذا: أولجته فيه .

(٣) مغلولان مصفودان: عليهما الأغلال والأقياد .

بالاتهام بالتشريق^(١) وهو الذي كان الوزير سَعْدُ بن الحكم وجه به من بَطْلَيْوُس أيام ولايته لها، إذ ذكر له يومئذ أنه قرابة لَمَعَدَ الشيعي فَرَّ قُدَّامَهُ لأمر دار بينه وبينه، فأوغل في بلاد الغرب كاتماً لخبره مريباً مُستريباً؛ فلما صَحَّ عند سَعْدٍ أمرُهُ قبض عليه وأرسل به مكبولاً، فأوصل إلى حبس الزهراء، إلى أن نُقل عنه إلى هذا المحبس الخاص مع خَنُوص، فاستقر هناك.

وفي آخر شَوَّال المؤرخ ورد الخبر أيضاً بالتقبض على مُحَمَّد بن سُلَيْمان المعروف بولد معلم حمه، وكان قد أَبَقَ من قُرْطُبَة أيضاً وقصد الشيعي مَعَدّاً فلم ينفق عنده، فانصرف مستأمناً، فأُمن ولم يعاقب، ثم خرج إلى ناحية الثغر الأعلى مشاقفاً مُصِيراً على ضلّالته، فَعُثِر عليه وكتب العامل عليه بخبره.

ذِكْرُ حُرُوبِ الْعُدُوَّة

وفي يوم السبت لأربع خلون من ذي القعدة ورد كتاب صاحب الشرطة العليا وقائد البحر عبد الرَّحْمَنِ بن رُمَاحس بن مُحَمَّد بما هَيَّاهُ اللَّهُ لأمير المؤمنين من فتح مدينة طَنْجَة من أرض العُدُوَّة، بعد أن دعا أهلها إلى الطاعة، والعود إلى ما فارقوه من الجماعة، فأساؤوا الردَّ عليه وسارعوا إلى حربه، وكان داخلها حَسَن بن قنون مغويهم يشد عزائمهم، فضبط المدينة، ولم يكن في نهاره هذا حرب؛ فلما كان صبيحة يوم الخميس أمر حَسَن بوضع القتال، وأبرز من المدينة عدداً كثيراً من جنده وأنصاره، فلما أصحروا رشقتهم النبل فانظمت خلقاً منهم ونكأتهم^(٢) فولّوا مدبرين. وتأمل ذلك حَسَن، مُغويهم، فاعتزلهم وفرَّ هارباً في خاصة من أصحابه لا يلوي على أحد، ولم يعرّج على ما كان له ولهم بالمدينة من أموالهم وأمتعتهم، وما قد كانوا أعدوه فيها من أذوادهم وذخائرهم. فلما أَمَعَن في هربه وأسلم أهل طَنْجَة، خرج شيخهم ابن الفاضل إلى القائد ابن رُمَاحس بولده ومشيخة قومه فاستقبل الجندَ المنقضين عليه، يقول: «الطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين المستنصر بالله»، فاكتنفه الجند وقدموه إلى القائد، فلما مثل بين يديه تطأطأ مُسَلِّماً، ثم استهل بالدعاء لأمير المؤمنين ولأنصار دولته، ثم أتبع ذلك بالرغبة لنفسه وأهل بلده في الأمان وصون الحرم، فأعطاه ذلك وأرسل معه من بَقَّ عنه أمانهم، وأباح الجندَ نَهَبَ ما في المدينة للغاوي حَسَن بن قُنُون وأصحابه من مالٍ وَرَخْلٍ وَزَادٍ، فوضعوا أيديهم في ذلك منقرين عنه، فحصلوا

(١) التشريق (هنا): هو التوجه نحو الشَّرق في الصلاة. ومن الذين اتَّهموا بذلك أيضاً بعض أتباع ابن مَسْرَّة، كَمُحَمَّد بن حمدون الخولاني، المعروف بابن الإمام، المتوفى سنة ٣٨٠هـ. (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: ٩٣/٢).

(٢) نَكَا الْعُدُوَّة نَكْتاً: جرحه وقتله.

منه على مناهب واسعة جاسوا لها خلال ديار طَنْجَة، وتم افتتاحها وحوزها^(١)، ولما يبرح القائد ابن رُمَاحس من مقامه الأول ببابها، عليه درعه وبيمينه سيفه وفي يسراه درقته^(٢)، قد كلل مراكبه بأنواع السلاح الشاك والعدد المتظاهرة، ينفذ أموره من موقفه ولا يبرح العَرْصَة، أخذاً بالحزامة. وأنفذ كتابه من مكانه بالفتح عليه يوم الخميس المؤرخ مع فخلون بن هُذَيْل ومَسْعُود بن مُحَمَّد الْفُرَائِقَيْنِ^(٣)، من وقته ذلك، فوصلا إلى الزهراء يوم السبت المتقدم تاريخه، فتوصلا إلى أمير المؤمنين، فاستخبرهما فشفياه خبراً، فوصل كل واحد منهما بمائة دينار دراهم، وخلع عليهما خُزُوزاً طِرَازية.

ثم ورد كتاب الوزير القائد بالعُدْوَة مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس يوم الأربعاء لتسع بقين من ذي القعدة منها فذكر أنه التقى مع الغوي حَسَن بن قُتُون يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها كفاحاً، فدارت بينهما حرب شديدة أجلت عن هزيمته. وكان القتال فيه من ضحى النهار إلى اصفرار الشمس. وقتل الله من شيعته في هذا الوقت نيفاً على مائتي رجل، وفرَّ الفاسق في من بقي معه إلى جبل حصين يُدعى جبل الريح، ارتقاه فتحصن فيه، وقد تبعه الجند المؤيد وانقضوا عليه فدارت بينهم حرب يسيرة، ثم انهزم الخبيث متخففاً في خيله وخلف أثقاله بالجبل الذي كان ارتقاه، وفرَّ لا يلوي على شيء، فصار الجبل بأيدي الجند ونهبوا ما فيه وباتوا ليلتهم فيه. ثم نهضوا في اليوم الثاني إلى مدينة دلول ففتحها الله لهم، ولحق بهم الوزير القائد مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس في جماعة العسكر، فقصده في اليوم الثاني مدينة أصيلا وقد نخبَّت قلوب أهلها، ففتحها الله عليه ودخلها بعسكره مالكا لها. ودخل الوزير القائد إلى جامعها وقد عرف بخبر منبر جديد وضع فيه، موسوم باسم الدعي مَعَدَّ بن إسماعيل، إمام الشيعة، فأمر باقتلاعه وإضرامه بالنار بعد أن خلع من أعلاه اللوح الذي كان نقش باسم الدعي مَعَدَّ بن إسماعيل، وكان فيه من الغلو في ذكره أمر كبير. فأمر باقتلاعه، وأرسله مع كتاب إلى الخليفة. فوصل إلى قصر الزهراء بوصول، وانصرف الوزير القائد بجمع العسكر من يومه إلى مدينة دلول، محلَّة الفاسق حَسَن بن قُتُون، فبات في داخلها وأنهب الجند بقية ما غادر الفاسق بها واستوسعوا في أطعمتها، ثم أمر بهدم أسوارها وتضريم بيوتها ناراً فتركها جوفَ حمار^(٤).

وفي يوم الثلاثاء لخمسِ خلون من ذي الحجة منها سبَّيرَ بأحمال الأموال والكُسى

(١) حوزها: امتلاكها.

(٢) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب.

(٣) الْفُرَائِقُ (هنا): القائم بأمر البريد.

(٤) فتركها جَوْفَ حمار: أي مُحوشة خالية.

إلى الوزير القائد بالعدوة مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس للنفقات على الحروب المشبوبة هناك، وكان عددها خمسة وعشرين حملاً توجه بها ثقة من رجال الصيدين^(١) وعرفاء أصحاب الرسائل الخصيان وكتاب الفرائقين، وتوالى الحمل إلى العدوة كل حين فأجحت الأموال. وأشخص الخليفة في هذا الوقت صدر ذي القعدة إلى ما هنالك الأمينين: مُحَمَّد بن أحمد بن مُفَرِّج قاضي رية، وأبا عُبيد القَاسِم بن خَلَف الجبيري^(٢) الفقيه مُطالعين للأحوال ومستألفين للناس، قضيا من ذلك وَطراً، ورجعا إلى قُرْطُبة في غرة ذي الحجة من هذه السنة. فَوَلَّى الخليفة أبا عُبيد يومئذ القضاء بكورة إشبيلية.

وفي ذي القعدة منها قدم عبد الله بن أحمد المعروف بابن الإفليلي إلى أمانة الطراز و قدم فيه مُحَمَّد بن الوليد إلى كتابة الطراز، اختير لها، وكان من متقدمي الكتاب ونحاريهم^(٣)، ومن أهل الكفاية والبصر بالعمل.

وفي يوم السبت لست بقين منه ركب الخليفة الحكم إلى دار الطراز اعتناء بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قوامها من الوكلاء والقوام بالأعمال فيها، فقصوا حقه. وساءلهم عن أشياء من أعمالهم وأنعم توصيتهم. وكانت طريقه إليهم على مقبرة باب اليهود المنسوبة إلى أم سلمة، فأجال بصره فيها وتأمل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد باتباع دور جمّة منها حدّها كيما تُهدَم وتُزاد فيها، فَعَمِلَ بذلك.

وفي عقب ذي القعدة منها أمر الخليفة الحَكَم الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبة جَعْفَر بن عُثْمَان بأن يتقدم إلى مُعَيْث بن مُحَمَّد بن مُعَيْث، وأحمد بن عبد الله بن أبي عبدة، ويأسر الفتى، أمناء العطب والنزائل بالوقوف يوماً من كل جمعة يعينونه لا يتعدونه بدور أولاد إخوته الأموات لتعرف أحوال أبنائهم وأهليهم، وامتحان أخبارهم وإنهاء ذلك إليه ليقابل بما يستحقه، ولا يُخلُون به، فأتَمَرُوا بذلك.

وفي هذا الوقت عهد الخليفة بإلحاق عَبْد الرَّحْمَن بن جُرج في جملة الموالي القُرْطُبيين.

وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة منها احتل مدينة الزهراء صاحب الخيل زياد بن أفلح، وصاحب الشرطة العليا هِشَام بن مُحَمَّد قائد الصائفة، قافلين من

(١) لعلها «العبيدين».

(٢) فقيه، عالم، حسن النظر، استقضاء المستنصر بالله على طرطوشة وأعمالها، فاستعفى ذلك، وعهد إلى الحكام بمشاورته، فكان صدرأ في أهل الشورى. توفي سنة ٣٧١هـ / ٩٨٢م. (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: ٣٦٩/١).

(٣) النحارير: جمع النحرير: العالم الحاذق في علمه.

غزاتهما إلى ساحل الغرب لتتبع أخبار المجوس الأزدُمانيين - أهلكهم الله - المتوقعين بالناحية، فتوصلا إلى أمير المؤمنين وأنبأه بما قضيا في وجههما، وحيث بلغا من قصدتهما، وأنهما انتهيا إلى مدينة شَنْتَرين^(١) قاصية ذلك الصقع، وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأزدُمانيين - لعنهم الله - نكسوا عن الإقدام على المسلمين عند تسمعهم بخبر الدلوف إليهم والاستعداد لهم برأ وبجرأ، فانقلبوا على وجوههم وجدوا في نكوصهم. وأن الجواسيس الذين أرسلوا لامتحان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم «شَنْت ياقب»^(٢) من قاصية بلد العدو، ولم يختلف عليهم في فرارهم بفضل الله تعالى ومنته.

ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة

وافى عيد الأضحى هذه السنة يوم الأحد عاشر ذي الحجة خلال أيام مطيرة ورذاذ مؤذية، ابتدأت بالرش غداة يوم العيد حتى لَهَمَ الخطبيان بالحضرتين، قُرْطَبَة والزهراء، بتعطيل المُصَلِّين فيهما وقضاء الصلاة بجامعيهما، ثم أقصر الرذاذ لحينه. فاستعزما الله تعالى في الإصحار، فتمت صلاة أهل الحضرتين بمُصَلِّيَيْهما على طمأنينة. واستوى قعودُ أمير المؤمنين المستنصر بالله على السرير للتهنئة على العادة بالمجلس الشرقي على الرياض أتم استواء، وتوصل إليه الإخوة قبل الناس فسلموا وقعدوا على مراتبهم، وقعد منهم شقيقه أبو الأصبغ عبد العزيز عن ذات اليمين، وتحتة أبو المطرُف المغيرة، وعن ذات اليسار أبو القاسم الأصبغ. وقعد الوزراء إثرهم على مراتبهم، وتحتهم يحيى بن مُحَمَّد بن هاشم التُّجِيبِي، وبعده جَعْفَر بن عليّ. وحجب الخليفة عن ذات اليمين صاحبُ المدينة بِقُرْطَبَة جَعْفَر بن عُثْمان، وتحتة صاحب الشرطة العليا مُحَمَّد بن سَعْد، وحجبه عن ذات اليسار صاحبُ المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أَفْلَح، وتحتة أخوه صاحب الخيل زِيَاد بن أَفْلَح. وَحَمَّ مُحَمَّد بن أَفْلَح في مقامه ذلك فنزل فصار أخوه زياد مكانه. وقام بإثر مَنْ ذكرنا طبقات أهل الخدمة على مراتبهم بحسب منازلهم، ووصل صَفِيْنِهم المرسومون بمُدْهما، من أكابر الفتيان الصقالبة، ومن دونهم من طبقاتهم [من] الجند ما بين ممرات القصر وأفنيته إلى باب السُدَّة. ثم اطرَدَ الإذن بالوصول إلى مَنْ حضر من أفناء الناس، فتقدمت في أوائلهم رجالاً قُرَيْش، ثم الموالي، ثم الحكام وقضاة الكور، ثم الفقهاء وأهل

(١) شَنْتَرين: مدينة تتصل أعمالها بأعمال باجة غربي الأندلس. وهي مدينة حصينة، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً. (معجم البلدان، الحموي: ٣/٣٦٧).

(٢) شَنْت ياقب: قلعة حصينة بالأندلس.

الشورى، وغيرهم، والعدول، ثم صنوف الحشود والوفود. وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل وتنشد، فكان من أحسن ذلك قول مُحَمَّد بن حُسَيْن الطُّبْنِي في قصيدة حسنة له أولها: [من الكامل]

بَخَلْتُ بِجَوْهَرٍ لَفْظُهَا أَنْ يُلْقَطَا لَمَّا رَأَتْهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ أَبْسَطَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَتَوَجُّجُ بِالْهُدَى نُوراً عَلَى غَسَقِ الظَّلامِ مُسْلَطَا^(١)
صِلْ عَيْدَكَ الْبَهْجِ السَّنَا فِي غِبْطَةٍ وَازْدَدْ مِنَ الْأَعْيَادِ أَلْفَا مُغْبَطَا
أَمَلُ الْفُصُولِ وَمُنِيَّةُ الْأَعْوَامِ أَنْ يُطَوَى لَدَيْكَ مَدَى الزَّمَانِ وَبُسَطَا
عَيْدُ أَتَاكَ الْغَيْثُ فِيهِ مُسَلِّمًا وَقَدْ السُّرُورُ بِهِ فَصَحَّ وَأَفْرَطَا^(٢)
وَلَوْ أَنَّ سَاقِي الْأَرْضِ جُودَكَ ذُوْنَهُ أَمِنْتُ مَدَى أَيَّامِهَا أَنْ تَفْحَطَا^(٣)
وفي ذكر هشام ولده منها:

وَأَشِذْ بِذِكْرِ أَبِي الْوَلِيدِ فَشِذْ بِهِ مَجْدًا هِشَامِيًّا وَعِزًّا أَغْبَطَا^(٤)
مَا فَوْقَ بَيْعَتِهِ مَدَى أُمْنِيَّةٍ مِمَّنْ تَسَامَى فِي الْمَنَى وَتَشْطَطَا^(٥)
نِعَمَ الذَّخِيرَةِ لِلْعِزَائِمِ تُنْتَضَى دُونَ الْخِلَافَةِ وَالْمَنَابِرِ تُمْتَطَى^(٦)
نَظَرْتُ قُرَيْشَ فِي كَرِيمِ نِظَامِهَا فَرَأْتُهُ مِنْهُ فِي الْقِلَادَةِ أَوْسَطَا
أَبَاؤُنَا وَالْأُمَهَاتُ لَهُ الْفِدَا مَا أَكْرَمَ الْمَرْجُوءُ مِنْهُ وَأَغْبَطَا
هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تُحْيِي كُلَّ مَنْ أَصْفَى وَيَقْتُلُ سَنِفُهَا مَنْ خَلَطَا^(٧)
أَرْبَطَ بِهَا الْأَيْدِي فَإِنَّ قُلُوبَنَا مَكْفِيَّةٌ بِوَدَادِهَا أَنْ تُزْبَطَا
شَرَطْتُ مَحَبَّتَهُ عَلَى أَهْلِ الثُّهَى مَا لَا يَكَاذُ مُوْتَقَّنٌ أَنْ يَشْرُطَا

وقول مُحَمَّد بن مُطَرِّف بن شَخِيس في قصيدة له حسنة: [من الطويل]

وَلَمَّا جَلَاهُ الْبِشْرُ غَيْبَهُ السَّنَا كَذَلِكَ قُرْصُ الشَّمْسِ بِإِدِ مُغَيَّبُ
فِيَا حُسْنَ قَدْرِ الْمَلِكِ يَوْمَ طُلُوعِهِ لَنَا لَوْ بَدَا مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ كَوْكَبُ

(١) الْعَسَقُ: ظلمة الليل.

(٢) أَفْرَطَ: تجاوز الحد.

(٣) الْجُود: السخاء والبذل.

(٤) أَشَادَ بِالشَّيْءِ: نَوَّهَ بِهِ، أَوْ أَثْنَى عَلَيْهِ.

(٥) تَسَامَى: تَعَالَى. شَطَطَ: بَالِغٌ فِي الشَّطَطِ: وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ.

(٦) يُقَالُ: انْتَضَى السَّيْفُ: أَخْرَجَهُ مِنْ غَمَدِهِ، اسْتَعَارَهُ لِلْعِزَائِمِ. تُمْتَطَى: تُتَّخَذُ مَطِيَّةً.

(٧) خَلَطَ فَلَانٌ: مَزَجَ الطَّاعَةَ بِالْمَعْصِيَانِ، أَوْ الْمَحَبَّةَ بِالْكَرِهَةِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

ولا يخفَ مَنْ أعني وإن تسألوا به فإنَّ النَّبِيَّ الْعَمَّ وَالْحَكَمَ الْأَبَّ

قال حيَّان بن خَلَف بن حيَّان مؤلف هذا التاريخ: ها هنا انقطع في كتاب عيسى الرازي - رحمه الله - الذي إليه [رَجَعْتُ] في خبر دولة الحكم بن عبد الرَّحْمَنِ - رحمة الله عليه - فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بني مَرْوَانَ بالأندلس إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة بخرم واقع في أصله أفضى بي نقصه إلى أخباره في نصف سنة اثنتين وستين وثلاثمائة تَلَوَّها، فسَقْتُ وجدان توصيلها إمتاعاً لمطالعها بالحاصل منها، إلى أن يتيح الله تكميلها لي أو لسواي ممَّن يعتني بتكميل كتابي هذا، حرصاً على توفي فائدته، إن شاء الله.

وجد في كتاب عيسى بن أحمد الرازي ما هذا نصه: في أول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فيها قتل الوزير القائد مُحَمَّد بن قاسم بن طُمْلَس بِفَخَصٍ مَهْران على يدي حَسَن بن قَتُون يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول. وَقُتِلَ في ذلك النهار جملة من الجند الذين كانوا معه نحو الخمسمائة من الفرسان، ومن الرجال نحو الألف.

ذكر الأخبار الكائنة شطر اثنتين وستين وثلاثمائة

قال عيسى بن أحمد الرازي: في يوم السبت غرة جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، دخل إلى قُرْبُبة جمع من قبيلة مَضْمُودة من أهل العُدوة الذين حَشَّتْهم حرب الملحد حَسَن بن قُتُون الحسني المنتزي فيها على الخليفة المستنصر بالله، عدتهم سبعون رجلاً نزعوا إلى الطاعة. فأرسل بهم صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرُّخْمَن بن رُمَاحس أكبر قواد الخليفة المستنصر بالله المتكاملين بالعدة، ذكر أنهم قصدوا نحو مدينة طَنْجَة راغبين في الطاعة، ووصفهم بالنجدة، فَقَبِلَتْ إنابتهم، وأنزلوا بمنية نجدة المنسوبة إلى الأقرع، ووسع عليهم. وَجُوبَ صاحب الشرطة ابن رُمَاحس والقائدين معه بِطَنْجَة سَعْد وَقَيْصَر مولى الخليفة، وعبد الرُّخْمَن بن يُوْسُف بن أرمطيل القائد بأَصِيلًا^(*) عن كتابهم الذي ذكروا فيه دعاء المُلحد حَسَن إياهم إلى الدنو منه لافتتاح القول في إيقاع السلم والتنصل من الذنب والإنابة^(١) إلى الطاعة بعد الاستيثاق بالتراهن على عادة أهل الشرك مع المسلمين عند مثل هذه المشاهد الممحصّة، آيياً^(٢) لنفسه ولهم من إيتائه هذه الخطة، وتمنّعه بها، و [أن] تؤخذ عليه أنفاق كياده^(٣) التي ما يزال يفتحها، ويعرّفهم أنه نافذ البصيرة متأكد العزيمة ممرّ المريرة^(٤) في التماذي على مجاهدة الملحد ومجاهدة من كان معه وعلى مذهبه حتى يفتح الله عزّ وجلّ فيه وفيهم وهو خير الحاكمين. وأما سائر الناس من جميع القبائل المنتشبين معه والواقعين تحت رهبته وسيف إخافته ونكال رهقه^(٥)

(*) أصيلاً، أو أصيلة (بالتاء): هي أول مدينة العدو مما يلي الغرب، سهلة الأرض، وحولها رَوَابٍ لِيَطَافُ، ويحفها البحر من الغرب والجنوب. ولها خمسة أبواب. (معجم البلدان، الحموي: ٢١٣/١).

(١) الإنابة: العودة والرجوع.

(٢) آيياً: مترفعاً، أو مستعصياً، أو كارهاً.

(٣) الكَيْيَاذُ: المكر والخديعة.

(٤) المَرِيرَة: العزيمة، أو عِزَّة النفس، أو طاقة الحبل.

(٥) الرُّهَقُ: الشرُّ والظلم والسَّفَه.

فآمنون بأمان الله التام، فليكن منكم إلى خاصتهم وعامتهم دسيسُ إعلام وتقديُم تعريفٍ باعتقاد هذا المذهب ومبايعة الربِّ تعالى عليه، وإشاعته في جميع الناكثين من جميع القبائل الصاغين إلى الملحد، والناشيين في حبالته، ليكونوا على علم برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم، وتقبل إنابة منيهم، وإجارتهم من الظالم المستحل لمحارمهم، المستهلك لنعمهم، المنتهك لحرمتهم. وأن أمير المؤمنين غير مقلع عنه، ولا صارف بأس عزمه دونه. واستعانت على ذلك كله بالله تعالى حتى يأخذ له بناصيته فهو من ورائه محيط، تعالى جدّه.

وفي فصل من هذا الكتاب: «إن أفضل ما احتمل عليه، وعمل به، استشعار الحزم، وأدراع التحفظ، واستنصاح الاتهام، وإذكاء العيون، وبتّ الجواسيس، والاستكثار منهم ومن حَمَلَةِ الأخبار، حتى لا يخفى لِحَسَن - أهلكه الله - حركة ولا يتوارى له مذهب».

وجواب خاص من الخليفة المستنصر بالله إلى عبد الرّحمن بن يوسُف بن أرمطيل في شأن حسن نسخته: «أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك تذكر فيه ما أتاك به حَمُود بن مُحَمَّد، وحنون بن سروح، ويحيى السّراقَة، من أتباع الملحد - أهلكه الله - عند خروجك لملازمة الطلائع، على عادتك، من استئذانهم إياك في القرب منك والمشافهة لك، وأنت أجبتهم إلى ذلك، وفهمت عنهم ما أبلغوك من رغبته في الإنابة. وقد ضرب الله تعالى بينه وبينها بسور من الخذلان قطع به دونها في حينها وأوان قبولها، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. وكيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر، وفي دينه مستبصر، ولكم في كل أيامه محارب! هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخبال^(١). وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره، وغير من أصرَّ إصراره وتمادى تماديه، إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه، وهو خير الفاتحين لا شريك له. فلا يتعرض أحدكم لمقاولة أحدٍ ممن يأتي عنه، فانظروا في أمركم وجِدُّوا في تثقيف ما له قُدُمُتم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم وتآلف بصائرهم وتضافر أيديكم ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] والله المستعان لا ربَّ سواه».

وفصل في شأن حَسَن أيضاً في بعض الكتب إلى القواد: «وإنَّ الله تعالى جدّه أحلَّ حَسَن بن قُتُون من المعصية له والتعطيل لحقوقه ومفارقة أولياء الطاعة محلَّ من لا تُسمع له كلمة، ولا يوثق منه بإنابة، وأمير المؤمنين في محاكمته مستنصر، وفي

(١) الخَبَال: الفساد.

مجاهدته ومطالبته حتى يمكنه الله منه بحوله ويظفره وينصره عليه، إن شاء الله».

وفصل في شأن حَسَن أيضاً تضمنه جواب من الخليفة المستنصر بالله إلى صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرَّحْمَن بن رُمَاحس عن كتاب منه اجتلب فيه عن حَسَن ما ذكره من سابق طاعته وقديم محبته وتصرفه بين الأوامر والنواهي الواردة عليه، وأنه كان المنقطع إلى هذه الجنبه دون سائر أهله، فكان الجواب عن هذا الفصل في مضمون الكتاب في الحجة على حَسَن، وأنه احتاج إلى إحداث تنصّل مختلق فتح له أبواباً، وسبب فيه أسباباً، ونهج له سبلاً. ولو كان ما عامله به أمير المؤمنين محجوباً عن الموالات والمشاركة والمناصرة لاحتاج إلى كشفه، لكنه ظاهر مكشوف، وبين معروف، فإنه لما استنصره على بني عمه المشاقيق له أمر بمجاوبته مُعرّفاً لما هو عليه من حسن الرأي فيه والإيثار له والرغبة في قوام أمره. وأن الذي رآه أن يدعو بني عمه إلى الصلح الذي رضيهِ الله عزَّ وجلَّ وندب إليه، وأن يخاطبهم. فإن صاروا إلى ما دعاهم إليه، ولألا حاربهم فصار معه إلباً^(١) عليهم بحكم الله عزَّ وجلَّ فإنه يقول: ﴿وَلَوْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فكان جوابه عن هذا الفصل الجامع لصلاح الدين والدنيا الذي يلزمه شكره أن وضع يده في بنیان طَنْجَة؛ وقد كان سلفه أقدر على ذلك فامسكوا عنه تمهيداً للعواقب واستدفاعاً للنوائب واستدامة للصلاح، ثم أطلق لسانه بما لو سمعه من غيره لكان الحقيق بإنكاره للمحل الذي أحلَّ الله أمير المؤمنين به، ومحافظة على ما سبق إليه من فضله وأسلفه من إكرامه. فقطع القرية وصار إلى هذه الحال الموبقة، وصار بنو عمه إلى الانقياد والتسليم والتحكيم لما رآه والشكر على ما قضاه، وضادهم هو فيما انتحاه فأحفظ^(٢) أمير المؤمنين ما كان منه، وتمادى هو في جماعته بلسانه ويده فأقام الخطبة لمن أقامها مجاهراً بالمكروه ومظاهراً بالقطيعة وموقداً لجمر العقوق، حتى أخرجه عن سجيته وذهب به عن فطرته:

وَالنَّارُ قَدْ تَلْتَظِي^(٣) مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

ثم عاد أمير المؤمنين إلى إيثار الفضل الأغلب عليه والحلم الذي هو أملك له فتأتى فيه وانتظر فينته^(٤)، فركب رأسه واستمر في غيه.

وفي فصل منه: «وأما ما دعا إليه الآن من الإنابة والمراجعة والتحكيم في النفس

(١) الإلب: القوم يجتمعون على عداوة وبغضاء.

(٢) أحفظ الأمير: أغضبه.

(٣) تَلَطَّت النار، والتظت: التهمت.

(٤) الْفَيْئَةُ: الرُّجْعَةُ.

والولد والمال والبلد فكلمة حسنة لا يدع أمير المؤمنين قبولها إذا صدّقها فعلٌ وحققها برهان، احتمالاً على قول النبي ﷺ، إذ أتى مكّة فقال: «لا تدعوني قريش إلى خُطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»، وأخذاً بالعفو الذي وصف الله به نفسه وأحبّه من أوليائه؛ لكن ذلك لا يكون إلا بفعلٍ معروفةٍ مكشوفةٍ كما كان فعله ظاهراً بقتله الجند صبراً، وقذفهم في النار الجاحمة^(١). فإن كان معتقداً ما قاله أو منطقياً على صحته مؤثراً له راغباً في استجزال^(٢) حظّه من حسن رأي أمير المؤمنين ورضاه، وتوطين بلده لولده، وأنّ مذهبه تمحيص^(٣) ما فرط وتكفير ما سبق والإصحاح بموالاته وانقياده، أخذ البيعة على أهل عمله وخرج مُطهراً لنفسه إلى باب سُدّة، فإنه إذا أتى ذلك خرج مما دخل فيه، وفاز بالقُدْح المُعلّى^(٤)، والمنزلة الكبرى عنده؛ وصَدَرَ عنه لابساً ثوب كرامته وغذّي نعمته التي قد عرفها ولبسها.

وفي جمادى الآخرة منها خرج صاحب الردّ عبد الملك بن المُنذر بن سَعِيد إلى الكُور الغربية، وهي شَريش^(٥)، ولَقِنت^(٦)، وإشبيلية، ولُبلة، وقَزْمُونَة^(٧)، ومُورُور^(٨)، وإسْتِجَة، وشَدُونَة، لِمَطَالَعَة رعاياها، وتعرّف أحوالهم، والكشف عن سَير أعمالهم فيه.

وفيه خرج صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر قاضي كُورَة جَيّان لامتحان ما رفع به بعض أهلها على العارض عبد الرّحْمَن بن جمهور عاملهم.

وفي آخر العشر الأول من جمادى الآخرة المؤرخ الموافق لِشَطْرِ شهر مارس العجمي هاجت بِقَرْطَبَة وما يليها رياح شديدة وأنواء غليظة متوالية، ونزلت بقبليها أَرْدَة شديدة أعقبت بعد أيام غيثاً وابلاً صَجَبَتْه بروقٌ خاطفة، دام أكثر نهاره، قَرَوَى الثرى، ونفع الله به. ثم كرّ الغيث على قَرْطَبَة وما يليها.

(١) النار الجاحمة: الشديدة الاشتعال، المُتَأَجِّجَة.

(٢) استجزاله: استجاده.

(٣) التّمحيص: من مَحَص الشيء: خَلَصَهُ من عيوبه، أو مَحَص الله التائب من الذنوب: طَهَّرَهُ منها.

(٤) المُعلّى: سابع سهام المَينِسر، له سبعة أنصباء عند الفوز، وعليه سبعة أنصباء عند الخسارة. ويقال: له القُدْح المُعلّى: أي الحَظُّ الأوفر.

(٥) شَريش: مدينة كبيرة من كورة شَدُونَة، وتسمى «شرش». (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٣٤٠).

(٦) لَقِنت: جِصْنَان من أعمال لَارْدَة: لَقِنت الكبرى، ولَقِنت الصغرى، وكل واحدة تنظر إلى صاحبها. (معجم البلدان، الحموي: ٢١/ ٥).

(٧) قَزْمُونَة أو قَزْمُونِيَة: كورة يتّصل عملها بأعمال إشبيلية، غربي قرطبة، وشرقي إشبيلية. وهي قديمة البنيان. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٣٠).

(٨) مُورُور: في معجم البلدان: «مُورَة»: حصن من أعمال طليطلة.

وفي العشر الأواخر من جمادى الآخرة تمادى أياماً يسكب تارةً ويقلع تارةً، ثم أقصر الغيث فيما بعد، وخيف على الزرع، فاستسقى الخطيبان بالجامع، القاضي مُحَمَّد بن إسحاق بجامع قُزْطَبَة، ومُحَمَّد بن يُوْسُف قاضي قُبْرة بجامع الزهراء، فاجتهدا في الدعاء، واستمر القحط؛ وتنزل على ذلك في ليلة الأحد لسبع خلون من رجب بِقُزْطَبَة وما يليها جليد أسود. ونزل ليالي ثلاثاً فساء تأثيره، وامتد نزوله إلى بعض الكور الدانية من قُزْطَبَة، فأحرق كثيراً من الكروم وشجر التين وغيره. وكان أكبر ضرره في البطون والوهاد. وأعاد الخطيبان المتقدم ذكرهما الاستسقاء بالجامعين فيهما يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب منها، وكان اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان، فلم تجد السماء، إلى أن تفضل الله بالسقيا من ليلة يوم الاثنين لثمان خلون من رجب، فَرَوَى الثَّرى واستنقذ الزرع برحمته.

وفي آخر جمادى الآخرة صرف الخليفةُ الحكمُ صاحب الشرطة أحمد بن نَصْر إلى كورة جَيَّان لمشاركة ما كان تقاضاه مُحَمَّد بن عبد الملك عاملها من الرعية أهلها عن الخشب والزفت والقطران اللائي كان العهد قد نفذ إليهم بإعداد الأعداد المحدودة لهم منها واحتمالها إلى إشبيلية ثم إلى الجزيرة للأساطيل المصنوعة فيها. فرأى الآن إسقاط مؤنة ذلك عنهم واحتسابه في خاصة نفقاته رفقاً برعيته وترفعها عنهم. فصرف العامل مُحَمَّد بن عبد الملك إلى جميع أهل القرى ما كان لزمهم من ذلك بحضرة أحمد بن خالد، لم ينتقصوا منه قُلامَةً^(١)، فحسنت منه عليهم العائدة.

ذكر استدعاء الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَنِ، لحرب العُدُوَّة مع حَسَن بن قَنُون الحَسَنِي

وفي آخر جمادى الآخرة احتل الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَنِ بمحلة فُحْص السُّرادق شرقي قُزْطَبَة مُستدعياً من مولاة الخليفة الحكم، مهيئاً به لحرب الغويِّ حسن بن قَنُون الحَسَنِي المنازع له عمله بأرض العُدُوَّة عندما تفاقم أمره، وأعيأ مراسه^(٢)، وأثخن^(٣) في قتل الجند، وانتحل ولاية الدعيِّ الشيعيِّ مَعَدَّ.

(١) القُلامَة: ما يُقطع من طرف الظُّفَر، أو الحافر، أو العود، وقلامَة الظفر: مثل في القلة والحقارة.

(٢) المِرَاسُ: الجَلْد والقوة والشدة في معالجة الأمور.

(٣) أثخن في الأمر: بالغ فيه، يقال: أثخن في العدو: بالغ في قتاله.

فاضطرب غالب بمحلته تلك يومئذ في يومين في الدَّهْم^(١) الذين أمر باستنفارهم من حَشْدِ الثَّغَرِ الأعلى إلى من استنهضهم من جيش السلطان لديه، ثم تقدم بهم في اليوم الثالث إلى الزهراء وطن الخليفة مولاه مُسْتَقًّا قُرْطَبَةَ. واجتهر^(٢) أهلها من احتفال جيشه، واكتمال عدده، وأطراد ترتيبه، ما امتلأت به قلوبهم فرحاً وشمخت^(٣) له أنوفهم عِزًّا. وأقام بِقُرْطَبَةَ أياماً اتصل فيها عمل السلطان ورجاله في تجهيزه وإزاحة علله وتقوية أَيْدِهِ^(٤) إلى أن بلغ منه ما ارتضاه، ففصل عند ذلك في جموعه يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب منها.

وورد على أمير المؤمنين يوم فصوله هذا، كتاب فتح من قبل القَوَادِ بمدينة أصيلا القائمين في وجه الغَوِيِّ حَسَنَ بن [قَنُون]: رَشِيق بن عبد الرَّحْمَنِ، وعبد الرَّحْمَنِ بن يُوْسُف بن أرمطيل، وإسماعيل بن عبد الرَّحْمَنِ بن الشيخ، يذكرون أنهم التقوا مع الغويِّ حَسَنَ بن قَنُون، فدارت بفنائهم حرب شديدة هزمه الله غَبًّا^(٥)، وقتلَ الجند كثيراً من حُماته، وأسروا منهم يَخْيَى بن قشاش رئيس لوائه وختن حسن، وأناقول بن سبع في عدد كثير من أبطالهم. وإن أبا حَسَنَ علياً نجا بجراح مثخنة نالته. فتضمن الجواب إليهم أَنَّ الرَّأْيَ ترك الحركة إليه والتعرض لحربه حتى يلحق بهم الوزير القائد الأعلى غالب بالقوة، إن شاء الله.

وفي هذا الوقت قدم إلى قُرْطَبَةَ رسول حنون بن إدريس صاحب مدينة الأقاليم بالْعُدْوَةِ، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين من مدينة فاس، يرغبان في الدخول في طاعة أمير المؤمنين والقيام بدعوته، فَكُرِّمَ رسولاهما وأجمل موعودهما.

وفي هذا الوقت نالت دُرِّيًّا الكبير الخليفة الصقلي المعروف بالخازن مَوْجِدَةً^(٦) من مولاه أمير المؤمنين لتقصير معه في خدمته، أقصاه له وأهانته، وولَّى إذلاله صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّدَ بن أفلح مولاه، فأحضره عن عهده إلى مجلسه بكرسي الشرطة عند باب السُّدَّةِ بالزهراء، ووقفه قائماً على قدميه إلى جانب الكرسي فَوَيْخَهُ وفَنَّدَهُ^(٧)

(١) الدَّهْم: العدد الكثير.

(٢) اجتهر الأمر القوم: عَظَّمَ في أعينهم، وراهم جماله وهيئته.

(٣) شَمَخَتْ أنوفهم: ارتفعت.

(٤) الأَيْدُ: القوة.

(٥) غِبُّ الشَّيْءِ: عقبه.

(٦) المَوْجِدَةُ: الغضب.

(٧) فَنَّدَ فَلَانًا: خَطَأَ رَأْيَهُ.

وأوعده دون أن يُغْلِظَ له، وهو ساكت كاظم^(١)، فلما أنهى كلامه، تولى عنه داخلاً إلى موضع سُكناه من القصر لم يدفع عن ذلك، فصار فيه، ونفذ الأمر إليه للنصف من رجب بعده بالانتقال من قصر الزهراء إلى قصر قُرْطُبَة والمقام به متخلياً عن الخدمة، قد نفذ العهد بإسقاط رزقه الخلافي عنه، وقصره منه على عشرة دنائير وازنة، تجري عليه في كل شهر، فأقام على ذلك إلى أن انتشله الرضى عنه في غرة ذي القعدة من هذه السنة بشفاعة الأمير أبي الوليد هشام له ولميسور الفتى الكبير الجعفري، وأحمد بن بكر الزنجي المسخوط عليهما بعده، توسلت جماعتهم بكتاب الأمير هشام بخط يده إلى الخليفة في الرضى عنهم، فعجل إسعافه، وأعادهم إلى حسن رأيه فيهم، وصرفهم إلى خططهم ومنازلهم.

وفي ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب منها سقطت نارٌ في دار القومة بجوف المسجد الجامع بمدينة قُرْطُبَة فأضرمت غرفها وسقف بيوتها وأسأت التأثير فيها.

وفي يوم الأحد لسبع خلون من رجب أحضر صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح بمجلسه بكرسي الشرطة بمدينة الزهراء أحمد بن هاشم [وابن مقيم وابن العاصي] إحضار إعتابٍ وتأديبٍ بعهدٍ نفذ إليه من الخليفة، نسبوا عنده إلى الغمص^(٢) للسيرة والتخطي بفضول^(٣) القول، فأقامهم بين يديه مقام خزية، وأنعمهم تقيعاً وتوبيخاً وإيعاداً، ثم تقدم إلى ابن هاشم منهم بالتزام داره لا يعدوها، وقذف ابن مقيم وابن العاصي معاً في سجن الزهراء.

وفي يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب منها خرج صاحب المخزول سَلَمَة بن الحكم إلى العُدوة وبين يديه عدة أحمال من المال العين لإعطاء معاريف المجهزين بها.

وفي هذا الوقت خرج صاحب الرد قاضي فحَص البلوط^(٤) عبد الملك بن مُنذر بن سَعِيد ومعه الخازن أحمد بن مُحَمَّد الكلبي إلى مدينة الفرج أمينين ليتعرفا حقيقة ما رفعه أهلها على قائدها رَشِيق بن عبد الرَّحْمَن صاحب الركاب فينصفانهم منه.

وفي سلخ شهر رجب منها وصل إلى قُرْطُبَة أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن إسماعيل بن طاهر بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن القاسم بن مُحَمَّد بن

(١) كاظمٌ: من كظم غيظه، وعلى غَيْظِه: أمسك على ما في نفسه، صافحاً، أو مغيظاً، ومنه: كَظَمَ نَفْسَهُ: حَبَسَهُ.

(٢) الغمص: التحقير والاستصغار، أو حجوم النعمة وكفرانها.

(٣) الفضول من كل شيء: ما لا فائدة فيه.

(٤) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف أوريط، وتشتهر بمعدن الزئبق وغيره. (معجم البلدان، الحموي: ٤٩٢/١).

أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - من ساكني بلد العُدوة - من ثغر أرض الشام الذي غلبت عليه الروم في هذا الوقت، قدم زائراً للخليفة المستنصر بالله متعرضاً لنائله، وأوله من المدينة الهارونية المنسوبة إلى هارون الرشيد من ثغور مدينة المَصِيصَة^(١). وكان قد رحل عنها قبل فتحها مع أبيه فقضى فريضة الحج ودخل اليمن ولقي ملوكهم وجال تلك البلاد مع أبيه. ثم رجعا إلى مصر يبغيان الانصراف إلى وطنهما، وقد غلبت الروم على الهارونية وما يليها من ثغور الشام. فانتقلا عنها إلى الغرب واستوطنا متنقلين في موطنه ما بين «شمس» من عمل أولاد البوري بن أبي العافية إلى «فلواته» من عمل أخيه مريـن بَعْدُوة القرويين من عمل فاس، ولا تليقهما أرض بعد فراق الوطن وفراق النعمة. وتوفي أبوه مُحَمَّد بن عبد الله منذ ثلاثة أعوام فنزعت به همته إلى قصد هذا الخليفة السني المبرز في الخيرات، فَأَمَّهُ^(٢)، واقرن به في قصده لحضرته إبراهيم بن مسهل الصنهاجي، ومُحَمَّد بن خلف الكتامي، وَجَهَان من وجوه قومهما في نفر من أصحابهما، فتقبلت وفادتهم ورحب بهم، وأنزلوا بالمدينة في الدار المنسوبة إلى بني غانم التي هلكت فيها تلك الأيام «معشوق» أم ولد مَنْصُور بن سنان، وأكرم مثواهم.

وفي غرة شعبان منها خُوطب صاحب البحر عبد الرَّحْمَن بن رُمَاحِس والقواد معه: سَعْد وَقَيْصَر وعبد الله بن مَرْوَان يستقصرون ويعنفون فيما قلدوه من أمر البنيان لِطَنْجَة، فلو أن لهم في الاعتزام منزلة لاستبان ذلك وهم على حركاتهم المتوانية، لكنهم أخذوا بالهويـنا وأخلدوا^(٣) إلى الأرض كأنهم بمفازة من إنكار أمير المؤمنين ونجوة من تغييره، فإن هذا الكتاب قد جعله إعداراً لهم وإنذاراً فإن ظفر منهم وراءه بما يحص سيئاتهم، وإلا كان نظره من ورائهم.

وفي صدره خرج صاحب الشرطة العليا والحشم قَاسِم بن مُحَمَّد بن قَاسِم بن طملس إلى الجزيرة بطائفة من الجند مُمِدّاً للوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَن، فكان خروجه فخماً نبيلاً اجتهره الناس وسرّوا به. وخرج بخروجه أحمد بن مُحَمَّد بن حُدِير بثمانين ألف دينار دراهم لقطاع الأجناد المُشْتَرِينَ بِطَنْجَة وأصيلا، لشهر رمضان منها وما بعده، وَخُوطب صاحب المخزول سَلْمَة بن الحكم الجَعْفَرِي بقبضها وتوزيعها بين يديه.

(١) المَصِيصَة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور، الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس. وقيل: المصيصية: قرية من قرى دمشق. (معجم البلدان، الحموي: ١٤٤/٥).

(٢) أَمَّهُ: قَصَدَهُ.

(٣) أخلد إلى الشيء: اطمأنَّ وسَكَنَ.

وفي النصف من شعبان أنفذ الخليفة صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية ووكيل الأمير، أبي الوليد هشام، مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عامر فتى الدولة، وصاحب الشرطة الصغرى قاضي الثغر الأعلى مُحَمَّد بن علي بن أبي الحسين، والخازن أحمد بن مُحَمَّد الكلبي، إلى مدينة أصيلا بالعدوة، أمناء وممتحنين على القواد بها. وأوعز إليهم بأشياء يقضونها. فمضوا لسبيلهم، وخرج بخروجهم مُحَمَّد بن فُرتون من موالي الجند في طائفة من أصحابه.

وفي هذا الوقت أخرج الخليفة جمهور بن عبد الرَّحْمَن بن الشيخ إلى مدينة سَرَقُسطَة أم الثغر الأعلى بطائفة صحبته من أنجاد الأجناد^(١) مَدَدًا لذلك الثغر، ربطهم فيه.

وفي النصف من شعبان منها اقترب الفتى الكبير دُرَيّ الأصغر الخازن الصقلي إلى الخليفة مولاه بإهدائه إليه مُنيته الغراء بوادي الرُّمَّان المنسوبة إليه، وكانت اختراعهُ ومرسى جنته ومستفرغ نفقته حتى أبلغ منها الغاية التي ناغها كثير من مُنى مولاه، وقسمت له حظاً من هواه صَبْرُهُ يتنابها أيام نزهه ويقسم لها من راحاته. تَحَرَّى لها هذا الفتى مَسْرَتَهُ فَرَفَّها^(٢) عند استوائها واكتمالها هدية إليه، بجميع ما كان له فيها داخلها وخارجها من البساتين المسقية والأراضين المزدرة^(٣)، وما كان له بها من عبد وأمة وثور ودابة، اشتمل ذلك على أعداد متوالية وأموال وافرة ونعم مؤثلة^(٤) تَقَبَّلها منه الخليفة مولاه وأبدى لها مَسْرَةً، وتقدم إليه بإقراره عليها وكيلاً له ومُسنداً إلى نظره فيها، كيما لا ينخرم شيء من عمرانها. فعمل بذلك، وسأل الخليفة إثر ذلك أن يشرفه بحضور دعوة يعدها له فيها، فيشهدها بالأمير هشام وَلَدِهِ وعياله فينيف بمقداره، فأسعهف الخليفة بذلك، وركب إليه من قصر الزهراء إلى هذه المُنيّة الرَّمانية المهداة له، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان منها قاصداً مع الأمير هشام ولده والعيال. وقد قَدَّرَ المبيت فيها ليلته فأقيم له داخلها بيوت المنام وضربت حولها الفساطيط والأبنية لمن حَفَّها^(٥) من الخدم والغلمان. فنزلها عامة يومه ذلك، عاكفاً على نعيم لا يُنادى وليده، مُطَهَّر من حرام يشوبه^(٦). وأفاض ربُّ^(٧) الدعوة على

(١) الأنجاد: جمع النَّجد: الماضي في ما لا يستطيعه سواه.

(٢) رَفَّ الشيء إليه: نقله، وأسرع به.

(٣) المَزْدَرَّة: المزروعة.

(٤) مؤثلة: ثابته، أصيلة.

(٥) حَفَّها: أحاط بها.

(٦) يَشُوبه: يخالطه، يمازجه.

(٧) رَبُّ الدعوة: صاحبها.

جميع من حضره داخلاً وخارجاً من صنوف الأطعمة الغربية وأنواع الفواكه الملذذة ما غالب شهواتهم وعمّ طبقاتهم، فأجمعوا أنهم لم يشاهدوا في المتنزهات السلطانية أكمل ولا أهدب ولا أعمّ من صنيع دُرِّي هذا. ودنا المساء وقد بدا للخليفة في المبيت بمنزله المنية، فانصرف مع الأمير ابنه وعياله إلى قصره بالزهراء.

وفي هذا الأوان من منتصف شعبان منها الموافق للعشر الآخر من شهر ماية الشمسي نزل بِقَرْطَبَة وما يليها مطر لَيْن حَدَثَهُ^(١) رياح شداد وبروق خواطف، ثم وليه إلى أيام نزول مطرٍ وابل، وزلزلت الأرض بِقَرْطَبَة وما يليها ليلة الاثنين لأربع عشرة خلت من شعبان في الساعة التاسعة منها.

فصل من أخبار

غالب بن عبد الرَّحْمَن في مَسِيرِهِ إِلَى الْعُدُوَّة

وفي يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من شعبان منها حُوِّطَ الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَن بالبعثة إليه بعشرة آلاف دينار لصلات الخارجين إليه من وجوه القبائل المنحرفين^(٢) عن المخدول حَسَن بن قنون وزعمائهم، يوزعها عليهم حسب مقاديرهم، استئلاًفاً^(٣) لهم واستصفاء لبصائرهم. وقرنَ بها من فاخر الكسوة: الديباج والخز والمطارف^(٤) والسيوف المحلاة عددً، للخلع عليهم، عدد ذلك من الديباج المضطلع الملون منه خمسون جُبَّة، والخز العبيدي الملون خمسون جُبَّة، والخز الطرازي الملون أيضاً خمسون جُبَّة، ومن المطارف المفصلة الملونة مائة جُبَّة، ومن العمامم اللاسيّة الملونة مائة عمامة، ومن السيوف العدوية الحالية، والشطر منها مخرمة، عشرة سيوف.

وفيه ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَن من الجزيرة يذكر أنه ورد عليه كتاب عبد الكريم بن يحيى، ومُحمَّد بن يحيى الصنهاجي صَاحِبِي مدينة فاس^(٥). ثم كتاب إسماعيل بن البوري، ويحيى بن البوري، وغيرهم من وجوه أهل العُدُوَّة يذكرون ما هم عليه من الجنوح والصاغية^(٦) واعتقاد الطاعة، وأنه أجابهم عن كتابهم قابلاً منهم مؤكداً لبصائرهم مُعرِّفاً لهم [ما] فيه من خير العاجلة والآجلة.

(١) حَدَثَهُ: دفعته، ساقته.

(٢) انحرف إلى فلان: مال إليه.

(٣) استألف القوم: جمعهم على الألفة والمودة.

(٤) المطارف: جمع المطرف: رداء أو ثوب من خَزٍ مُرَبَّع ذو أعلام.

(٥) فاس: مدينة كبيرة على بَرِّ المغرب، من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجل مدنه قبل

اختطاط مراكش. (معجم البلدان، الحموي: ٢٣٠/٤).

(٦) الصَّاغِيَة: صاغية الرجل: خاصته الميَّالون لاتباعه، ومنه: صَغَى إليه: مال.

فَجُوبَ بِإِحْمَادِ رَأْيِهِ وَحَسَنِ مَوْقِعِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ وَإِبْلَاغِهِ بِالْإِزْدِيَادِ مِنْهُ . وَضَمَّنَ الْجَوَابَ فَصْلاً فِي إِرسَالِ مُحَمَّدَ بْنِ حُسَيْنِ التَّمِيمِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِالطُّبْنِيِّ الشَّاعِرِ إِلَيْهِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ فِي شَأْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لْغَالِبِ رَغْبَةً فِي إِصْحَابِهِ إِيَّاهُ : «وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ بَتَوْجِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ حُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ إِلَيْكَ عَلَى مَا رَغِبْتَ فِيهِ ، فَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُكَ مِنْهُ عَلَى خِيَارِ وَثْقَةٍ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، مَعَ نَفَازِ دَرِبَتِهِ وَصِدْقِ مِمَارَسَتِهِ لَمَّا يَرْمِي إِلَيْهِ . وَاعْتَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ يَعْلَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِذَلِكَ ، وَشَكَرْنَا لَهُ تَصْحِيحَهُ وَمَنَاصِحَتَهُ وَلَنْ يَأْلُوكَ عَوْنًا وَتَرْزِيئًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

وَاسْتَحْضَرَ الْخَلِيفَةُ الْحَكَمُ مُحَمَّدَ بْنَ حُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ عَقِبَ شَعْبَانَ ، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعُدُوَّةِ وَاسْتَصْحَابِ الْوَزِيرِ الْقَائِدِ الْأَعْلَى غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالتَّصَرُّفِ فِي شُؤْنِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ فِي تَدْبِيرِهِ ، فَفُتِدَ لِسَبِيلِهِ ، سَلَخَ شَعْبَانَ الْمُؤَرَّخَ .

وَفِي آخِرِ شَعْبَانَ الْمُؤَرَّخِ وَصَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْمُسَمَّى حَنُونٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَنِ بْنِ قَنُونِ الْمُنْتَزِي عَلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ بِالْعُدُوَّةِ ، مَفَارِقاً لِعَمِّهِ جَانِحاً إِلَى طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ ، فَتَقَبَّلَ نَزْوِعَهُ وَأَكْرَمَ مَوْرَدَهُ وَأَنْزَلَ فِي دَارِ ابْنِ أُمِيَّةٍ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ ، وَأَوْسَعَتْ عَلَيْهِ الْجَرَايَةُ .

وَفِي هَذَا الْوَقْتِ أَعْذَرَ ^(١) الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَيْسَى بْنِ حَنُونٍ وَابْنَ عَمِّهِ أَبُو الْعَيْشِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيَّ الْمُسْتَأْمَنَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ بَنَيْنَ لِهَمَّا بِمُنْيَةِ الْمُنْتَلِيِّ شَرْقِي قُرْطُبَةَ ، مَكَانَ إِنْزَالِهِمْ ، وَأَعْلَمَا بِذَلِكَ الْحَكَمَ . فَاحْتَمَلَ عَنْهُمَا كُلَّ الْإِنْفَاقِ فِي غَدِ يَوْمِهِمْ ، وَعَهْدَ بِإِقَامَةِ صَنِيعِ فَخْمٍ عَنْدهُمْ بِالْمُنْتَلِيِّ يَحْتَفِلُ فِيهِ وَيُسْتَدْعَى لَهُ وَجُوهُ النَّاسِ ؛ وَلِي ذَلِكَ الْوَزِيرُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِقُرْطُبَةَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ ، فَأَوْسَعَ نِطَاقَهُ وَأَحْسَنَ تَهْذِيبَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ كُفَاتَهُ مِنْ كِتَابِهِ وَخِدْمَتِهِ فَانْتَهَى [إِلَى] الْغَايَةِ مِنْ تَحْسِينِهِ . وَاسْتَدْعَى لِمَشَاهِدَتِهِ طَبَقَاتِ الْأَصْنَافِ مِنْ قَرِيشٍ وَمَنْ تَوَافَى فِيهَا مِنْهَا يَوْمَئِذٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْبَرَابِرِ وَفِرْسَانِهِمْ ، وَجَمْهَرَةٍ مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَبِيَاضِ أَهْلِ السُّوقِ فَطَعِمُوا وَغُلِفُوا بِأَثَرِ الْبُخُورِ بِالْغَالِيَةِ ^(٢) الْخَالِصَةِ ، وَانْقَلَبُوا مَكْرَمِينَ . وَاعْتَرَفَ الْقَرَشِيَّانِ ، أَبُو الْغَلَمَةِ الْمَعْدَّرِينَ ، لِلْخَلِيفَةِ بِفَضْلِ مَا أَجَدَّ مِنَ التَّخْصِيسِ وَالتَّكْرَمَةِ ، فَاغْتَبَطَا بِاعْتِقَادِ الطَّاعَةِ .

وَدَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ فَعَهْدَ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ فِي غُرَّتِهِ بِتَضْعِيفِ صَدَقَاتِهِ الْمَعَاوَذَةِ الْإِخْرَاجِ فِي مِثْلِهِ ، فِي تَجْدِيدِ مَا اعْتَادَ فِي مَا قَبْلَهُ مِنْ زَلْفَاتِهِ ^(٣)

(١) أَعْذَرَ فَلَان : أَقَامَ طَعَامَ الْإِعْذَارِ (الْخَتَانِ) .

(٢) الْغَالِيَةُ : خَلِيطٌ مِنَ الطَّيْبِ كَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ .

(٣) الزَلْفَاتُ : جَمْعُ الزُّلْفَى : الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ .

إلى بارئه، وقرباته إلى ربّه فأبرز الأموال الرغبية إلى أمنائه وحكامه الذين نصبهم لها ليجولوا بها في أرباض حضرته [قُرْطَبَة] والزهاء وأكنافهما يتحرون بها أهل الستر وذوي الحاجة، فعمتهم وتخطتهم إلى أبناء السبيل، ومكشفي الستر، فنالوا منها ذنوباً، وفرج الله بها عن كثير منهم كرباً.

وفي يوم الثلاثاء لِسْتُ خلون منه عهد أمير المؤمنين الحكم إلى الوزراء بالقعود في بيتهم لرؤساء البرابر القادمين من العُدوة المتكامل عددهم في هذا الوقت، ومشاهدة توزيع الصلات والكسي عليهم التي أمر بها لهم ووسمها لكل واحد منهم. ففعلوا وقعدوا لهم، وكان الإنذار قد نفذ إلى جميعهم فحضرُوا ودُعي بإمامهم أبي العيش بن أيوب بن بلال، رئيس كُتامة، فدفعت إليه خرائط^(١) عدة من المال وأعداد من صنوف الخلع الرفيعة، وحمل على فرس رائع بسرج مُعَرَّق ولجام مفرغ، وخُلع على ابنه خلع فاخرة. فخرجا وبين أيديهما خرائط المال ومناديل الخلع. ثم دُعي بمن معه من الرؤساء أولاً فأولاً فأسلمت إليهم صلاتهم وخُلعهم، وأفيضت في جميع أصحابهم وأعوانهم حسب مقاديرهم.

وكان القُرشيّ البَكْرِيّ^(٢) أحمد بن مُحَمَّد الوافد على الخليفة قد استُخْضِر معهم يومئذٍ قَوْصِل بمائتي دينار وخُلع عليه خلعة تشاكله، وقال له الوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عثمان متولي ذلك عن الخليفة: هذه صلتك فيما تستقبله لكل عام إن شاء الله زائدة على راتب شهركَ. فدعا وأظهر الرضى، وقد أسرَّ بهواه. وأوذن لكل من قبض الصلة في هذا اليوم بالانطلاق لسبيلهم، فأخذوا في شأنهم، ودفع إلى أبي العيش بن أيوب كبيرهم سجله المعقود له على قومه من قبائل كُتامة الذين عاهدوه على طاعة أمير المؤمنين، وعدد فرسانهم فيما ذكره ثلاثة آلاف وخمسمائة ونيف، ورجالهم ستة آلاف وأربعمائة، معروفون بالبسالة. وكانت نسخة السجل له، وهو من كلام الوزير الكاتب صاحب الموارث جَعْفَر بن عُثْمَان:

«بسم الله الرَّخْمَن الرَّحِيم. كتاب من عبد الله الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب، أنه ولأه النظر في قبيلة أطانة مهران من كُتامة مؤثراً له ومظهراً لحسن رأيه فيه وثقته به فيما فوضه إليه للذي أحبه من استصلاحه واستصلاح أحواله وأحوالهم وصلة أسبابهم وتمهيد أمورهم. وأمره بتقوى الله العظيم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، والتزام طاعته وطاعة خليفته التي افترضها عليه،

(١) الخرائط: جمع الخريطة: وعاء من جلد أو نحوه، يُشَدُّ على ما فيه.

(٢) أي الذي ينتسب إلى أبي بكر الصُّدِّيق.

مستشعراً لها مخلصاً فيها محافظاً عليها معتقداً للقيام بوظائفها وشروطها، والوقوف عند حدوده، والانتهاز إلى عهوده، والتصرف معها كيف تصرفت به وافقت محبوبه أو خلافه، عالماً بما له في ذلك من خير العاجلة والآجلة. وأن يعطي صفقة أيمانه بين يدي الوزير القائد الأعلى غالب مولى أمير المؤمنين على الوفاء بما التزمه من الطاعة والنصيحة، وأن يأخذ على ذلك أيمان وجوه القبائل المصروفة إليه، وعلى مسالمة مَنْ سألهم ومحاربة مَنْ حاربه، دَئِماً مِنْهُ أو بعدوا عنه.

«وأمره أن يحتمل في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة مُحَمَّد ﷺ المرسل بهما، وأن يأخذ أَخْذَ نفسه بمراعاتهما والاهتداء بهما، فإنهما مفتاح جنته والنور الذي لا يضلُّ من استضاء به ولا يستبهم^(١) باب من أبواب الصواب عليه. وأن يقف عندما أمره به من استصلاح أحوالهم والعفاف على أموالهم واستعمال العدل فيهم، والأخذ لهم ومنهم وعليهم، والتسوية فيه بين شريفهم ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم، وفتح بابه، ورفع حجابهم، ومباشرة أمورهم بنفسه، وحملهم على واضح الديانة ومناهجها المستقيمة وما عقده منها الكتاب والسنة، ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها، بحدودها والأذان لها على حسب ما كان في عهد رسول الله ﷺ والراشدين من بعده، وما عليه جماعة المسلمين فيه والإفطار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول الله ﷺ فإنه قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً». وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم والثمرات الموجودة بأرضهم وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائعها غير مُقْصِرٍ عنها، ولا متجاوز لها ولا مُبَدِّلٍ لشيء منها، وذلك من الذهب والفضة ربع العشر إذا كان المال حاصلًا بيد المزكي وغير خارج عنه في دين أو تجارة، وليس فيما دون عشرين مثقالاً زكاة، ولا فيما دون مائتي درهم زكاة. والزكاة كلها في كل عام مرة، وزكاة الإبل في كل خمسٍ شاة وليس فيما دون هذا زكاة إلى أن تبلغ إلى عشر ففيها شاتان، فإذا انتهت إلى خمس عشرة ففيها ثلاث شياؤ، وإذا انتهت إلى عشرين ففيها أربع شياؤ إلى أربع وعشرين، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض^(٢)، فإن لم توجد فابن لبون^(٣) ذكر إلى خمس وثلاثين، فإذا كانت ستاً وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا كانت ستاً وأربعين

(١) استبهم الأمر: استغلق وأشكل.

(٢) المَخاضُ: الحوامل من النوق، ومنه قيل للفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية: ابن مخاض، والأنثى ابنة مخاض. ويقال للفصيل إذا لقحت أمه: ابن مخاض، ومثله الأنثى.

(٣) اللبون من الشاء والإبل: ذات اللبن، وولدها في تلك الحال: ابن لبون، والأنثى: ابنة لبون.

ففيها حقة^(١) إلى ستين، فإذا كانت إحدى وستين ففيها جذعة^(٢) إلى خمس وسبعين، فإذا كانت ستاً وسبعين ففيها ابتنا لبون إلى تسعين، فإذا كانت إحدى وتسعين ففيها حقتان، فإذا كانت مائة وعشرين فما زاد ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة. وفي كل أربعين من الغنم شاة وليس فيما دون هذا العدد بصدقة، إلى مائة وعشرين. فإذا زادت شاة [. . .] وإذا زادت على هذا العدد ففي كل مائة شاة؛ وإذا بلغت البقر ثلاثين ففيها تبيع ذكر، وليس فيما دون هذا العدد زكاة إلى أن تبلغ أربعين، ففيها مُسِنَّة. فإذا زادت على ذلك ففي كل ثلاثين تبيع وفي كل أربعين مُسِنَّة. ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وذلك أن يكون لثلاثة رجال مائة وعشرون شاة لكل واحد منهم أربعون تلزمه عنها شاة واحدة، وأن يكون لرجلين مائتا شاة وشاة يجب عليهما فيها ثلاث شياه، فإذا أظلمهم المصدق فرفاها فلم يكن على كل واحد منها إلا شاة. والمأخوذ في الصدقة الشني والجذع، ولا تؤخذ الرتبة وهي التي قد وضعت، ولا الأكولة، ولا فحل الغنم. وأن تؤخذ الزكاة من جميع الحبوب المدخرة؛ وليس فيما دون خمسة أوسق زكاة؛ والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد بمد النبي ﷺ، فإن زاد العدد على هذا كانت الزكاة فيه العُشر، إذا سقته السماء والعيون، وإن كان بعلأ أو سُقي بالنواضح ففيه نصف العشر. ولا زكاة في تين ولا جوز ولا لوز ولا في الفواكه كلها رطبها ويابسها. وتخرج زكاة النخيل والأعناب، وتخرج زكاة الزيتون من زيتة إذا عَصِرَ؛ ولا زكاة على أهل الذمة رجالهم ونسائهم، ولا في شيء من أموالهم ولا مواشيهم إنما عليهم أداء الجزية، وإن ضربوا من بلد إلى بلد فعليهم العشر بعد أن يبيعوا. وعليه أن يعدل في قبض الزكاة وتوزيعها على الثمانية الأصناف الذين سماهم الله، فإن لم يجد في بلاده جميعهم عادت حصص المفقودين منهم إلى أولياء الحق الذين يجاهدون الكفار والملحدين، على ما يراه قواد أمير المؤمنين المتصرفين بالمغرب، وألا يستأثر منها بغير الثمن الذي أوجبه الله للعاملين عليها غير مُتَزَيِد ولا مُتَجَاوِز له. ولا يبقى في شيء من البلد المصروف إليه مرصداً يأخذ فيه من مجتاز أو عابر سبيل شيئاً، ولا يتعرض لهم في إتاوة^(٣)،

(١) الجِئُّ من أولاد الإبل: الذي بلغ أن يُركب ويُحمل عليه ويُضرب، وقيل: إذا بلغت أمه أوان الحمل من العام المُقبل، وقيل: إذا بلغ هو وأخته أن يُحمل عليهما، ويُزَكَّبا، فهو جِئٌّ، وهي حَقَّة.

(٢) الجذع من الإبل: الذي يستكمل أربعة أعوام، ويدخل في الخامسة، والأنثى: جذعة. والجذع من الخيل: إذا استتمَّ الفرس سنتين، ودخل في الثالثة. والجذع من البقر: الذي يتم الستين ويدخل في الثالثة.

(٣) الإتاوة: الجزية أو الخراج.

ولا قبالة^(١)، ولا مغرم^(٢) من المغارم، ولا رسماً من رسوم المأكّل، ولا ظلامة، ولا كلفة يعود أثقلها على أموالهم في برّه وبحره.

«وأمره أن يعرف للمؤلفة قلوبهم وأهل الطاعة السابقين لهم حقوقهم ويقرب منازلهم، وأن يجمع أهل العداء والظلم وقاطع السبل حتى تأمن طرق المسلمين بأرضه فلا تهتك حرمة ولا تستهلك نعمة ولا يبطل حق ولا يُعطل حدّ، حتى تكون الأمة سواء في عدل أمير المؤمنين وفضله وينال المقيم والظاعن بركة عهده؛ وأن يلتزم إنهاء الأخبار على وجهها واستطلاع الرأي فيما أظله منها مما لم يقع في عهده هذا فيأتي ما أتاه منها على بيان وهداية إن شاء الله. ويستشعر الحزم والعزم والمناصحة والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه والفاسقين عن طاعته. فمن قرأ عهد أمير المؤمنين هذا من أهل قبيلة أطانة أو قرىء عليه فليسمع لأبي العيش بن أيوب وليطع فإنه حجة له ولسامعيه إذا عملوا بما فيه وحجة له عليهم إذا خالفوه، والله المستعان لا رب غيره».

قال: ودفع إلى جميع من سجل له على قومه من قبائل البرابر ممن اجتمع بالباب من رؤسائهم في هذا اليوم الذي أذن لهم بالإنطلاق فيه من سجلاتهم المنعقدة لهم على نسخة سجل أبي العيش بن أيوب زعيمهم، فأظهروا الرغبة فيه ووعدوا بالقيام بما أخذ عليهم من العمل بها وترك الخلاف لها، فكان ممن دفع إليه سجله منها يَحْيَى بن فتوح على قبيلة أجاز، والحسن بن صَرْحَان على قبيلة عَصْمَان، وإبراهيم بن علي على قبيلة نَفِيس، وَخَلُوف بن عَمَّار على قبيلة مَاسُوَاه، والقاسم بن نَصْر على بني معار، ونحيل بن عفي على قبيلة لهيصّة، وابن جلال الكُتامي على قبيلة بجرمة، وخَلَاد بن سَعِيد على قبيلة مُسَالمة، ومُهَارَش بن عِمْرَان على قبيلة مَرْهَاجَة، وأبو رسة بن الأحسن على قبيلة نورسة، ومُحَمَّد بن أعصر على قبيلة إفلاسة، وأبو مَوْسَى بن أبي زيد على قبيلة هيوسة، وعيسى بن يملول على قبيلة بني مُغاور وراء الجبل أيضاً، وصُنْعَان بن خليفة على قبائل غمارة، وأبو دسيس بن طيوس على قبيلة ولوسة، في آخرين أخفضّ منهم، تركنا ذِكْرَهُمْ، فكان انقلابهم إلى أوطانهم في النصف من شهر رمضان منها.

ونفذ العهد باحتمال مظل فخم بفرشه وآلته مع زعيمهم أبي العيش بن أيوب بن بلال المستقود منهم لنزوله فيه إكراماً له، وخلف بِقَرْطُبَة ابنه محمّداً وعياله تحت جراية واسعة.

وفي عقب رمضان منها خرج عن قَرْطُبَة أحمد بن مُحَمّد القرشي الثيّمي الزائر منصرفاً إلى مكان استيطانه بالعدوة مكرماً محبوراً.

(١) الْقَبَالَة: وثيقة يلتزم بها الإنسان أداء عمل أو دين أو نحو ذلك.

(٢) الْمَغْرَمُ (في المال): ما يلزم أداؤه تأدياً أو تعويضاً.

وفي هذا التاريخ وصل إلى قُرْطَبَة عدد جَمٍّ من قبائل البربر الجانحين إلى الطاعة المتعرضين للنوال كان فيهم من الأعلام المذكورين نحو من الستين فارساً فأُنزلت جماعتهم وتوسع عليهم، واتسع النطاق في وفادهم من كل أوب مُقَرِّين بالانحراف عن مُغويهم حَسَن بن قَتُون الحسني، داعين إلى حثهم لحربه، فعموا بالقبول وأرضوا بالعطاء وَصَّبَ المال في أطناهم^(١) صَباً. وقعد الخليفة للموافين منهم إلى بابه في هذا الوقت قعوداً فخماً محكم النظام شهده الوزراء وأكابر أهل الخدمة ووجوه الجند، فتوصلوا يقدمهم رئيس غمارة مع أصحابه [إلى] من سواه من وجوه القادمين، فشكر لهم طاعتهم وأحمد بذارهم ووعدهم بالإحسان إليهم والإنعام عليهم وأقرهم تحت الجرايات الواسعة إلى أن يفرغ للنظر في شأنهم.

وفي هذا الوقت ورد الخبر بركوب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَنِ البحر في الأسطول من مدينة الجزيرة فرضة المجاز إلى بلد الأندلس بعد طول مقامه فيها، بعد أن استكمل أهبتها فيها، وقَدِمَ إجازة الأجناد والخيل والأثقال وآلات الحروب، فتوافت إلى هنالك كاملة، وإن ركوبه من الجزيرة كان في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها وقلد رافعاً إلى جهة طَنْجَة من أرض العُدوة، فلما أشرف عليها حرفته الريح^(٢) إلى مَرَسَى بطنه المعروف بمرسى قبالة بغربي الجزيرة التي ركب منها وعلى أربعة أميال منها، فأرسي هنالك مضطراً وتلَوَمَ أياماً يستطيب الهواء إلى أن ارتضاه، فأعاد الركوب ورزقه الله طيب الريح، فقطع البحر سهلاً سُرْحاً. ووافى كتابه في يوم الاثنين لأربع بقين من شهر رمضان يذكر أنه احتل بمرسى اليم المعروف بباب القصر على مقربة من مدينة طَنْجَة يوم الخميس لثمانٍ بقين من شهر رمضان مسلماً هو وجميع من ركب معه من الحشم والآلات، وأنفذ كتابه عشي يومه ذلك، فحلَّ الفرج وارتقب الفتح وعظمت المسرة.

وفي يوم الأربعاء لخمس خلون من شَوَّال بعده ورد الخبر بانتقال الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَنِ من محلته بِطَنْجَة يوم الأحد ليلتين خلتا من شَوَّال مستقدياً نحو الملحد حَسَن بن قَتُون إلى محلته بجرماية. ثم وافى كتابه يوم الاثنين لعشر خلون من شَوَّال يذكر احتلاله بمحلة جرماية يوم الأربعاء لخمس خلون من شَوَّال، وحكى أن حسناً المُلحد ارتفع إلى الأجل المتصلة بجبل الكرم حياداً عنه.

وورد كتاب صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرَّحْمَنِ بن رُمَاحس يذكر حركته بالأسطول إلى أصيلا لما في القرب من الوزير القائد الأعلى واجتماع الأسطولين من

(١) الأطنا: الأطراف والنواحي.

(٢) حرفته الريح: أمالته، صرفته عن وجهته.

صواب التدبير والأخذ بالحزم، فَجُوبَ بتصوّب رأيه، وَجُوبَ الوزير غالب بمثل ذلك. وأُرسلت إليه كسى فخمة وسروج وألجُم محلاة فَفَضُّها فيمن جاءه من الرؤساء. وفي هذا الوقت أرسل الخليفة المستنصر بالله إلى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّخْمَن بالقبة الحمراء الفخمة المرأى البديعة الصنعة التي أمر باتخاذها له على حدّه ووصفه كيما يرفعه وسط محلته، ويكون نزوله وقعوده فيها إسماءً لقدره ورغمًا لقلب عدوه. وكانت غريبة الابتداع عجيبة الاختراع لها منظر رائع ومرأى فائق، جرى للناس في اتخاذها كلامٌ كثير.

وفي هذا الوقت وافت إلى المدينة الزهراء المِهَارُ^(١) والفلاء^(٢) المستنتجة في مدائن إشبيلية ولُبْلَة في عدد وافر وصفات مقبولة سَرَتِ الخليفة حتى تحمله الإعجاب بها على أن جلس لرؤيتها في بعض مجالسه المطلة على الرياض بالزهراء ومعه الأمير هشام ابنه، فتولى فَضُّها واعتراضها بين يديه الفتى الكبير فائق صاحب البُرد والطرّاز، وصاحب الخيل والحشم زيّاد بن أفلح موله.

وفي هذا الوقت نالت ميسوراً الفتى الكبير الكاتب الصقلبي الجَعْفَرِي موجدة من الخليفة لأمرٍ قَصُر فيه، فأمر بضمه إلى سجن الزهراء، فبات فيه ليلة، ثم أمر بحمله إلى داره من يومه مسخوطاً عليه قد وكل به الوزير صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح موله مؤنساً الصقلبي، ثم لحقه صفح الخليفة عنه فأطلقه وأعادته إلى خدمته في العشر الآخر من شهر رمضان.

وفي هذا الوقت أعيد رَائِقُ بن الحَكَم خال الأمير هشام إلى خُطّة المخزول، وارتفعت الغضاضة^(٣) عنه.

وللنصف من شهر رمضان ورد كتاب مُحَمَّد بن حَسَن بن قَاسِم صاحب عُدوة القرويين من مدينة فاس يذكر راسخ محبته وصادق موالاته ومتمكن رغبته في اعتلاق حبل الخليفة الحكم والركون إلى سلطانه واستجزال رأيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، عالماً بما له في ذلك من حسن العاجلة والآجلة. فَجُوبَ عن كتابه بأنه إذا اعتبر مذهب أمير المؤمنين ووقف على سيرته في سلطانه ازداد اغتباطاً بما صار إليه ودخل فيه، فليتماذ على بصيرته وواضح طريقته، فإنه نصيح من السابقين الأولين إلى سلطان أمير المؤمنين اللاحقين بشأؤ أوليائه الأولين. وليسبق إلى مواصلة القائد الأعلى غالب موله مستظهِراً بذلك على مذكور طاعته مؤكداً لوسيلته.

(١) المِهَارُ: جمع المِهْر: أو ما يُنتج من الخيل والحُمُر الأهلية وغيرها.

(٢) الفلاء والأفلاء: جمع الفُلُو: الجحش أو المهر يُفْطَم، أو يبلغ السنة.

(٣) الغضاضة: الدّلة والمنقصة.

وفي هذا الوقت قدم إلى قُرْبَةِ الرجال الشداد الجلال^(١) الذين أرسل بهم سعادة القائد بِطَلَيْطَلَة وانتقاهم في ثغرها من ذوي البأس والرجولة، وكانت عِدَّتْهم ألفاً وسبعمائة، وكان دخولهم معبئين في الزي الجميل والشكل التام، قد لبسوا الأقبية^(٢) البيض، وتقلدوا السيوف الإفرنجية، وبأيديهم التراس الملوثة، والرماح المستوية الأسنة، فتقدموا إلى الزهراء وعليهم العرفاء الموكلون. وقعد الوزراء لاعتراضهم وأصحاب الحشم معهم، فكمل اعتراضهم والإنفاق فيهم، وأزعجوا مع النظر عليهم إلى العسكر بالعدوة.

وفي العشر الآخر من شهر رمضان منها انصرف الأمناء من العدوة، صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية مُحَمَّد بن أبي غَامِر وصاحب الشرطة الصغرى قاضي الثغر الأعلى مُحَمَّد بن علي بن أبي الحسين، والخازن أحمد بن مُحَمَّد الكلبى، فتوصلوا إلى الخليفة الحكم عشي يوم مقدمهم وسألهم عن ما أرسلهم من أخبار العدوة واستقصاهم عن جميع ما هنالك. فأوسعوه علماً وشفوه خبراً، فأحمد سعيهم، وسكن إلى صحة أخبارهم، وأثنى عليهم، وأمر يومئذ ب خطاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرُّخْمَن ببعثه له أعداداً جَمَّة من ثياب الديباج المخيطة والجلب العبيدية والطرازية ومن السيوف المحلاة، أتى على جميعها الوصف، وأمر بأن يكسوها من سُمي في الكِتَاب من أعيان وجوه البرابر المنحاشين إلى الطاعة، وهم وارث بن سعادة، ومخلد بن مروة، وحسين بن خيران، ورقان بن عون، وإدريس بن حماد، وضيفان بن خليفة، وحنون بن عبد الله. وأمر الوزير غالب بن عبد الرُّخْمَن أن ينزل كل واحد ممن تضمن هذا الكتاب منزلته ويوفيه حقه.

وفي ليلة الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان منها وذلك في الساعة الثالثة منها طلع في السماء من ناحية أَلْقَبْلَة كوكبٌ ضخم الجرم شديد الضوء أخذ إلى جهة الجوف، أضاء منه جميع الأفق وكان في مقياس ضيائه فوق بَرْقِ الخَلْب^(٣).

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى يوم السبت غرة شَوَّال منها، وقعد له أمير المؤمنين على السرير في المجلس الموفي على الرياض بقصر الزهراء أفخم قعود وأكملة ترتيباً وأبهاء تزييناً.

(١) الجَلَاد: جمع الجَلْد: القَوِيُّ، الصابر على المكروه.

(٢) الأقبية: جمع القَبَاء: ثوب يُلبس فوق الثياب أو القميص، وَيَتَمَطَّقُ به.

(٣) الخَلْب: السحاب يَوْمُض برقه حتى يُزْجَى مَطَرُهُ، ثم يُخْلَف وينقشع، ويقال: بَزَقَ خَلْبٌ، والْبَزَقُ الخَلْبُ، وبَزَقَ الخَلْبُ.

وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة، وقضوا حق التسليم والتهنئة، وقعد منهم عن ذات اليمين الشقيق أبو الأصبع عبد العزيز، وتحتة أبو المطرف المغيرة الصغير، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسم الأصبع ثم الوزراء، فقعدوا بعد التسليم على مراتبهم بإثر الإخوة، وقعد جعفر بن علي تحتهم. ووقف على جانبي السرير من الفتيان الأكابر عن ذات اليمين صاحب البيازة والصاغة جوذر الفتى الكبير، وتحتة مرسن الفتى الكبير، وعن ذات اليسار صاحب البرد والطاراز فائق الفتى الكبير. وكان الحاجب عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان، وتحتة صاحب الشرطة العليا يحيى بن عبد الله بن يحيى بن إدريس، وتحتة صاحب الشرطة العليا والحشم قاسم بن محمد بن طملس، وبعده صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية محمد بن عبد الله بن أبي عامر؛ والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح، وتحتة صاحب الشرطة العليا أحمد بن عيسى بن قطيس، وبعده صاحب الشرطة الوسطى عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي؛ وحجب بإثرهم بعد فرجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم من أصحاب المخزول والخزان والعراض والكتاب والأمناء على طبقاتهم؛ ورتب معهم يومئذ يحيى بن علي الأندلسي قائماً يحجب معهم تشريفاً له. ووقف في هذا المجلس عن ذات اليمين وذات اليسار الخلفاء الأكابر من الفتيان الخصيان على منازلهم، ثم الكتاب منهم، ثم الوصفاء، ثم أصحاب الركاب على مراتبهم إلى آخر المجلس. واتصل منهم في البرطل^(١) وساحة السطح العلي سائر الفتيان الخصيان أهل الخدمة على طبقاتهم صفين إلى باب المجلس الغربي مجلس الأجراء، وإلى باب الفصيل الأول من السطح العلي أصحاب الخطط وأهل الأسنان من الفتيان وغيرهم، عليهم القلائس الموشية والسيوف الحالية إلى الفصيل المعروف بفصيل مرفه. وقد انتظم الفتيان الكتاب فانتظمت إلى باب المدينة البراني، باب الصورة.

فلما استقرت هذه المراتب بالقوم وانتهت حدود كمالها، أذن لطبقات قریش الأقرب فالأقرب، فتقدموا للسلام وبين أيديهم الكتاب المرتبون في المجالس الجوفية المرسومة لقعودهم، وصار بينهم أولاد علي بن يحيى الحسيني ومن توافى بقرطبة من رهائن بني إدريس، فتوصلوا زُمرًا^(٢)، وقضوا حق تسليمهم، وأقعدوا في البهو، المنتظم بالبهو الذي قعد فيه أمير المؤمنين عن يساره. ثم توصل بإثرهم الموالي، فأقعدوا بعد التسليم في ذلك المجلس أيضاً، ثم توصل بعدهم الحكام وقضاة الكور

(١) البرطل: المظلة الصيفية.

(٢) الزُمر: الجماعات.

وأهل الشورى وطبقات العلماء والعدول وبياض أهل قُرْطَبَة، ثم قبائل البربر والنزاع من أهل العُدوة ووفود الأمصار، ثم طبقات الجند على مراتبهم من الأحرار والعبيد والخمسين إلى الطنجيين. فكان يوماً حافل الجمع رفيع القدر جداً. وكانت الخطباء والشعراء طول مدة القعود ترتجل القول وتنشد الشعر وتُسَخِّفُ^(١) في الوصف، فكان ممن قام بين يديه في المحفل يومئذٍ من الشعراء منشداً شعره في مديحهم شيخهم طاهر بن عليّ البغدادي المعروف بالمهند فقال فيه: [من المنسرح]

بادز إلى مَسْلُكٍ خُلِقَتْ لَهُ	فَخُذْ بِحِظِّ اللَّيْبِ مِنْ قِسْمِهِ ^(٢)
وَكَفَّرِ الزُّورَ بِالْحَقِيقَةِ فِي	وَضَفِ إِمَامِ الْهُدَى وَفِي كَرَمِهِ ^(٣)
وَحَبَّرِ الْقَوْلَ فِي غُلَاهُ وَضَغْ	جَوَاهِرِ الْقَوْلِ حَشَوْ مُنْتَظِمِهِ ^(٤)
وَهَلْ لِهَذَا الْعَرُوضِ مِنْ أَحَدٍ	يَصْدُقُ فِي مَذْهِ سِوَى حَكَمِهِ
مَنْ جَعَلَ اللَّهَ خَلْقَهُ كَرَمًا	عِيَالَهُ وَالْمَلُوكَ مِنْ خَدَمِهِ
فَفَضَّلَهُ فِي الْبِلَادِ مِنْ نَعَمِهِ	وَصَوَّلَهُ فِي الْبِلَادِ مِنْ نِقَمِهِ ^(٥)
أَلْبَسَهُ اللَّهَ ثَوْبَ مَقْدَرَةٍ	أَدْخَلَ مِنْهَا الْأَعْدَاءَ فِي سَلَمِهِ ^(٦)
وَزَادَهُ هَنِيئَةً مُمَثَّلَةً	فِي كُلِّ قَلْبٍ تَجُولُ فِي وَهْمِهِ
فَكُلُّ مَنْ غَابَ عَنْهُ حَاضِرُهُ	فِي خَوْفِهِ أَوْ نَدَاهُ أَوْ هَمَمِهِ
بَخَرْنَا نَدَاهُ مِيَاهُ لُجَّتِهِ	وَدُرُّهُ مَا يَبُثُّ مِنْ كَلِمِهِ ^(٧)
إِنْ جَادَ عَمَّ الْأَنَامَ نَفْحَتُهُ	أَوْ قَالَ نَصَّ الْعُلُومَ فِي حِكْمِهِ ^(٨)
لَوْ كَانَ فِي الْبَحْرِ مِنْ خِلَاقِهِ	طَيِّبَةً بِالْعِذَابِ مِنْ شِيَمِهِ ^(٩)
أَوْ كَانَ مُزْنًا فَلَمْ يَضِرْ بِلَدًا	أَظْلَهُ فِي دَوَامِ مُنْسَجِمِهِ ^(١٠)

(١) اسخفّر الرجل في منطقة: مضى فيه ولم يتمكث.

(٢) الليب: العاقل. القسم: جمع القسمة: النصيب.

(٣) كفّر الشيء: غطّاه وستره. الزور: الباطل.

(٤) حبر القول: زينه ونمّقه.

(٥) الصؤل: القهر والسطوة. النقم: جمع النقمة: العقوبة.

(٦) السلم: الاستسلام، أو التسليم، أو الأسر من غير حرب.

(٧) نداء: عطاؤه.

(٨) جاد: أعطى وتكرّم. نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، ونص على الشيء: حدّده

وعيّنه، ونص الشيء: رفعه وأظهره.

(٩) الشيم: الطباع، الخصال.

(١٠) المزن: السحاب يحمل الماء، الواحدة: مزنّة.

صَامَ فَصَامَتْ صُبْحاً جَوَارِحُهُ
[يا] مَنْ تَلَا لِلْكِتَابِ مُعْتَبِراً
يَا خَيْرَ مَنْ يَحْمِلُ السَّرِيرَ وَمَنْ
تَبَسَّمَ الْعَيْدُ بِالطَّلَاقَةِ وَالْبَشْرِ
وَجَاءَ بِالْأَنْعَمِ الْعِظَامِ عَلَى الْخَلْدِ
وَقَبَّلَ النَّاسَ مِنْ أَنْامِكَ الْخَمِ
وَقَابِلُوا مِنْ بَهَاءِ وَجْهِكَ مَا
فَزَادَكَ اللَّهُ فِي الْوَرَى سَبِيباً
فَأَنْتَ مَنْ لَيْسَ مِثْلُهُ أَحَدٌ

وتلاه مُحَمَّد بن شُخَيْص الشاعر منشداً قائماً فقال: [من الطويل]

طَلَعْتَ إِلَى الدُّنْيَا بِسَعْدٍ مُقَابِلِ
أَبِي يَوْمُكَ الْجَارِي بِإِقْبَالِ نَاقِصِ
وَمِنْ حَسَدِ السَّاعَاتِ فِي سَبَقِ بَعْضِهَا
أَزْتَنَا بِكَ الزَّهْرَاءُ يَوْمَ اسْتِغْلَامِنَا
أَتَيْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى وَلَوْ أَنَّنا
يَمِينٌ وَقَى اللَّهُ الْجَمِيعَ بِيَمِينِهَا
سَقَى اللَّهُ مَغْنًى بُقْعَةً ضَمَّ شَمْلَنَا
[و] بَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَجَلُهُ
وَعَهْدٌ وَلِيَّ الْعَهْدِ رِفْدٌ لَطَالِبِ

فَأَنْتَ أَكَّ الإِقْبَالِ عَاماً بِقَابِلِ^(٤)
عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَجْرِيَ بِتَقْصَانِ كَامِلِ
إِلَى وَجْهِكَ أَصْفَرْتُ وَجْهَهُ الْأَصَائِلِ
مِنْ الرَّاحَةِ الْعُلْيَا أَدِيمَ الْأَنَامِلِ^(٥)
أَقَمْنَا أَتَانَا فِي ظِلَالِ الْمَنَازِلِ^(٦)
مِنْ الْخَوْفِ مَا يُخْوِي بَطُونَ الْحَوَامِلِ^(٧)
ذَرَاهَا إِلَى وَاكِ مِنَ الْأَمْرِ شَامِلِ^(٨)
بِأَسْعَدِ مَنْجُولٍ وَأَكْرَمِ نَاجِلِ^(٩)
وَأَمِنْ لِمَذْعُورٍ وَعَزٍّ لِحَامِلِ^(١٠)

(١) بَرَاءة: خلقه. التَّسْمُ: الروح.

(٢) الطَّلَاقَةُ: البشاشة، تَهَلَّلُ الوجه، والبَشْرُ: طلاقة الوجه.

(٣) الدِّيم: جمعُ الدِّيمَةِ: المطر يدوم في سكون.

(٤) أَنْتَاكَ: أَخْرَكَ.

(٥) الْأَدِيم: الْجِلْد.

(٦) النَّدَى: الجود والكرم.

(٧) الْيَمِين: البركة. يُخْوِي: يُخْلِي، يُفْرِغ، والمراد: إسقاط الحمل من الخوف.

(٨) الْمَغْنَى: المكان الذي يغنى به أهله. ضَمَّ شَمْلَنَا: جَمَعَنَا.

(٩) مَنْجُول: مولود. نَاجِل: والد.

(١٠) الرِّفْدُ: المعونة والمساعدة. الخامل: المغمور، الذي لا يعرفه الناس.

وَكَمْ تُمَطَّلُ الْأَيَّامُ بِالْعِدَّةِ الَّتِي
أَثَارَتْ بِبَشْرَى عَهْدِهِ طَيْرَ سَعْدِهِ
دَلَائِلُ يُحْصَى قَبْلَ إِيْصَائِهَا الْحَصَى
زَكَانَةُ سَمِيَتْ وَاتَّقَادِ قَرِيحَةٍ
وَعَرَفَةُ نَفْسٍ يَشْهَدُ الْمَلِكُ أَنَّهَا
هَلَالٌ تَنَاهَى فِي النَّهْيِ وَبِرُوحِهِ
شَفِيعُ الْمَوَالِي بَلْ شَفِيعُ جَمِيعِنَا
لَقَدْ قَابَلْتُ بِالْيَمَنِ وَالْأَمَنِ وَالْمُنَى
فَلَا فَتَنَتْ مَرَوَانُ تَجْرِي مُلُوكُهَا
هُمْ أَسْوَةُ الْأَمْجَادِ، لَوْلَا سَمَاحَتُهُمْ
هُمْ كَسَرُوا حَدَّ الْمُلُوكِ وَقَلَّمَا
شَغِلَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِتَأْمِينِ سُبُلِهَا
كَأَنَّ لَسْتَ لِلْإِسْلَامِ أَصَوْنَ صَائِنِ
يَرَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ نَوَافِلًا
وَلَمْ يُؤْهِ شَهْرُ الصَّوْمِ مِنْ جِسْمِكَ الْقَوَى

غدا آجلٌ منها شبيهاً بعاجلٍ^(١)
رواية آثارٍ وصدقٌ مخايلٍ^(٢)
ولكن أجي منها بخمسٍ دلائلٍ:
وحلية آدابٍ وحسنٍ شمائلٍ^(٣)
له خلقت من قبل مقتلٍ هابلٍ^(٤)
هوادجٍ مهديٍّ أو حجورٍ عقائلٍ^(٥)
إلى بذل مولانا لعفوٍ ونائلٍ^(٦)
طوالعٍ لَقْنُهُ أَكْفُ الْقَوَائِلِ^(٧)
مَجَارِي الدَّرَارِي طَالِعاً إِثْرَ أَفْلٍ^(٨)
لما اهتزَّ مأمولٌ لإسعافٍ أملٍ^(٩)
يُفْلُ الْحَصَى إِلَّا بِصُمِّ الْجَنَادِلِ^(١٠)
فلا فارق المشغولَ حفزُ الشَّوَاغِلِ
إذا لم تَكُنْ لِلنَّفْسِ أَبْذَلُ بَاذِلِ
إذا لم يَكْثُرْ بَيْنُهَا بِالْنَوَافِلِ^(١١)
لما اعتدت من إدمانِ صَوْمِ الْمَوَاصِلِ^(١٢)

- (١) تُمَطَّلُ: تُؤَخَّرُ. الْعِدَّةُ: يُقَالُ: وَعِدَهُ الْأَمْرَ، وَبِهِ، وَغَدَاً، وَعِدَّةً، وَمَوْعِداً: مَّثْلَهُ بِهِ.
- (٢) الْمَخَايِلُ: جَمْعُ الْمَخِيلَةِ: الْفُتْنُ، أَوْ السَّحَابَةُ الَّتِي تَخَالِهَا مَاطِرَةٌ لِرَعْدِهَا وَبِرْقِهَا.
- (٣) الزَكَانَةُ: الْفِرَاسَةُ، أَوْ أَنْ يَطْرُقَ الْمَرْءُ فَيُصِيبُ. السَّمْتُ: السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، أَوْ الْهَيْئَةُ.
- (٤) هَابِلُ: ابْنُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ، وَهِيَ أَوَّلُ عَمَلِيَّةٍ قَتَلَ بَيْنَ الْبَشَرِ.
- (٥) الْهُوَادِجُ: جَمْعُ الْهُودِجِ: أَدَاةُ ذَاتِ قَبَّةٍ، تُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْجَمَلِ، لِيَتَرَكَّبَ فِيهَا النِّسَاءُ. الْحُجُورُ: الْعُرْفُ. الْعَقَائِلُ: جَمْعُ الْعَقِيلَةِ: السَّيِّدَةُ الْمُخْذَرَّةُ، أَوْ الزَّوْجَةُ الْكَرِيمَةُ.
- (٦) النَّائِلُ: الْعَطَاءُ.
- (٧) الْقَوَائِلُ: جَمْعُ الْقَابِلَةِ: الدَّايَةِ: الْمَرْأَةُ الَّتِي تُسَاعِدُ النِّسَاءَ عَلَى الْوِلَادَةِ.
- (٨) الدَّرَارِي: الْكَوَاكِبُ الْمُتَلَاثَةُ. الْآفَلُ: الْغَائِبُ.
- (٩) الْأَسْوَةُ: الْقُدْوَةُ. الْأَمْجَادُ: الْأَشْرَافُ. السَّمَاحُ: التَّسَامُحُ وَالتَّسَاهُلُ، أَوْ الْجُودُ وَالْكَرَمُ.
- (١٠) الْإِسْعَافُ: الْمُسَاعَدَةُ وَالْمَعُونَةُ.
- (١١) يُفْلُ: يَكْثُرُ. الْجَنَادِلُ: الصَّخُورُ الضَّخْمَةُ.
- (١٢) الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: أَعْمَالُ الْخَيْرِ، الَّتِي تَبْقَى ذَخْراً لِلْإِنْسَانِ يَوْمَ الْحِسَابِ. النَوَافِلُ: جَمْعُ النَّافِلَةِ: مَا زَادَ عَلَى الْفَرْضِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ.
- (١٣) أَوْهَى الْجَسَدُ: أَضْعَفَهُ. أَدْمَنَ الْأَمْرَ، وَعَلَيْهِ: وَاطَّبَ.

سَرَتْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ أَفْعَالُكَ الَّتِي غَدَا فَاعِلُ الْحُسْنَى بِهَا غَيْرَ فَاعِلٍ
مَحَلُّكَ فِي حَيِّ قُرَيْشٍ كِلَيْهِمَا مَحَلُّ قُرَيْشٍ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ

وفي صدر شوال المؤرخ أرسل الخليفة الحكم ثقتة مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عامر إلى العدو بأحمال مالٍ وحلي وخلع، لفضّها على الثُّرَّاع والمستمالين من أكابر البرابر إلى الطاعة، ولا متحان ما أمره به بالجهة، ولأه في هذا الوقت قضاء القضاة بالعدوة مجموعاً إلى ما يتقلده من خطتي الشرطة الوسطى والعليا، والمواريث، وقضاء كورة إشبيلية، فارتفع قدره في الدولة وبلا منه السلطان نصيحة وكفاية مكتتا لديه الخطوة.

وفي يوم الأربعاء لأربع بقين من شوال أرسل الخليفة المستنصر بالله إلى مُحَمَّد بن أبي عامر وهو بطنجة مالاً واسعاً لينفقه بطنجة وأصيلاً، وكتب إليه في فصل من الرسالة النافذة إليه: «وما يشكُّ أمير المؤمنين في مناصحتك واجتهادك، وشكرك للنعمة بك والمشملة عليك، والله المستعان».

وفي يوم السبت للنصف من شهر شوال منها قعد الخليفة بقصر الزهراء قعوداً فخمّاً حجب به الحجاب وشهده الوزراء، فأوصل إلى نفسه بني خزر المقيمين ببابه منذ أتوا مع جَعْفَر بن عليّ، فبسطهم واعترف لهم بتقديم سلفهم واقتفارهم الأثر في صحيح ولايتهم، وأمرهم بالتهيؤ للحاق بعسكرهم عند القائد الوزير الأعلى غالب بن عبد الرّحْمَن، للاجتماع على حرب الملحد المخذول ابن قَتُون، وذكر لهم أنّ بني عمّهم ومن لفّ لفّهم بالعدوة استجابوا لدعوته ونفروا في سبيله، فعسكر وزيره وقائده غالب مولاه واشتد في حربه، وأمرهم بمجامعتهم على رأيهم ومؤازرتهم في صدّهم، وتصديهم لقضاء حق النعمة عليهم. فاعترفوا بذلك وهشوا للنفوذ فيما أهيب بهم إليه؛ وكان الذين حضروا هذا المجلس منهم زعماءهم وهم عَبْدُوس بن الخير، ومقاتل بن عَطِيَّة، ومَسْعُود بن أبي الغمر، وعبد الله بن أبي دواس، وسرغين، وحمليل، ونظراؤهم. فدفعت إليهم الصلات، وأصلحوا من شأنهم، ومضوا لسبيلهم يوم السبت لثمانٍ بقين منه فلاحقوا بالعسكر.

وفي يوم الخميس لعشر خلون من شوال ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّحْمَن يذكر استصرافه عن قبيلتي منوسة وعثمان وكثير من أطانة إليه، وزوال الخبيث حسن بن قنن من بين يديه، واتباعه له، وأنه لما قفا أثره ألفاه قد ضبط جبل مَهْران بابنه وابن عمه، وضبط جبل الكرم بنفسه، راجياً أن يمنع الجيش الانبساط في الوادي الذي بين جبل الكرم وجبل مهران وهو نهر المصاراة. ولم يكن للجيش بُدٌّ من النزول عليه لمنعه الماء، وأنه لما قصد نحوه ألقى شردمته^(١) المتألفين

(١) الشردمة: الجماعة القليلة من الناس.

لديه والمرتهنين عنده بأبنائهم وأهلهم وأموالهم قد تداعوا إليه من كل ناحية، وحاولوا منعه الماء للياذهم^(١) من الأوعار^(٢)، فحال الله بينهم وبين ذلك فأخذهم بمكرهم. وأنه عند ذلك نظر في حط الأثقال وإقامة المحلة بحيث انتهى، وقدم عدة من الفرسان لمقاتلة الخيل التي ظهرت في السهل. فلما اطمأنت المحلة وتأهب الرجال للقتال نهض الوزير القائد الأعلى غالب، وأمر بشد الحرب، فاستمرت بالفريقين، وطال أمرها، وصابر الفسقة ساعة إلى أن عضتهم السلاح وفشا فيهم القتل فولوا مدبرين، واستلحم^(٣) كثير من أبطالهم وحُماتهم ولاذ فلهم^(٤) بجبل الكرم، واقتحم عليهم استناده، فغنموا ما كان فيه من ماشية الفسقة وأنعامهم، واحتجزوا بقية القبل^(٥). وقد حال الليل دون اتباعهم، فصَدَرَ الوزير القائد غالب والجند معه عن معركتهم سالمين ظاهرين، واختزوا^(٦) كثيراً من رؤوس حماتهم إلى ما حازوه من سَوَامهم. وكانت هذه الواقعة عشية يوم الجمعة لأربع عشرة خلت لشَوَال. فَجُوبَ القائد غالب عن كتابه بهذا الفتح: يحمد مقامه ويشكر فعله وَيُسْتَبَّ صبره وجَدَه ويعرَفُ أن أمير المؤمنين جادٌ في حرب الفاسق حسن ومحاکمته إلى الله ما امتدت به حياة حتى يحكم الله بينهما بعدله. وقد أمر بإخراج الإخوة التجيبين يوسف وهاشم وهذيل بني مُحَمَّد بن هَاشِم وإخوة العاصي بن حكم بني عمهم وحמיד بن قياطن وعدة من ثقات أصحابه ومائة غلام من الرماة المماليك وطائفة من فرسان الرياضة إليه، وأن بني خزر اللاحقين بباب سدة أمير المؤمنين لاحقون به إثر كتاب أمير المؤمنين إذ رغبوا الكون معه، والتصرف بين يديه إلى أن يلحق بهم بنو عمهم إذ صاروا اليوم في بادية فاس على ما ذكره رسول عبد الكريم صاحب عُدوة الأندلسيين منها. وأمر عند احتلالهم بحفظهم وتكريمهم وتلقيهم أحسن التلقي لشرفهم وقديم طاعتهم وتأميلهم. فخرج بنو خَزَر هؤلاء نحو العُدوة للحاق بالعسكر يوم السبت لثمانِ بقين من شَوَال.

وفي يوم السبت المؤرخ ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَنِ يذكر أنه دار بينه وبين الملحد حَسَن بن قَتُون قتال عظيم كان له فيه الظهور عليه فقتل فيه من حماته عدداً كثيراً، ومن أهله خاصة عشرين رجلاً، فَجُوبَ بإحماد سعيه وسد بصيرته، وأرسل إليه مع هذا الجواب أعداداً مذكورة من الكسى الفاخرة والسيوف

(١) اللَّيْأُ: يقال: لاذ بالشيء لَوْذاً، وَلِيْأُذاً: لَجَأَ إليه واستتر به وتحصَّن.

(٢) الأوعار: جمع الوعر: المكان الصلب، أو المكان المُخِيف.

(٣) استلحم الأبطال: اشتبكوا واختلطوا وتضاربوا عن قُرْب.

(٤) القُلُ: الجماعة المنهزمون.

(٥) كذا في الأصل. ولعل الصواب: «واحتجزوا بقية الثَّقَل».

(٦) اخْتَزُوا الرؤوس: قطعوها.

الحالية ليجعلها على من يغني في الحرب ومن يلحق من وجوه المستأمنة، فكانت عِدَّة جُبِّبِ الديباج المرسل من المضلعة المُلَوَّنة خمسة وثلاثون مِطْرَفًا^(١)، ومن العمام المُلَوَّنة سبعة عمامة^(٢).

وفي يوم الإثنين ليلتين خلتا من شهر ذي القعدة منها ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمَن من محله بالمصارة يذكر فيه استبصار الملحد حسن في الحرب على ضعف أركانه وبيان الظهور عليه واحتفاله في جمع محاشه^(٣)، وتكثير حشده ونُجْحه^(٤) الآن بإقبال العاق المشاق ناقض العهد مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى ابن عمه صاحب البصرة إليه، وسُمُوهُ للحرب إثر ذلك، وأنه أخرج خيلاً كثيفة نحوه يوم الثلاثاء لعشر بقين من شوال متعرضاً للحرب، ابتدرها أحداث من الحشم ناشبهم القتال، فتتابع الناس إليهم وحمي الوطيس^(٥) بينهم، فأحسن القائد غالب تثقيف محقبات العسكر وتسريب الرجال إلى مَاقِطِ^(٦) النزول، فاتصل العراك وقتاً، وكانت الدائرة بالفاسق ورجاله، وأصيب من الجند من كتب الله له الشهادة باستبصاره في تأوُّله، فالجرب سجال والعاقبة للمتقين بوعد الله الذي لا إخلال له، فمحمَّد صُنْعُهُ تعالى في الفاسق لائحة ظاهرة. ونالت في هذه الوقعة مُحَمَّد بن فرتون جراحةً توفي منها يوم السبت لليلة بقيت من شوال، تجاوز الله عنه.

وفي يوم الإثنين المؤرخ جُوبَ عبد الكريم بن يحيى صاحب عُدَّة الأندلسيين من فاس عن كتابه الذي خاطب به يذكر صحة معتقده في الطاعة واعتدال طريقه في الولاية فكان في فصل من الكتاب: «وقد قبل أمير المؤمنين معاذيرك وأصغى إليها، فإن يُردَّ الله عزَّ وجلَّ بك خيراً في عاجلتك وأجلتك يشرح صدرك لطاعة أمير المؤمنين ومولاته، وَيُسِّرْكَ لما يلبسك رضا ويقربك منه فإنه جامع في ذلك أحوالاً تحمد مواردها ومصادرها، وإحياء ما أماتته الأيام منها وتجديد ما أخلقه المنحرفون عنها، ورفع بأس الجور الذي قد أظلَّ أهله وغشيمهم وشملهم وأطبق عليهم وأوقعهم تحت الذلِّ والصغار^(٧)»، والتغريب بحرهم ونعمهم واستهلاكها وانتهاكها من بين

(١) المِطْرَفُ: رِداء أو ثوب من خَزْ مُرَبَّع له أعلام.

(٢) الملوثة: الملفوفة، من لاث العمامة: لَفَّها.

(٣) المَحَاشُ: أثاث البيت.

(٤) التُّجْحُ: النجاح والظَّفَر.

(٥) الوطيس: المعركة، وحمي الوطيس: جَدَّت الحرب واشتدت.

(٦) المَاقِط: المكان الضيق في المعركة.

(٧) الصَّغَارُ: الذلُّ والهوان.

أيديهم ومن خلفهم . وأن تكون زكواتهم التي أوجبها الله عليهم مصروفة إلى الأصناف التي وضعها الله فيها، فإن فقد صنف منها صرف إلى مصالحهم لا يستكثر بشيء من ذلك في مال الفيء، فإن الله عز وجل قد وسع فيه عليه وبسط يده في وجوهه وسبله التي يذب الله بها عن بيضة المسلمين، ويحمي حوزتهم ويدراً^(١) عنهم عدوهم ويملاً من مغانمهم أيديهم، حتى أخضع الله تبارك وتعالى بفضلهم لهم رقابهم وأسكنهم قواعدهم وكثر في عيونهم عددهم بروابط الخيل التي ارتبطها أمير المؤمنين في دروبهم وعلى أيديهم وجيوشه المصروفة إليهم؛ إذ ليس اليوم في جميع الأندلس من مشارقها إلى مغاربها باسط يداً رافع رأساً إلا تحت الرغبة والرغبة من الله تعالى عليه وعليهم، فله الحمد كثيراً كما هو أهله، إلى أن قام حسن بن قاسم الظالم لنفسه الحاطب على ظهره فاتح باب الفتنة بخساره، الكاسر أفضلها باختياره، والمستوقد لنارها لحين، أطفأها تعالى وأخمدها، لغير ضرورة حافزة له من تلقاء أمير المؤمنين، ولا مكروه ناله بل قابل الحسنة بالسيئة، وكافأ الصلة بالقطيعة في كلام كثير انقطعت عليه الرسالة .

ذكر إرسال الوزير يَحْيَى بن هَاشِم التُّجِيبِي الثُّغْرِي إلى العُدُوَّة مدداً لِغَالِب بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ

وفي يوم الخميس لخمس خلون من ذي القعدة منها أحضر الخليفة الوزير يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم التُّجِيبِي الثُّغْرِي المنتشل من النكبة، فتوصل إليه في جملة الوزراء أصحابه، وكلمه بما رآه من إنفاذه إلى العُدُوَّة قائداً لمن يضمه إليه، ومُمدداً للوزير القائد الأعلى غالب بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وجامعاً لليد معه على الملحد حسن بن قَتُون؛ وأمره بالتأهب لذلك عاجلاً، وحداً له ما يحتمل عليه في وجهه الذي أهاب به إليه، وخرج بخروج أصحابه إلى مجلس النظر بدار الجند البرانية، فخرج إليه على إثر ذلك دُرَيْج الأصغر الفتى الكبير الخازن بموضع قعوده معهم بصلة من أمير المؤمنين، بدرة ضخمة ومنديل واسع مشدود [على] خلع نفيسة عليها سيف ضروب محلى بحلية فاخرة، أعلن بها الشكر وأنبعث في ما أهيب به إليه من الحركة .

فلما كان يوم السبت لسبع خلون منه قعد أمير المؤمنين في محفل من الفتيان والخلفاء والوزراء وأهل الخدمة فأوصل إلى نفسه إخوة الوزير القائد يحيى المُبْتَعَث في هذا الوجه: يُوسُف ومُحمَّد وأهشاماً وهذيلاً بني مُحمَّد بن هَاشِم، وإخوة الوزير

(١) يَذَرُّ: يَذْفَعُ، يقال: ذَرَأَ الشيء، وبه، درءاً، ودرأة: دفعه .

المُتَوَفَّى العاصي بن الحكم التُّجِيبِي وأولاده بني عمهم فبسطهم بالقول الجميل، ووعدهم بالإحسان الجزيل، وأمرهم بالخروج مع زعيمهم الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد والانضمام إليه والتدبر بأمره، فأجابوا وأثنوا وشكروا، وخرجوا، فَأُخْرِجَتْ إِلَيْهِمْ صَلَاتٌ سَيِّئَةٌ وُخِّلَتْ رَفِيعَةٌ، وَزُدُوا بِأَسْيَافٍ حَالِيَةٍ زَادَتْهُمْ إِلَى تَمِيمِ الرُّضَى عَنْهُمْ غِبْطَةٌ.

وتوصل أيضاً في هذا النهار إلى الخليفة رشيق المعروف بالبرغواتي مولاه، وإسماعيل بن عبد الرَّحْمَنِ بن الشيخ، وعبد الرَّحْمَنِ بن يُوْسُف بن أرمطيل المعتبر عليهم في مفارقة عسكر العُدُوَّة، فصَفَحَ عَنْهُمْ وَأَصْلَحَ مِنْ حَالِهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْانْصِرَافِ إِلَى الْعُدُوَّة.

فلما كان يوم الإثنين لسبع خلون منه خرج الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِمٍ من قُرْطُبَةٍ نافذاً إلى العُدُوَّة خروجاً ظاهراً، بين يديه التعبئة الكاملة والترتيب المنظوم، وخرج بخروجه إخوته المتقدمة تسميتهم وبنو عَمِّهِ التُّجِيبِيُّونَ فِي عَسْكَرِ ضَخْمٍ مِمَّنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ طَبَقَاتِ الْأَجْنَادِ وَفِيهِمْ قَطْعٌ مِنَ الْعَبِيدِ الرَّمَاةِ وَمِنَ الرَّمَاةِ الْأَخْرَارِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ جُنْدِ الْمَمْلَكَةِ، رَاقٍ إِبْصَارَهُمُ النَّظَارَةَ، فَاحْتَلَّ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى نَهْرِ شَوْشٍ. وخرج بخروجه الخازن أحمد بن مُحَمَّد بن حَاجِبٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سِتَّةُ عَشَرَ جِمْلًا مِنْ الْمَالِ الْعَيْنِ^(١)، وَعِدَّةُ أَحْمَالٍ مِنَ الْكِسَى الْفَخْمَةِ وَالسِّيُوفِ الْحَالِيَةِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى الْوَزِيرِ الْقَائِدِ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِفَضْهِهَا^(٢) فَيَمُنْ يَسْتَأْمِنُ إِلَيْهِ مِنْ أَكْبَارِ الْبِرَابَرَةِ. ووافى كتاب الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِمٍ باحتلاله من الجزيرة الخضراء يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت منه؛ ثم وافى كتابه يوم الأربعاء لخمس بقين منه بعبوره البحر بجميع من معه سالمين مسهلاً عليهم واحتلاله بمدينة طَنْجَةَ، واحتلاله بالعسكر لَدُنِ الْقَائِدِ الْأَعْلَى غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْهُ، وَضَمَّنَ الْكِتَابَ الْنَافِذَ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى الْوَزِيرِ الْقَائِدِ الْأَعْلَى غَالِبِ مَوْلَاهُ بِإِنْفَازِ الْوَزِيرِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَاشِمِ التُّجِيبِيِّ إِلَيْهِ فَضْلًا فِي إِظْهَارِ أَثَرِهِ^(٣) وَتَشْرِيفِهِ وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ، نَصَهُ: «وَأَنَّ الْعَهْدَ عِنْدَ الْوَزِيرِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ مُقَرَّرٌ بِالْخُفُوفِ إِلَيْكَ^(٤) وَالدَّارُ نَحْوُكَ، مَتَى وَرَدَ كِتَابُكَ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَأَنْ يَتَصَرَّفَ كَيْفَ رَأَيْتَ تَصْرِيفَهُ فَهُوَ مَدَدٌ لَكَ وَعَوْنٌ عَلَى مُحَاوَلَتِكَ، فَانْظُرْ فِي جَمِيعِ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَمَنْ يَحْوِيهِ عَسْكَرُكَ نَظَرَ مَنْ أَفْرَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْعَتَهُ وَقَلَّدَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ».

(١) المال العين: ما ضُرِبَ نقدًا من الدنانير، يُقَالُ: اشْتَرَيْتُ بِالْعَيْنِ لَا بِالذَّيْنِ.

(٢) فَضْهُهَا: قُرَّضَهَا.

(٣) الأثرة: المنزلة، يُقَالُ: لِفُلَانٍ عِنْدِي أَثَرَةٌ: أَيِ مَنْزِلَةٌ.

(٤) خَفَّ إِلَيْهِ خُفُوفًا: أَسْرَعَ.

وفي سلخ ذي القعدة جلس أمير المؤمنين مجلس خاصته مع الوزراء وتوصل إليه يَحْيَى بن عليّ الأندلسي المستأمن، فأمره بالتأهب للخروج إلى الوزير القائد الأعلى غَالِب مولاة في رجاله القادمين معه وحاشيته وعسكر من الجند أمر بتجريدهم معه، فاهتش لذلك وأبدى السرور به، وأنفذ الخليفة إليه من المال والخلع ما ملأ عينه، وشرع في اعتراض الجند المضمومين إليه والنفقة عليهم.

ورود في هذا الوقت كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَن من محلته بالمصاراة يذكر حلول بني إدريس الحسينيين أقارب المُلْجِد حَسَن به مقربين منه منحازين إلى الطاعة، واضطرابهم في محلته مَعْصُومِينَ^(١) بشيخهم أحمد بن عيسى وأخيه إبراهيم في بنينهم وعبيدهم ومن لف لفهم؛ وذكر أيضاً وصول بني خزر إليه وحلولهم بطواعيتهم وفي أهبتهم^(٢) واحتفال الخلق لديه، وخوفه من جموح السعر باكتمالهم وكثرة كراعمهم^(٣) عنده. فَجُوبَ على ذلك [بكتاب] طويل متناسق الفصول، كان الفصل منها في ذكر ما تشكاه من تعذر الأقوات لديه ونزع^(٤) سعرها: «وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام، فموادها موصولة بك متلاحقة لديك، حتى يفتح الله في الظالم القاطع بعدله ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة^(٥) وأهراء الأندلس المغتصة، فلو لم يبق منها غير ما في الأهراء الخاصة بِقَرْطَبَة لاحتمل إليك جميع ما فيها، كما أنه لو تقاصرت يدك والتوى عزمك وانتكأت^(٦) الأحوال بك - ولن يفعل الله ذلك - لاستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة واتخاذها وطناً ومستقراً ولأجاز لمجاهدة هذا الفاسق كل جندي في ديوانه مع كل متصرف في مملكته غضباً لله - تعالى جدّه - وإنكاراً لما ركبه الملحد من انتهاك محارمه واستهلاك نعمه. فأقبل على ما بين يديك إقبالاً من لا يناجي نفسه بانصراف أو انحراف إلا بعد الظهور على عَدُوِّكَ بحول الله وقوته أو اضطرابه إلى الجنوح^(٧) والرجوع عن غِيّه والإنابة^(٨) إلى رشده بالحق بباب سُدة أمير المؤمنين؛ فهذه أقل الأحوال المرتضى بها منه أو نفيه عن أرضه وإخراجه عن جميع ذلك البلد، بعون الله

(١) اغْصُوصَبَ القوم: تَجَمَّعُوا وصاروا عصابة واحدة.

(٢) الْأُفْبَى: الْعُدَّة، وتَأَهَّبَ له: اسْتَعَدَّ.

(٣) الكراع (من الغنم والبقر): الْمُسْتَدِيقُ السَّاقِ العاري من اللحم.

(٤) نُزِيعَ سعرها: ارتفاعه، أو تَغْيَرَه واضطرابه.

(٥) الْمُتْرَعَة: الممتلئة.

(٦) انتكأ الحق: قبضه، وانتكأ العدو: جُرِحَ أو قُتِلَ.

(٧) الْجُنُوح: الْمَيْلُ، الانعطاف.

(٨) الإنابة: العودة، الرجوع.

عليه وقوته. وإذا تصفحت مكانك من العبودية ومهلك من النصيحة والخدمة ومكانك من الخصوصية والنعمة والنصاب^(١) الذي نصبت فيه والمحل الذي أحلته والاسم الذي حملت عند عدو الإسلام من فرق الشرك في الحنكة والتجربة ومقارعة الحروب ومساجلة الخطوب والوقوع تحت وقائعها المشخنة^(٢) والمنازلة لأقرانها المتألبة حتى طالت يدك على من طاولك وقرعت قناتك من قارعك، أبت لك هذه الأحوال المتظاهرة والحقوق المتوافرة من الرضى بغير ما يرضاه أمير المؤمنين منك أو الانقياد لما لا يستقيد لك حُسن رأيه أو الانصراف إلا على ما لم تزل منصرفاً عليه من الظهور والعلاء بفضل الله تعالى المرجو لك والموثوق به في كفايتك ورعايتك، فاستقبل نظرك استقبال من استشعر مذهب أمير المؤمنين ووطن فيه على أنه لا مرجع له عنه إلا بما يجب أو يموت فيعذر».

وأدرج لغالب في هذا الكتاب الذي جُوب به قنذاقاً^(٣) بتفسير الصلاة والكُسى والصلاح التي أنفذها الخليفة الحكم إليه مع الخازن أحمد بن محمد بن حاجب إلى المسمين فيه من أكابر المستأمنين إليه من أعالي رجال الحسينيين وغيرهم من وجوه البرابرة على تفصيل مُقْطِعٍ لكل رجل منهم، فكان منها:

صلة أحمد بن عيسى شيخ بني مُحَمَّد المعروف بِخُنون: سبعة آلاف دينار من الصبحاح، وسيف عربي بحلية ذهب كاملة غمده سفن؛ ومن الكسوة ثماني شقاق عبيدية ملونة ومبطنان عبيديان أحدهما سمائي والآخر ببغائي اللون بأعلام وكتب، وثلاث عمائم خَزَّ إحدهما سمائية والثانية حمراء والثالثة خضراء، وفرس أشهب إلى الحمرة نتاجي بسرج ولجام محليين من مراكب الخلافة.

صلة إبراهيم بن عيسى أخيه: خمسة آلاف دينار من الصبحاح، وسيف عربي بحلية ذهب كاملة غمده سفن؛ ومن الكسوة مبطنان عبيديان عدسي وروسي بأعلام وكتب، وثمانين شقاق عبيدية مختلفة الألوان، وثلاث عمائم خَزَّ تفاحية وخضراء مسنية وفيروزية كلها بأعلام وكتب، وفرس كُمِيت مُجَنَّب^(٤) بسرج حلي ولجام حلي من مراكب الخلافة أيضاً.

صلة حَسَن بن أحمد بن عيسى: ألف دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة؛

(١) النَّصَابُ: الأصل والمرجع، ومن المال: القدر الذي تجب معه الزكاة.

(٢) الْمُشَخَّنَةُ: من أُنْخِنَ في الأمر: بالغ فيه، يقال: أُنْخِنَ في العدو، وأُنْخِنَ في الأرض.

(٣) القنذاق: الدرج أو الطومار.

(٤) الكُمِيت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر. وفرس مُجَنَّب: بعيد ما بين الرجلين من غير فَحْجٍ، وهو مَذْحُ له.

ومن الكسوة مبطن عبيدي أحمر وأربع شقاق عبيدية مختلفة الألوان وعمامتا خَزْ سمانية وحمراء وفرس أشهب أرقط عدوي من جنس الابتياح وسرج ولجام معرقان من القروية .

صلة عليّ بن أحمد بن عليّ: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة، ومبطن عبيدي ياقوتي وشقة عبيدية وشقتان طرازيّتان وعمامتا خَزْ وفرس كُمنيت بهيم نتاجي، وسرج ولجام من فضة أبيضان .

صلة إبراهيم بن الحويطي: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة ومبطن عبيدي أخضر وشقة عبيدية سماوية وشقتان طرازيّتان وفرس أشقر أغرّ مجنب أرقط ينسب إلى ابن أبي عامر بسرج ولجام أبيضين .

صلة خزر بن لقمان: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي أخضر وشقة عبيدية سماوية وشقتان طرازيّتان وعمامتا خَزْ وفرس أشهب مقلّس نتاجي بسرج ولجام مُحلّين بفضة .

صلة أيوب بن أبي الحسين: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي سمرجلي وشقة عبيدية وشقتان طرازيّتان وعمامتا خَزْ وفرس أخضر أغرّ مجنب نتاجي، وسرج ولجام مُحلّين بفضة .

صلة حجّاج بن خلوف: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي وشقة عبيدية وطرازية وعمامتا خَزْ وفرس مجدع وسرج ولجام مُحلّين بفضة .

ذكر إهداء الزُّبيديّ النُّحويّ^(١)

وفي يوم الأحد للنصف من ذي القعدة منها نفذ العهد إلى مُحَمَّد بن حَسَن الزُّبيديّ ثم الإشبيليّ النُّحويّ بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الأمير أبي الوليد هشام بن أمير المؤمنين ومفاتحته النظر في العربية . وقد أُعْتُدَتْ لنزوله منها الدار التي كان يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سَعِيد الجَعْفَرِيّ في حياة والده، وأُجريت الأرزاق الواسعة عليه، واستقبل في هذا اليوم بصلة سنّية وخلعة فاخرة جزاء على الذي تولاه

(١) هو أبو بكر، محمد بن الحسن الزبيدي النحوي: عالم باللغة والأدب، شاعر. وُلد ونشأ واشتهر بإشبيلية، وتوفي فيها سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م. وترجمته في: بغية الوعاة، السيوطي: ٣٤؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣٧٢/٤؛ معجم الأدباء، الحموي: ٦١٨/٦؛ شذرات الذهب، ابن العماد: ٩٤/٣؛ بغية الملتبس، الضبي: ٦٤؛ كشف الظنون، حاجي خليفة: ١١٠٦، هدية العارفين، البغدادى: ٥١/٢؛ معجم المؤلفين، كحالة: ١٩٩/٩.

من اختصاره لكتاب العين، للخليل بن أحمد^(١)، وإقامته على الترتيب والتصنيف اللذين حدّهما له أمير المؤمنين فيه، فارتضى عمله فيه عند تصفحه له، وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله إلى نفسه يومه هذا، ففاوضه في عمله الذي برع فيه واستثار له من غوامض فنونه، وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جَعْفَرُ بن عُثْمَانَ في غرائب من فنه في النحو واللغة والشعر، فتباريا في الشأو وتسابقا في ميدان الإصابة، فسرّ بهما قِيوم المعرفة؛ وانتظم اتصال الزُّيَيْدِيّ من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الأمير ونال حظوة.

وفي يوم الإثنين لتسع بقين من ذي القعدة ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ يذكر صنع الله في استباحة حصن الكرم وهرب المخذول عنه حَسَن بن قَتُون مع صهره مُحَمَّد بن حَنُون صاحب البصرة وَعَلِي بن خلوف وغيرهما من حاشيته ونوابه بالصَّغَر والقهر؛ وذلك أن الوزير القائد غالباً لمّا علم امتناع جبل الكرم وبعد مرّاه وأن الحرب غير متمكنة فيه سعى في استمالة حليلة أهل الكرم، وهم من كتامة، فسخرهم الله لإجابته وأتوه راغبين في دولته، فدبر معهم على الفاسق، ووجه نحوه معهم ليلة الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة المؤرخ من نخبة رجاله خمسمائة فارس ومثلهم من الرجالة بالبندود^(٢) والطبول والعدة، وأمرهم بمناهضته من ناحية حدّها لهم، وعزم هو على أن ينهض في أبطاله وحماة رجاله من مضطربه؛ فلما أن تحرك هو من ناحيته وأنهض قبيلة حليلة المواطنين عليه من الجانب الثاني، ونظر الملحد إلى إحاطتهما به لم يتمالك أن ركب مع خاصته فارّاً بنفسه لا يلوم على أحد متقدماً إلى حصن الحجر معقله، فارتقى إليه، ودخل الوزير القائد حصن الكرم يوم الخميس، فاحتوى على كل ما غادره الفاسق فيه من الأمتعة والأبنية والمواعين والأقوات والأطعمة والأسلحة وغير ذلك، وصار جميعه فيئاً له ولأصحابه بحمد الله. وألفى في حبسه هنالك سُلَيْمَان بن أبي الجوشن، وابن أبي غرقة العريفيين، وعَوَاس من أصحاب الغويّ، وغيرهم من الجند؛ منّ الله عليهم بالانطلاق. وألفى في سجنه أيضاً أعداداً من وجوه قبائل البربر كان قد ارتهنهم عنده وأوثقهم في الحديد، فسرّح جميعهم، وتسارب إليه أكثر غلمان الفاسق الذين كان مداره عليهم في الحرب، فقبل نزوعهم وألحقهم وحملهم ووسع عليهم وملك الحصن ليومه فهدم مساكن حَسَن فيه وأضرّمها ناراً وندب فيه ألف فارس وشَطَرهم من

(١) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليعمدي: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م (الأعلام، الزركلي: ٣١٤/٢).

(٢) البندود: الأعلام، الرايات.

الرجالة عاملاً على ضبطه وحمايته. ثم انقلب بجميع من لدنه إلى محلته بالمصاراة والقبائل متساربة نحوه هاوية الأفئدة إليه، وعدو نفسه حسن مذعور لا يقرُّ به القرار. فَجُوبُوب الوزير غالب على كتابه هذا: يشكر فعله ويحمد مقامه ويعرف أن ضبط تلك القلعة التي أتيح له فتحها من عزم الأمور إذ هي قلعة البلد المشرفة عليه ومركبته الآخذة بمخنقه. وضمن الجواب فصلاً في استشعار الحذر وإيقاظ النظر، نسخته: «وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك والبحر دونك وربما تعذر ركوبه فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك، فالأموال بحمد الله موفورة، واحتمالها في كل وقت متمكن، فمن مذهب أمير المؤمنين إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار إلى سبته يقرها هناك بالقرب منك فيسهل كل وقت إنفاذ الحاجة منها إليك فاسكن إلى ذلك، واحتط في الطعام جهدك، ووطن على الصبر نفسك، ولا تُمنَّها برجوع إلى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين ويفرق ملأ الملحدين الضالين الذين صاروا حزباً لِلْعَوِيّ وإلباً معه^(١) على المسلمين. ولو أمكن وجوه أهل المسكن أن يقيموا أزواجاً من البقر يزدعون بها في الأرضين المحوزة من الفاسقين بحيث لا يوصلون بذلك إلى أهل البلاد ضرراً ولا يلحقونهم تضييقاً لكان ذلك من أفضل ما يقع بموافقة أمير المؤمنين إذ مذهبهم تعمير البلد وتأمين أهله وتعريفهم ألا إقلاع^(٢) له عن عَرْصَتِهِ^(٣) حتى تكون كلمة أهله واحدة، وأيديهم مترافدة^(٤)، والدين قيماً والسنة مُتَّبَعَةً، بحول الله وقوته». وضمن هذا الكتاب ما رآه الخليفة من إقامة البرد قبَّله، وأن يرتب في العسكر لديه وبمدينتي طَنْجَة وأصيلا منها ما يراه الوزير القائد كافياً بالركض بالإخبار لانتظام الناحية، فتعجل باتخاذ الدواب لها، وتعهد إلى الخارجين بالعسكر عنه بدفع أجر خَدَمَتِهِ لكل شهر، وإلى الخازن بإجراء العلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين^(٥) والخدمة، إن شاء الله.

ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة

وافى يوم الثلاثاء العاشر لذي الحجة والثاني من شهر شتنبر الشمسي، فقعد أمير المؤمنين على السرير في المجلس الشرقي في السطح العلي بقصر الزهراء على العادة أفخم جلوس وأحكمه تعبئة، فتوصل إليه الإخوة ثم الوزراء فقعدوا بعد التسليم على

(١) الإلب: القوم يجتمعون على العداوة والشر.

(٢) أقلع عن الأمر: كفَّ عنه وتركه، وأقلع الملاح السفينة: رفع شراعها ونشره لتسير.

(٣) العَرْصَةُ: المَحَلَّة، أو ساحة الدار.

(٤) مُتْرَافِدَةٌ: مُتَعَاوَنَةٌ.

(٥) الفرانقون: جمع الفرانق: القِيمُ على البريد، أو دليل الجيش.

مراتبهم، وحجبه عن ذات يمينه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطَبَةَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ وتحتة صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، وعن يساره صاحب الخيل والحشم زِيَادُ بْنُ أَفْلَحَ، وتحتة صاحب الشرطة عبد الرَّحْمَنِ بْنُ هَاشِمِ التُّجِيبِيِّ، وانتظم صفّاً أهل الخدمة في الجانبين تحتهم على طبقاتهم، فلما استقرت قرارها أذن أولاً لرجالات قريش ومواليها، [ثم] للحكام وقضاة الكور والفقهاء أهل الشورى، [ثم] لمن بعدهم من الفقهاء والعدول وبياض أهل قُرْطَبَةَ، ثم لطبقات الجند من القُرْطُبيّين والزهراويين على منازلهم، فتوصلوا طائفة إثر طائفة وسلم جميعهم، ثم امتازوا من الناس باجتماعهم إلى حضور الطعام لِسَماط^(١) العيد في مجلس الأجراء.

وظلت الخطباء ترتجل والشعراء تنشد مُسَحْنَفَيْن^(٢) على العادة، فكان من أبرع مَنْ قام يومئذ منشداً شعره مُحَمَّدُ بْنُ شُحَيْنَصٍ سابق الحلبة، فأنشد شعرا طويلاً حسناً له سبق فيه إلى ذكر فتح حصن الكرم من أرض العُدُوَّة على المارق حَسَنُ بْنُ قُتُونٍ فقال: [من الطويل]

لَقَدْ حَلَّ بِأَسُ اللَّهِ بِالْكَرَمِ الَّذِي	غَدَا وَهُوَ فِي جِزْبِ الضَّلَالِ بِلَاقِعُ ^(٣)
فَلَوْ حَلَّهِ غِيلَانُ نَادَى طُلُوءَهُ	«هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ» ^(٤)
وَمَا حَجَرَ التُّسْرِ الْمَنِيعِ بِزَعْمِهِ	مَنِيعٌ، وَهَلِ جِضْنُ مِنَ اللَّهِ مَانِعٌ
فَلَوْ طَارَ فَوْقَ الْأَرْضِ أَوْ غَارَ تَحْتَهَا	لَمَا خَالَ أَنَّ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ ^(٥)
وَمَا يَضَعُ الْإِدْبَارُ مَنْ أَنْتَ رَافِعُ	وَلَا يَرْفَعُ الْإِقْبَالُ مَنْ أَنْتَ وَاضِعُ ^(٦)
وَقَدْ عَلِمَ الْإِسْلَامُ مَا أَنْتَ مُنْفِقُ	وَفِي نَضْرٍ مَنْ تَسْعَى وَعَمَّنْ تُدَافِعُ
جَمَعْتَ بِمَا فَرَقْتَ شَمْلَ جَمِيعِنَا	فَأَنْتَ بِتَفْرِيقِ الذِّخَائِرِ جَامِعُ ^(٧)

(١) السِّمَاطُ: ما يُعَدُّ لِيُوضَعَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ فِي الْمَآدِبِ وَنَحْوِهَا.

(٢) مُسَحْنَفُونَ: مُتَوَسِّعُونَ فِي الْإِنْشَادِ، مُجَوِّدُونَ.

(٣) الْبِلَاقِعُ: جَمْعُ الْبَلَقْعِ: الْمَكَانُ الْخَالِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٤) غِيلَانُ: هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ بَهْشِي، الْمَعْرُوفُ بِذِي الرِّزْمَةِ، الشَّاعِرُ الْأُمَوِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٧هـ/٧٣٥م. (الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٤٣٧/٢؛ الْأَغَانِي، الْأَصْفَهَانِي: ٣٠٦/١٧).

الَطَّلُولُ: جَمْعُ الطَّلَلِ: مَا بَقِيَ شَاخِصاً مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ.

(٥) غَارَ تَحْتَ الْأَرْضِ: ذَهَبَ وَاخْتَفَى. خَالَ: ظَنَّ. الْمُتَأَى: الْمَوْضِعُ الْبَعِيدُ. وَهَذَا مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّيَّانِي (ت نحو ١٨ق. هـ/نحو ٦٠٤م):

وَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
(ديوان النَّابِغَةِ الذِّيَّانِي: ٨٠).

(٦) وَضَعَ الرَّجُلُ: حَطَّ مِنْ قَدْرِهِ وَدَرَجَتِهِ. الْإِدْبَارُ: الذَّهَابُ. الْإِقْبَالُ: الْمَجِيءُ.

(٧) الذِّخَائِرُ: الْمُؤْنُ وَالْأَمْتَعَةُ وَالْأَمْوَالُ.

ومنها في ذكر ابنه الأمير أبي الوليد هِشَام:

وَجَدْنَا هِشَامًا لِإِلَائِمَةِ عَاشِرًا إِذَا أَكْمَلَ التَّسْعِينَ فِي الْمَلِكِ تَاسِعُ
أَتَانَا بِتَضْدِيقِ الرِّوَايَةِ مُذْ أَتَى بِهِ أَوَّلَ الشُّهُبِ الدَّرَارِيِّ رَابِعُ^(١)
سَرَتْ فِيهِ أَعْرَاقُ النِّجَابَةِ إِذْ سَرَتْ مِنْ الْحَكَمِ الْمَهْدِيِّ فِيهِ طَبَائِعُ^(٢)

وفي السحر من ليلة الإثنين لأربع عشرة خلت من ذي الحجة خسف بالقمر كله وانجلي قبل ابتلاج الصبح.

وفي يوم الإثنين المؤرخ ورد كتاب صاحب الشرطة العليا والمواريث قاضي القضاة بالمغرب مُحَمَّد بن أبي عامر يذكر تعيين الناس لديهم بالعدوة يوم الخميس، وقيام الخطبة في المصليات هنالك قبل الصلاة والتكبير على حدوده القيمة وسرور المسلمين بذلك وابتهاجهم به واعترافهم بتظاهر نعم الله عليهم في دينهم ودنياهم، واستهلالهم بالشكر له على ما وسعهم فيه من فضل أمير المؤمنين وبركة هدايته وسعادة دولته.

وفي يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من ذي الحجة منها قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحجاب. وقد أشعر القصاد فحضرُوا، وقَدَّم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى، فكان أول من توصل منهم رسل أبي العافية، ثم رسل أحمد بن عيسى، ثم رسل مَيْمُون بن القاسم، ثم رسل علي بن خثون رئيس كتامة، ثم رسل جرثم، ثم توصل بعدهم مُحَمَّد ويوسف ابنا أبي سُفْيَان، ثم مُحَمَّد بن منجفان الأصيل وغيرهم؛ أدوا رسائلهم وعرضوا مسائلهم، فأجيبوا بما وافقهم وأقنعهم. وأذن بعدهم لرسل ملوك العجم فتوصل أولهم رسل شانجه بن غرسية بن شانجه صاحب بنبلونة، ثم رسل فردلند بن الشور، ثم رسل بني غومس، ثم رسل لذريق بن بلشك قومس العرب، فأنهوا ما تحملوه عن مُزِيلِهِمْ، واقتضوا أجوبتهم، ودَفَعَتْ إِلَيْهِمْ صِلَاتُهُمْ.

وفي [يوم] السبت لأربع بقين منه خرج صاحب المخزول ناجيت بن مُحَمَّد إلى العسكر بالعدوة بأحمالٍ جَمَّةٍ من الأموال للنفقات والأعطية.

وفي يوم الثلاثاء ليلة بقيت منه ورد الخبر بالوقعة على الملحد حَسَن بن قَنُون وقتل حماة أصحابه وثقات غلمانهم؛ وذلك أن الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ

(١) الدَّرَارِيُّ: الكواكب المتلألئة.

(٢) النجابة: النباهة وظهور الفضل على المثل.

ركب عشية الأحد من محلته بالمصارة إلى جبل الكرم مع الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد التَّجِيبِي لمعاينة البنيان فيه، فتوصلا إليه عشيَّ النهار، وضاق الوقت عليهما عمّا كانا أملاه من ارتياد موضع لتخلف الأثقال، ونية الوزير القائد غالب في ذلك قصد مدينة البصرة ومنازلتها. فلما انصرف من وجهه ذلك عشيَّ النهار إلى المحلة وافاه في الطريق نازع^(١) ذكر له أن بعض المُستصبيين إلى الملحد حَسَن بن قُتُون من قبائل البربر أقبلوا نحوه بطاغيتهم فنزلوا في قرية تتصل بالحجر معقله، وقد كان الوزير غالب دعا رئيسهم إلى الانحراف إليه والدخول في الطاعة ووعده بصلات رغبة فأبى عليه وصرم حبله وأحفظه إباؤه، وصمد له من وقته فقدم الأدلاء والنزاع في قطع من الخيل نحوه كمنوا على الناحية وتفرقوا في جهاتها وتقطعوا من نواحيها، فانملص^(٢) منهم جاسوس خالطهم لم يشعروا به، وأتى إلى حسن فأعلمه بخبر العسكر المتقرب منه وبما ينوي، فآزعج من وقته، وركب مع ولده وأهله وجميع من كان معه من فارسٍ وراجلٍ، وأحاط بالجبل الذي [ظنَّ] أنه يُؤتى منه.

فلما انبلج الصبح من يوم الإثنين لسبع بقين من ذي الحجة منها تصايح شرذمته على القطيع السابق إليهم من الجند، وقد استقلوا عددهم فامتدوا إليهم، ولحق بهم الفاسق حَسَن النافر نحوهم بخيله ورجله ملقياً نفسه عليهم، والمدد من الحجر يتلاحق به، وسعى الجند في استجرار الفسقة إلى السهل كيما يستوسع المصاع^(٣)، فأفضوا إلى بعض ذلك ببسيط قرية تسمى «أحين» على نحو ميلين من المحلة، فتلاحقت بهم الخيول من المحلة تترى وتنثال^(٤) من كل جهة فاستحضر القتال واشتد النزال من الصباح إلى الظهر، ووهب الله آخر ذلك انهزام المخذول حَسَن وشيعته بعد أن جدَّ جدُّه لم يلو على أحد من أصحابه حتى انجحر^(٥) بالحجر وجاره، والخيول تسوقه حتى اقتحمه، ووقفت الخيل على عتبته فلم يصرفها إلا رتاجه، فانقلب ذلك الفريق الآوون إليه لوقته عليه وأعلنوا بدعوة أمير المؤمنين ولاذوا بطاعته، ورفعوا لوقتهم طاعتهم بالأهل والولد إلى جوف العسكر، فكان الصنع عظيماً والفتح مبيناً والسلامة غالبية على أصحاب السلطان،

(١) النازع: الغريب.

(٢) انملص الرجل: ولَّى هارباً.

(٣) المصاع: المجالدة بالسيوف ونحوها.

(٤) تنثال: تتابع، وانثال عليه الناس أو الخيل: اجتمعوا وأتوه من كل ناحية.

(٥) انجحر: دخل الجحر: حفرة تأوي إليها الهوام وصغار الحيوان، شَبَّه مخبأ حسن بن قنون الذي لجأ إليه به.

لم ينل منهم كبير منال، واستمر القتل في أصحاب الملحد فَحَزَّ^(١) من رؤوس مشاهيرهم ووجوه غلمانة مائة رأس، وترك من سائرهم أكثر من ثلاثمائة صريع لم تحتز رؤوسهم. وكان إرهاب منهمهم إلى الحجر في مضايق أشبه وشعاري ملتفة لقي الجند في توغلها عنتاً^(٢)؛ وقتل في الهزيمة مُحَمَّد بن أبي العَيش الكُتامي، وكان من الملحد حَسَن محل أخيه تارة ومحل ابنه أخرى، لا يورد ولا يصدر إلا عن مشورته. واشتد حزنه عليه، لا أرقاً الله دمه.

(١) حَزَّ الرأس: قطعه.

(٢) الْعَنْتُ: الشُّدَّةُ وَالْمَشَقَّةُ.

سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

في يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من المحرم فاتحها قدوم قند فتى الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ بكتاب مولاه غَالِب يذكر ما صنعه اللَّهُ لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة البصرة التي كان انتزى فيها مُحَمَّد بن حَنُون المخذول، وأنه كان سار عنها في خيله لبعض ما عَنَّ له من شؤون، وخَلَّف بها خاله مُحَمَّد بن عبد السلام الذي كان ظهيراً له ومدبراً لشأنه لا يقدم أمراً ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته، وكان مشنوءاً إلى أهل البلد، فدَبَرُوا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه؛ فتك به ثُعْبَان بن أحمد البربري البطل واحتز رأسه، وذلك يوم الجمعة لثلاثٍ خلون من المحرم منها، وابتدر أهل البصرة مخاطبة الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمَنِ يستجلبونه إلى ما قبله، فخرج إليهم يوم السبت لأربع خلون من المحرم من محلته بالمصاراة وأبقى الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِمٍ التُّجِيبِي في حصن الكرم وقد شارف^(١) البنيان فيه التمام وَتَقَفَ الْأَجْبَلُ^(٢) حول الحجر بآلاف من الفرسان والرُّجُل، وَكَلَّهُمْ بالتضييق على المخذول حَسَن في حجره ومساورته في جميع أوقاته، فتوجه نحو البَصْرَةِ آمناً من حركته، فاحتلَّ بسوق كتامة يوم السبت المؤرخ، وتلقاه بها رسلُ أهل البصرة بكتابهم يدعونه إليهم، وأنفذوا إليه رأس مُحَمَّد بن عبد السلام فتسلمه غالب منهم لوقته، وخاطب الخليفة بخبر البصرة، وأدرج كتاب أهلها طيَّ مدينة البَصْرَةِ يوم الأحد فدخلها لوقته، ووصل قند فتاه إلى قُرْطُبَةِ عَشِيِّ يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من المحرم، فتوصل إلى أمير المؤمنين في عشيته، وسرَّه ما أتاه به، فلما كان يوم الخميس بعده نفذ العهد إلى شاطر الجَعْفَرِي صاحب خيل الأمير هِشَام بالنهوض مع قند فتى غالب، استركب معهما من الجند في التعبئة إلى منية الناعورة التي كان قند أودع فيها رأس ابن عبد السلام في دخوله، ورفع في قناة سامية والبروز به من هنالك إلى باب السُّدَّة الكبيرة من أبواب قصر قُرْطُبَةِ شاهدين له في الناس، ففعل ذلك ومَرَّ به إلى باب القصر خلال فثام^(٣) من الناس النظارة يكثرون اللعن له ولجميع مَنْ مذهبه

(١) شارف البنيان: دنا منه، وشارف الشيء: اطلَّع عليه من فوق.

(٢) الأجبل: الجبال.

(٣) الفثام: الجماعة من الناس.

كمذهبه من أهل التشريق والبدع المضلة إلى أن انتهى إلى باب السُّدَّة، والمخلف على الشرطة المسماة بالمدينة مُحَمَّد بن الوزير جَعْفَر بن عُثْمَان جالس فوق الكرسي، فأمر بنصبه فوق خشبة عالية سامية على الرصيف إزاء باب السُّدَّة. وقعد أمير المؤمنين في هذا النهار بالروضة، وأوصل إلى نفسه الوزراء وأكابر أهل الخدمة، ثم توصل إليه قند فتى الوزير القائد غالب جالب الرأس، فأدناه واستفهمه عن أخبار العسكر وأحوال الأجناد وأمور العُدوة، فأحسن الجواب، وأبان عن الصفة، فَسَّرَ أمير المؤمنين، وأمر له بصلة مائة دينار دراهم، وكسوة توافقه رفيعة، وردَّاه فوقها بسيف صارم مذهب الحلية غريب الصنعة، وحمله على فرس جواد بسرّج ولجام فَخْمِي الحلية، وأمره بالانصراف إلى مولاة. ووافى إثر ذلك كتاب الوزير القائد غالب يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم، يذكر أنه كتب من مدينة البَصْرَة، قد مَنَّ الله على الإمام بافتتاحها، وبعاد الملحد مُحَمَّد بن حنون عنها وحيداً شريداً طريداً سليب الأهل والمال، مفاجوفاً بخاله ابن عبد السلام المُهْدَى رأسه إلى حضرة الإمام، ومصير غلمانة وعدة حربه وبنوِّ له وطبولة في العسكر المؤيد عزاً وأيداً^(١) على من لقي من الأعداء أهلكتهم الله، وذكر أن ابن حنون الشريد العاق لأبيه تخلف بمدينة البَصْرَة زَوْجَهُ بنت حسن بن قُتُون الملحد أمكن الله منه، فأقرَّها على حالها تحت التوكيل يستطلع فيها الرأي، فعهد إليه أمير المؤمنين بسدل الستر عليها وإكرامها ومن معها من نسوتها وإلحاقها وإياهن بالملحد والدها حسن بمعقله الحجر، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرّج ولجام معرقين مُفْرَغَيْن بعد أن كسيت كسوة سنية وأفيض ذلك في خدمها ونسائها، وأركبن معها فاحتملت معهن إلى أبيها الحسن بالحجر بأفضل حال.

وفي غرة صفر منها احتل قُرْطُبَة ثُعْبَان بن أحمد البربري قاتل مُحَمَّد بن عبد السلام خال الفاسق مُحَمَّد بن حنون في وجوه من رجال أهل البَصْرَة شَادِينَ^(٢) لغزوة الطاغية، وقدم ثُعْبَان من بينهم مهاجراً إلى قُرْطُبَة بأهله وولده، موثراً الانتقال إليها والخدمة بعسكرها، أخبر عنه الوزير غالب بذلك ورَغِب في اصطناعه وأثنى على رأسه وذكر أنه من الأبطال المشاهير لا يُعرف له في المغرب نظير، فأنزل أحسن نزول، ووسع عليه، وبلي من بأسه فيما بعد ما صدَّق القول فيه، فاعتلت عند السلطان منزلته.

ووافى كتاب الوزير القائد الأعلى غالب أيضاً يوم الأحد لأربع بقين من المحرم من محلته على قبيلة رهونة وقد انتقل عن مدينة البصرة بعد أن ثقفها وشكَّها بالرجال، وقدم عليها عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن اللَّيْث، وذكر أنه لما رأى القوم - يعني رهونة -

(١) الأَيْدُ: القُوَّة والسُّدَّة. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

(٢) شَدَّ شِدَّةً: قَوَّى ومتن، وَشَدَّ عليه في الحرب: حَمَلَ بِقُوَّة.

نهوض العسكر إليهم نزلوا بأجمعهم خاضعين مُهْطَعِينَ^(١) لاثنيين بالطاعة راغبين في العافية، فأوسعهم العفو، وقبل منهم الإنابة، وبذل لهم الأمان، واختتم كتابه بأنه لم يبق في الغرب وقت كتابه مُنَابِذٌ^(٢) سوى حَسَن، والْحَيْنُ^(٣) به محيط، وصنع الله قريب بفضلِهِ.

وفي أول العشر الثاني من المحرم الموافق مثله من شهر أكتوبر الشمسي مفتتح الزراعة نشأت الأنواء الغليظة بِقُرْطُبَةٍ وما يليها وتراكت، وهبت خلالها ريح شديدة غربية، ثم نزل الغيث من أول يوم الجمعة لعشر خلون منه فاتصل يومئذ ومكن من الاحتراث، فشرع الناس في حرث الفصيل، وتوقف السُّعْر وكان فارعاً مرنقاً^(٤). واتصل نزول الغيث المروي إلى النصف من محرم، فانطلق الحرث وابتدر العام بكل جهة، واستبشر الناس بالخصب والرحمة، وتوالى الغيث صدر صفر بعده فوبل واتصل وكراً بمثل ذلك للنصف منه فَأَزْهَمَ وَطَشٌ وجاد^(٥) خلال ذلك، وتسايلت غزاراً خالطها رعد قاصف وبرق خاطف، ووالى مثل ذلك صدر ربيع الأول فجاء بأمطار غزار من أول يوم الثلاثاء لخمس بقين منه فوالى بين ثلاثة أيام ولياليهن ونزل في صبيحة الخامس آخرها مطر غزير وابل أشد مما كان قبله معه رعد وبرق، وسقط خلاله بَرْدٌ ببعض المواضع من قُرْطُبَةٍ غليظٌ جليل وَزَنَ في حبوبٍ منه وَزَنَ ثلاثة دنانير وأكثر، وظهرت زيادة من النهر من عشي هذا النهار المتقدم الذكر فلم يزل مترعاً^(٦) إلى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ربيع الأول، فتوقف وتمادى المطر والهطول^(٧) بِقُرْطُبَةٍ للنصف من جمادى الأولى منها، فجاءت السماء بماء منهمر، وظهر مدّ النهر في ذلك اليوم، فانتهى إلى رصيف القصابين، ثم زاد في ليلة الأربعاء للنصف منه وانهمر

(١) الْمُهْطَعُ: الذي ينظر في دُلٍّ وخضوع. قال تعالى: ﴿مُهْطَعِينَ مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. والمهطع أيضاً: الساكت في تذلل وخوف، ينطلق إلى من دعاه. قال تعالى: ﴿مُهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

(٢) الْمُنَابِذُ: الْمُجَاهِرُ بالحرب، الْمُفَارِقُ عن خلافٍ وَبُغْضٍ.

(٣) الْحَيْنُ: الموت والهلاك.

(٤) كذا ورد، ولعل صوابه: «وكان فادحاً مرهقاً». والفارح: الطويل، العالي، يقال: فرع الشيء فراعَةً: طال وعلا. والمُرْتَقُ: المُكْدَر.

(٥) أَرَهَمَ: أتى بالزَّهَامِ: جمع الزَّهْمَةِ: المطرة الضعيفة الدائمة. طَشَّ المطر: ضَعَفَ، وَطَشَتْ السماء: أمطرت مطراً ضعيفاً. جاد المطر: كَثُرَ، وجاد المطرُ الأرضَ: أصابها، وجاد القوم: عَمَّ أرضهم وشملهم.

(٦) مُتْرَعاً: مُمْتَلِئاً.

(٧) الْهَطُولُ: الانصباب، الانهمار.

الغيث فيها وهمى^(١) بعدها إلى يوم الخميس لسبع بقين منه، وعاد النهر في الزيادة فطما مدّه وكثر ليلة الجمعة سلخ جمادى الأولى إلى غرة جمادى الآخرة، فزاد حمله في اليوم الثاني منه، فانتهى إلى آخر حدّ أوضاع الجزارين، وأخذ في النقص من عشيّ النهار.

وفي يوم الخميس للنصف من صفر منها ورد كتاب الوزير القائد غالب بن عبد الرّخْمَن من محلته بالكرم يذكر منصرفه على بلد البَصْرَة وأخذه رهنهم، ويذكر أنه قد صار إلى الطاعة جميع أمراء المغرب وعامة قبائل البربر فليس فيه مُنابذ غير الشقي الحائن حَسَن بن قُتُون، وأنه قد صار من ضيق أمره في غمة، ثم توافى كتابه بعد أيام بأنه قد أخذ على المخذول حَسَن بن قُتُون الجبل المعروف بجبل العيون المتصل بالحجر معقله، وضبطه بألف من الرّجل مضيقاً عليه آخذاً بمخنقه، ووصل إلى قَرْطَبَة في هذا الوقت مشيخة أهل البَصْرَة المدافعين لمُحمَّد بن حنون أميرهم الداخلين في طاعة الخليفة المستنصر بالله موثقين لعقدهم، فأكرموا وأدّيت منزلتهم.

فلما كان يوم الإثنين لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها قعد الخليفة الحكم المستنصر بالله على السرير بقصر الزهراء أتم قعود وأفخمه زينة، شهدته الوزراء وطبقات أهل الخدمة، وحجبه أكابرهم على العادة، فأوصل إلى نفسه عبد الرّخْمَن بن مُحمَّد بن أبي العَيش، وحُسَيْن بن يَحْيَى بن حَسَن بن إبراهيم، وحَسَن بن حنون الحسينيين ورجالهم، وتلاههم مشيخة مدينة البَصْرَة ورجالها وحملة العلم فيها. فأقبل على جميعهم وتوسع في مساءلتهم واستمع لأجوبتهم فملاهم مَسْرَة. وتوصل إليه بعدهم رسل حلوية عمّة الطاغية أمير جليقية وكافلته، فتكلموا عن مرسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء، ترجمه نصاً عنهم أَصْبَغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى بِقَرْطَبَة المتولي ذلك عن الأعاجم، أنكره الخليفة لوقته، فازور^(٢) للمترجم ونهره^(٣)، وأمر بتأخير الرسل عنه، وناله ببعض التوبيخ، وألزم أَصْبَغ المترجم ذنبه، وأمر بإقصائه وعزله عن قضاء النصارى وإهانتته، وتعريف الرسل بسوء ما آذاه عنهم، فقعد لهم صاحب الخيل زيَاد بن أفلح في بيته بدار الجند وعركهم، وعرفهم أنه لولا احتجازهم بذمة الرسالة لُعُوجِلوا بالعقوبة، وخَصَّ المترجم أَصْبَغ بالملامة لإقدامه على ما أقدم عليه من سوء المخاطبة، وخصه بأشدّ الوعيد وعرفه بما كان قد همّ به أمير المؤمنين فيه من غليظ العقاب والتشديد لتركه تأديب هؤلاء الأعلاج، وتثقيف ما يلقونه إليه من

(١) هَمَى: انههم.

(٢) اَزْوَرَّ عنه: مال وانحرف.

(٣) نَهَرَ فلاناً: رَجَزَهُ وأغضبه.

كلامهم إذ كان المقلد ذلك منهم ومن أمثالهم من رسل الطواغيت، لولا ما أعقبه من الصفع عنه؛ ونفذ العهد إلى أحمد بن عروس^(١) الموروري المتفقه بالخروج إلى جليقية رسولاً إلى العلجة حلوية مع رسلها المنقلبين عن قُرْطُبَة، وضمَّ إليه عُبيد الله بن قَاسِم المطران المترجم، فخرجا مع الرسل الصادرين عنها في عقب صفر المؤرخ؛ وكان مُحَمَّد بن مُطَرَف يومئذ بناحية الغرب فحُوطِب يُؤمر بالدخول معهما.

وفي يوم الإثنين الذي كان الجلوس فيه لمن تقدم ذكره وصل إلى قُرْطُبَة رسل عبد الكريم بن حماد بن عبد الله بن عبد الكريم، وقَاسِم بن خَفْصُون الكناني، ومُوسَى بن عِيسَى المعروف بابن العتّاب، ومُحَمَّد بن يَحْيَى القَيْسِي، وعَمَّار بن عبد الحميد الجُدّامي [ورسولا حنون بن أبي العيش] وهما المؤمل كاتبه، وخلوف بن أبي قُلوس^(٢) خادمه، ومعهما رسول أخيه إبراهيم بن أبي العيش، وهو عِيسَى بن مُوسَى قاضيه، فأنزلوا أكرم منزل وأرغده.

وفي أول ربيع الأول بعده قدم قُرْطُبَة عِيسَى بن عبد الله قاضي أحمد بن إسماعيل الحسني، وقدم إثره لثلاث خلون من ربيع الأول مُحَمَّد، وإبراهيم ابنا عِيسَى بن يَحْيَى بن القَاسِم بن إدريس الحسنيان. واكتملت الرسل والوفود بباب الخليفة المستنصر بالله، وقعد لهم يوم الثلاثاء لأربع خلون منه قعوداً فخماً بقصر الزهراء على عادته، فأوصل إلى نفسه الرسل القادمين من فاس، ثم رسل الأمراء من بني حَسَن: رسل أحمد بن عِيسَى، ورسل حنون بن أبي العيش، ورسل أخيه إبراهيم بن أبي العيش، ثم رسل أمراء البربر: رسول ابن مَدِين، ورسل لُقْمَان بن خزر، ورسول ابن جُرْثُم، وغيرهم من رسل أمراء العُدوة الخاصة.

وفي هذا الوقت ألحق عبد الكريم بن أحمد بن فارس المنجم المصري في جملة الغلمان برغبة والده إذ كان عطلاً^(٣) من المعرفة معالِجاً معاني الفروسية.

وفيه عقد استثمار لإبراهيم بن جَعْفَر بن علي صاحب المَسِيلَة المستأمن إلى الدولة بإجراء مائتي دينار صحاح دخل أربعين في كل شهر من مستهل ربيع الأول منها وإجراء عشرة أمداد من القمح بكيل السوق عليه لكل شهر، ومن الشعير لدوابه بكيل الهُزْي لكل ليلة قفيزان^(٤) من التاريخ المذكور.

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ربيع الأول دخل قُرْطُبَة قُتُون بن عِيسَى الحسني

(١) ورد في ما سبق «ابن عمرو».

(٢) كذا ورد، وسيرد بعد ذلك: «ابن أبي قُلوس» بالفاء.

(٣) عَطْلًا من المعرفة: خالياً منها.

(٤) القفيز: مكيال قديم، مقداره نحو ستة عشر كيلوغراماً.

أخو حنون، فأكرم مثواه وأنزل في الدار المبتاعة من بني هاشم بالمدينة. وقدم بقدمه فرج بن علي بن عمر، وإبراهيم بن عبد الله بن محمد، من وجوه رجاله، وحجاج بن مخلوف قاضيه. ووصل إلى قُرْبَةِ بوصولهم الخيل التي بعث بها صاحب عُدَّة القرويين من فاس، وعدتها خمسة وثلاثون فرساً.

وفي يوم الأربعاء لسبع خلون من ربيع الآخر منها ورد كتاب الوزير القائد غالب يذكر صلاح حال العسكر المؤيد قِبْلَهُ وَضِيقَ أحوال المخذول حَسَنَ وَذَلَّهُ، واشتداد الحصر عليه، وسوء حاله، وأنه خرج عنه مَنْ كان استمسك به وصابَرَ الحصارَ معه نحو من سبعمائة رجل في يوم واحد، آخرهم ولده المسمّى بالمنصور مع أخته وأمها مع رجال لأبيه وخدم وأعوان لاذوا بالأمان ففارقوه مؤثراً [ين] طاعة السلطان، مستعجلين الراحة من سوء الحال وفرط الحصار. وذكر أن سَجَّانَ حَسَنَ الضابط لسجنه واطأ^(١) من كان في سجنه من المرتين الذين كان المخذول حسن ارتهنهم من بعض القبائل، وكانوا عدداً كثيراً، خلاهم^(٢) وفرّ بنفسه معهم، فورد جميعهم على الوزير القائد الأعلى غَالِبَ، فَضَمَّهم وأحسن إليهم. وذكر أن مارداً من أصحاب الملحد حَسَنَ دَسَّه للإلقاء نار حيث يمكنه من المحلة المنصورة. وكان يضطرب^(٣) في العسكر ليوقع فيه الحريق فتهاً له إلقاؤها في خيمة من الخيام أيقاظ أهلها، فثقفوه^(٤) وأتوا به الوزير القائد غالباً فأمر بصلبه فخر نفسه، ولم يضرز سواها.

وفي يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر منها خرج الخازن عبد الرَّحْمَنِ بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِلْيَاس بالأموال إلى العسكر بالعدوة.

وفي أول شهر جمادى الأولى منها خرج الخازن عبد الرَّحْمَنِ بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِلْيَاس، وولي صاحب الشرطة خال الأمير هِشَام رَائِق بن الْحَكَم قيادة بَطْلِيُوس مجموعة له إلى رمكب وأروض ومدلين وأم جعفر، إلى ما في يده من فَخْص البُلُوط.

وفي هذا الوقت سُجِّل الحجاج بن مُتوكل اليهودي على قسامة^(٥) قومه يهود اليُسانة.

(١) واطأ فلاناً على الأمر: وافقه.

(٢) خَلَّاهُمْ: تركهم.

(٣) يضطرب: يتردد، يطوف.

(٤) ثقفوه: أدركوه وأمسكوا به.

(٥) القسامة: من قسم القوم الشيء بينهم: أخذ كل منهم نصيبه فيه، ويقال: القسامة: الجماعة يُقسمون على حقهم ويأخذونه، والقسامة (بضم القاف): ما يعزله القاسم لنفسه من رأس المال ليكون أجره.

وفي يوم الجمعة لثمانٍ خلونٍ منه نادى مُنادٍ عند أبواب المسجد الجامع بِقُرْطَبَةٍ عن أمر قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إِسحاق بن السليم^(١) معلناً صوته فقال: «أيها الناس - رحمكم الله - يقول لكم القاضي وفقه الله إنه ليس بغائب عنكم ما فيه ضعفًا وكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة، فحَضِّلُوا زكاة أموالكم وكفارة أيمانكم ووصايا أموالكم، وعَجِّلُوا بها على فقرائكم ومحاربيكم، ولا تناسوهم فهم غداً خصماً وكم عند الله ربكم، وهو شهيد عليكم لا ربَّ غيره».

وأجرى القاضي مُحَمَّد بن إِسحاق هذا المعنى في خطبته صلاة هذا النهار وأوضحه، فبان نفع تذكيره بِفُشُو^(٢) الصدقات أَيَّامئذٍ.

وفي هذا الوقت خرج الوزير مُحَمَّد بن قُطَيْس إلى إشبيلية واستخلف على الكتابة العارض الكاتب أحمد بن أبان بن سيد^(٣).

وفيه وصلت إلى الزهراء الجمال التي بعث بها بنو خزر من العُدوة وكانت مائة وثلاثين جملاً.

وفيه سُجِّلَ لِمُطَرِّف بن إِسماعيل بن عَامِر بن ذي الثُّون على وَبْدَةٍ^(٤) حِصْنِهِ، وأضيف إليه أكثر حصون كورة شنت بريه وقراها.

ذكر ورود الخبر السار على الخليفة المستنصر بالله بإذعان حَسَن بن قُتُون الحَسَنِيِّ ودخوله في طاعته

وفي يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة منها شهد الخليفة المستنصر بالله صلاة الجمعة بجامع قُرْطَبَةٍ، فبعد انقضاء الصلاة في ساباط المقصورة منه على عادته، وأوصل إلى نفسه الوزراء فأعلمهم بخضوع الملحد حَسَن بن قُتُون الحَسَنِيِّ الْمُنتَزِي

(١) هو أبو بكر، محمد بن إِسحاق بن السليم: قاضي الجماعة بقرطبة، كان من العدول المَرْضِيَّين، والفقهاء المشهورين، وله عند أهل بلده جلالة مذكورة، ومنزلة في العلم والفضل معروفة. توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٥٠).

(٢) قُشْتُ الصدقات قُشْرًا: ظهرت وانتشرت.

(٣) هو أبو القاسم، أحمد بن أبان بن سَيِّد عالم، لغوي، مشهور. روى عن أبي علي إِسماعيل القالي، وروى عنه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون الأديب النحوي. توفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م.

(جذوة المقتبس، الحميدي: ١٢١؛ بغية الملتبس، الضبي: ١٦٠، الصلة، ابن بشكوال: ٢٤).

(٤) وَبْدَةٌ: مدينة من أعمال شنت بريه. (معجم البلدان، الحموي: ٣٥٩/٥).

عليه بأرض العُدوة له وإنابته إلى طاعته، وأنه ورد عليه بذلك كتاب الوزير القائد غَالِب بن عَبْد الرَّحْمَن مولاه، وأنه وَجَّه إليه بذلك ابنه عَلِيّ بن حَسَن الذي كان سنَّاه وَمِجَنَّهُ ومديرَ حربه، وأنَّ الخطبة قامت لأَمِير المؤمنين في الحجر، قلعة الفاسق، يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، فاستبشر الوزراء وبشروا وهتوا وغبطوا وأعلنوا بشكر الله تعالى فأطالوا.

وفي يوم الإثنين لثلاثٍ خلون من رجب منها خرج دُرِّي بن الحَكَم المعروف بالهَمَّاز من وكلاء دار الخيل إلى العسكر بالعدوة وبين يديه جملة من البغال الزوامل الظهيرة مُوقرة بالأموال المعبأة للاستنفاق، هنالك على الأجناد المتكاملة المبادرة بالإنفاق قبل الاستحقاق، ومن وراء ذلك أحمال من الحلبي والآلات الفاخرة من أعدال الكسى الرفيعة والحليات النفيسة من السروج المعركة واللجم المفرغة التي أمره الخليفة أن يتلقى بها عَلِيًّا والمنصور ابني حَسَن بن قُتُون، وابن عمِّه إبراهيم بن حَسَن الحَسَنِي المعروف بأرملهم، ومُحمَّد ولده القاصدين إلى باب السُدَّة، إذ ورد الخبر بأنهم على الجواز، وتوالى الخبر إثر ذلك بجوازهم إلى الجزيرة، وكان احتلالهم فيها يوم السبت لثمانٍ خلون من رجب، فأخرج السلطان لتلقيهم صاحب المخزول أحمد بن عبد الملك وشاطراً الجَعْفَرِي صاحب خيل الأمير أبي الوليد هِشَام، يوم الخميس لثلاث عشرة خلت منه، وبين أيديهما أحمال كثيرة من العدة التي ينزلون عليها من الغطاء والوطاء وضروب الآلة المعتملة^(١) من الوطاء الرفيع والآنية البديعة وغير ذلك.

وفي يوم السبت غرة رجب منها عرض للخليفة المستنصر بالله في طريقه بالمصاراة أسفل قَرْطَبَة وقد ركب يريد الزهراء جمعٌ كثير من أهل ثغر لآرِدة قاصية الثغر الأعلى وذواتها نحو من ثلاثمائة راكب مبتهلين بالدعاء له واصلين ذلك بشكر واليهم صاحب الشرطة القائد رِزْق بن الحكم الجَعْفَرِي والثناء عليه، فتوقف عليهم وأمر بإدنائهم إليه، فترجَّل وجوهمهم وقَدَّمهم الحجاب من أكابر الفتيان الحاقين به إلى رجله قبلونها مُسَلِّمين مُثْنِينَ، وأمر باستنطاقهم رجلاً رجلاً على رِسل^(٢) من استيفاء أجوبتهم، فلم يختلفوا في ذكر من حُسِن سيرته وجميل نظره وفاشي معدلته^(٣)، فَسَّرَ بما أوردوه وأعلن حمد الله عليه، وأمروا بالانصراف.

وفي هذا الوقت استبَلَّ الأمير أبو الوليد هِشَام بن الخليفة الحكم من علته

(١) المُعتملة: المصنوعة.

(٢) الرِّسْلُ: الرِّفْقُ والتَّؤَدَة.

(٣) المَعْدَلَة: الاستقامة.

بالجدري التي كان تورط فيها من النصف من جمادى الأولى منها إلى غرة رجب، فاشتد خوف الخليفة عليه وبان قلقه لشكوه، وشاعت صدقاته تذرعاً لكشف ضرّائه، وأولاه أكابر خدمه الخاصة وعلية وزرائه وأهل خدمته من المشاركة في حزنه والتألم لألمه وإحفاء السؤال عن شق نفسه مشافهةً ومكاتبةً مستبقيين في ميدانه ما قضوا به حقه وتوافوا به من الارتماض^(١) شركة إلى أن بشرهم بإفراقه غرة رجب منها في مجلسه الخاص مع وزرائه بقصر الزهراء، وأعلمهم أن كتابه ورد عليهم من مكان مضجعه بقصر قُرْطُبة بخط يده يخبره بتمام نقوه من علته وانتعاش حالته، وأن العافية قد سلمته والسلامة قد اعتمدت في جسده وبصره، بحمد ربه، فاستهلوا^(٢) حامدين لله، عزّ وجهه، شاكرين لنعمائه واصلين ذلك بالابتهاال^(٣) إلى خالقهم، عزّ وجهه، في دوام خلافته وطول إمتاعه بقرّة عينه وإبلاغه فيه منتهى أمله، وقضى الخليفة وقضوا معه نذوراً وأفشوا زلفاً^(٤) نعش الله بها من ضعفاء الناس خلقاً.

فلما أن كان يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خلت منه قعد الأمير أبو الوليد هشام لأكابر الخلفاء من أهل الدولة بقصر قُرْطُبة قعوداً بهيئاً خفّه فيه الفتيان الأكابر الخلفاء، وتوصل إليه فيه الوزراء فقعدوا بين يديه، واستهلوا بحمد الله تعالى وشكره على ما أنعم به عليه وعليهم من تمام عافيته وكمال صحته، وتوصل إليه بعدهم أكابر أهل الخدمة على مراتبهم، وتلاههم من أعيان الخاصة قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إسحاق بن سليم، وصاحب الشرطة والسوق أحمد بن نضر، والفقيه قاضي كورة رِيّة مُحَمَّد بن مُفَرّج، والأمينان عبد الرّحمن بن وافد وسُلَيْمان بن أحمد الرّصافي، فدفعت إلى هذين منهم بَدْر^(٥) أموال رغبة ليتصدقا بها على أهل السّتر والضعفاء شكراً لله تعالى على ما ألبس الأمير أبا الوليد من العافية.

وفي يوم الأربعاء لأربع بقين من رجب سخط الخليفة على مُحَمَّد بن سَعِيد ابن خال أبيه الخليفة الناصر سَعِيد أبي القاسم لأمرٍ خفيّ أنكره عليه، فعهد إلى صاحب الشرطة العليا هشام بن مُحَمَّد بالتوجه فيه بنفسه وضمه إلى السجن مُقيّداً، فقصد هشام داره بمنية عبد الله شرقي قُرْطُبة فأصابه غائباً عنها مطالعا ضيعته بمنزل هيئتم، فنزل بالمسجد قرب داره، وخاطب مستظلاً للرأي فيه، فَجُوبَ يؤمر بالنهوض فيه،

(١) الارتماض: الشدّة أو الحرّ أو العطش.

(٢) استهلّ: ابتدأ.

(٣) ابتهل ابتهالاً: تذلّل وتضرّع.

(٤) الزلف: جمع الزلفة: القرّبة، المنزلة.

(٥) البدر: جمع البدر: كيس فيه مقدار من المال.

وَسَوَّيْهِ مُهَاناً إِلَى السَّجْنِ، فَمَضَى نَحْوَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُرَفَاءَ الْمَحَارِسِ وَعِدَّةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ وَالْفَرَانِقِينَ^(١) وَالشَّرْطَ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى بَابِ السُّدَّةِ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ، وَقَدْ أَحْضَرَ لَهُ الْقَيْدَ فَقَيْدٌ، وَسُجِّنَ بَيْتَ الْعَمَالِ عَلَى بَابِ الْجَنَانِ، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ اسْتَنْقَذَهُ الصَّفْحَ فَأُطْلِقَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لثَلَاثٍ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ.

وفي صدر رجب منها أذن لمن كان اجتمع بباب السلطان من رسل أمراء العُدوة ووفودهم المؤكدين اعتقاد الطاعة بعد أن حُبُّوا وَكُسُوا، وَدَفِعَتْ إِلَى الرِّسْلِ مِنْهُمْ أَجُوبَتُهُمْ عَنْ مَرْسَلِيهِمْ، فَاثْقَلُوا مَغْبُوطِينَ بِالصُّدْرِ^(٢) فَرَحِينَ بِالْوُرُودِ^(٣)، فَكَانَ مِنْهُمْ رَسْلُ عَبْدِ الْكَرِيمِ صَاحِبِ فَاسٍ، وَهُمْ: أَبُو صَالِحٍ، وَعَزْرٌ، وَعُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ، وَرَسْلُ حَنُونِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى: كَاتِبِ الْمُؤَمِّلِ، وَخَادِمُهُ خُلُوفُ بْنُ أَبِي فُلُوسٍ، وَقَاضِيهِ عَيْسَى، وَإِبْرَاهِيمُ رَسُولُ حَسَنِ بْنِ حَنُونٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَنَدِيبٍ رَسُولُ جُرْثُمَ بْنِ أَحْمَدَ، وَزَيْرِيُّ بْنُ بِيَاضَةَ، وَقَاسِمُ رَسُولَا إِدْرِيسَ بْنِ حَمَّادِ الْغَمَارِيِّ، وَمُخْرَزُ الْمُوَاتِي رَسُولُ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةٍ، وَرَسْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسْلِ مَلُوكِ الْعُدوةِ، فَاثْقَلُوا نُفُجَ^(٤) الْحَقَائِبِ مَغْتَبِطِينَ بِالْوَلَايَةِ.

وفي يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب الذي كان الخامس من إبريل العجمي هاجت ريح شديدة وتنزل غيثٌ وابلٌ، وقلعت الريح العاصف في هذا اليوم كثيراً من شجر الزيتون وملخت^(٥) أغصانه وكسرت كثيراً من الشجر غيره. وكان هول الريح عظيماً وتأثيرها سيئاً وجاداً^(٦) المطر وابلأً مُنْهَمَلاً تَمَادَى انْسِكَابُهُ يَوْمَيْنِ، الْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ تَلَوُهُ، فَمَدَّ نَهْرُ قَرْطَبَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الْمُؤَرَّخَ لِأَحَدِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَجَبٍ وَتَنَاهَتْ زِيَادَتُهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَبَلَغَ رَصِيفَ الْقَصَابِينَ، وَمَضَى عَلَى غُلُوءِهِ^(٧) فِي الزِّيَادَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعْدَهُ. وَاتَّفَقَ أَنْ نَزَلَتْ سَحَابَتَانِ وَابِلَتَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَهُ وَافَقَتَا إِقْبَالَ النَّاسِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فَتَالَهُمْ مِنْ أَذَاهُمَا مَا أَعْتَنَهُمْ^(٨) وَبَلَّلَ أَثْوَابَهُمْ، وَازْدَحَمُوا عِنْدَ أَبْوَابِ الْأَبْهَاءِ بِدَاخِلِ الْمَسْجِدِ مُتَعَادِينَ عَلَى الدَّخُولِ تَحْتَ سَقْفِهَا اِزْدَحَاماً وَغَلَاباً،

(١) الْفَرَانِقُونَ: جَمْعُ الْفَرَانِقِ: الدَّلِيلُ أَمَامَ الْجَيْشِ أَوْ الْبَرِيدِ.

(٢) الصُّدْرُ: الرَّجُوعُ، الذَّهَابُ.

(٣) الْوُرُودُ: الْقُدُومُ، الْمَجِيءُ.

(٤) نُفُجَ الْحَقَائِبِ: أَيِ حَقَائِبِهِمْ مَمْلُوءَةً بِالْهَدَايَا، يُقَالُ: نَفَجَ السَّقَاءُ: مَلَأَهُ. وَيُقَالُ: هُوَ نُفُجُ الْحَقِيَّةِ: عَظِيمُ الْعِجْزِ، وَهِيَ نُفُجُ الْحَقِيَّةِ: ضَخْمَةُ الْأُرْدَافِ.

(٥) مَلَخَ الشَّيْءُ: جَذَبَهُ قَبْضاً أَوْ عَضّاً، وَامْتَلَخَهُ: اسْتَلْهُ أَوْ اجْتَذَبَهُ.

(٦) جَادَ الْمَطَرُ: كَثُرَ، وَجَادَ الْمَطَرُ الْأَرْضَ: أَصَابَهَا، وَجَادَ الْقَوْمُ: عَمَّ أَرْضَهُمْ وَشَمَلَهُمْ.

(٧) الْغُلُوءُ: أَوَّلُ الشَّيْءِ وَجِدْتُهُ.

(٨) أَعْتَنَهُمْ: أَتَعَبَهُمْ وَأَشَقَّاهُمْ.

منع كثيراً منهم الصلاة لِتَقْضِيْهَا قبل دخولهم، من أجل انسكاب ذلك الغيث عليهم وغزره وتضامهم له وتزاحمهم تحته، وجاء النهر يومئذ بعباب طام^(١).

وفي آخر رجب المؤرخ قدم إلى قُرْطُبَة قياطن بن يَغْلَى ولد يَغْلَى أمير بني نفر وصاحب مدينة أفكان بالمغرب الذي غدر به جَوْهَر الرومي قائد مَعَدَّ الشيعي الواطئ لأرض المغرب فقتله، وذلك فيما ذكر يوم الإثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وجنح ابنه قياطن إلى طاعة الخليفة المستنصر بالله، فقصده حضرته، فاستقبل وَرَحَّبَ به وأكرم منزله وَوُسَّعَ عليه.

[انقطع ها هنا مساق الخبر في شعبان ورمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بخرم واقع [في] أصل الكتاب كالذي تقدّم فيما قبل، والوفاء بتمام خبر حَسَن بن قُتُون ونزوله منقاداً ومجيئه إلى قُرْطُبَة وغير ذلك من إحراز النواحي، ثم باب بقية خبر السنة بعد الإسلام المذكور، بكروره في الثلاثة شهور الرادفة لهما المتممة لخبر السنة المذكورة]^(٢).

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى يوم الأربعاء غرّة شوال منها، فجلس فيه الخليفة المستنصر بالله للتهنئة، على العادة، على السرير بالمجلس الشرقي الموفي على الرياض فوق السطح الممرد العلّي أفخم قعود وأفشاء زينة وأنظمه تعبئة غب اكتمال سروره^(٣) بالظفر بحسن بن قُتُون الحسني ومثواه بين يديه باهشاً^(٤) بالطاعة، واتساق سلطانه ذاك ببلد العُدوة، فحجبه يومه ذلك عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح مولاه، ووصل الصنفين بعدهم طبقات أكابر الخدمة من أصحاب الشرطة العليا والوسطى، ثم أصحاب المخزول والخزان والغراض وغيرهم من أهل الخدمة على مراتبهم، وخرج الإذن فتوصل أول الناس الإخوة فقعد منهم بعد التسليم عن ذات اليمين الشقيق أبو الأصبغ عبد العزيز، وتحته أبو المطرف المغيرة، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسم الأصبغ، وقعد بعدهم بعد التسليم الوزراء، بعد فرجة بينهم، وقعد تحتهم جَفَر بن عليّ الأندلسي، وقام أخوه يَحْيَى بن عليّ في صَفِّ الحُجَّاب أهل الخدمة، وتوصل إثرهم قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إسحاق بن السليم ولمته من الحكام، فقعدوا بعد التسليم حسب منازلهم. وشهد الموسم حَسَن ويَحْيَى ابنا حَنُون

(١) العُباب: كثرة الماء والسَّيل. طام: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

(٢) ما بين المُركَّنين زيادة على أصل الكتاب.

(٣) الغِبُّ من كل شيء: عاقبه وآخره.

(٤) باهشاً: مُسرِعاً، مُرتاحاً، يقال: بَهَشَ له: ارتاح له، وَخَفَ إليه.

الحَسَنِيَّانِ الْمَسْتَنْزِلَانِ مِنَ الْحَجَرِ، فَزَلَا قَبْلَ الْإِذْنِ فِي الْمَجَالِسِ الْجَوْفِيَّةِ بَدَارَ الْجَنْدِ. وَكَانَ تَوَصُّلُهُمَا مَعَ قُرَيْشِ الصَّلْبِ، وَتَوَصَّلَ بِتَوَصُّلِهِمَا عَلِيٌّ وَمَنْصُورٌ وَحَسَنُ بَنُو حَسَنَ بْنِ قُتُوبٍ، وَسَائِرُ بَنِي إِدْرِيسِ الْحَسَنِيِّينَ الْعَدَوِيِّينَ النَّازِعِينَ إِلَى كَنْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَدَرَ فِيهِمْ حَسَنٌ وَيَحْيَى صَدْرَ الْبُهْوِ، وَتَوَصَّلَ لِلتَّسْلِيمِ إِثْرَ أَبْنَاءِ قُرَيْشِ الْمَوَالِي، ثُمَّ قَضَاةُ الْكُورِ وَالْفُقَهَاءُ أَهْلُ الشُّورَى وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَالْعَدُولُ وَبِيَاضُ الْجَنْدِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالطَّنَجِيَّيْنَ، وَمِنْ طَبَقَاتِ الْعَبِيدِ الْخَمْسِيِّينَ وَالصَّيْدِيِّينَ، وَأَكْبَارِ الْخَمْسِ وَفَرَسَانَ الرِّيَاضَةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ طَبَقَاتِ الْحَشَمِ. فَكَانَ مِنْ أَحْفَلِ الْمَشَاهِدِ الْمَعْتَادَةِ، وَأَفْخَمِ الْمَحَافِلِ. وَقَامَتْ خِلَالَهُ الْخُطَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ مَرْتَجِلِينَ مَنْشِدِينَ، فَأَكْثَرُوا وَأَطَالُوا وَأَجَادُوا، فَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ مَا أَنْشَدَ بِهِ الشُّعْرَاءُ يَوْمَئِذٍ قَوْلَ مُقَدِّمِهِمْ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمُهَنْدِ فِي شَعْرِ لَهُ مُطَوَّلٌ مِنْهُ: [مِنِ الْمُتَقَارِبِ]

إِمَامٌ تَخَيَّرَهُ رَحْمَةً	عَلَى الْخَلْقِ أَسْبَغَ أَسْبَالَهَا ^(١)
وَصَفَّاهُ ذُو الْعَرْشِ مِنْ صَفْوَةٍ	تَجَرُّ عَلَى الشَّمْسِ أَذْيَالَهَا ^(٢)
أَحْلَى الثُّبُوءَ أَبَاءَهَا	وَأَعْطَى الْخِلَافَةَ أَنْسَالَهَا ^(٣)
فَحَاطَ الرِّعِيَّةَ مُسْتَنْصِراً	بِذِي الْعَرْشِ يُحَرِّزُ أَهْمَالَهَا
وَأَنْفَقَ أَمْوَالَهُ جَاهِداً	عَلَيْهَا يُثْمِرُ أَمْوَالَهَا ^(٤)
فَأَذْهَبَ إِحْسَانُهُ بُؤْسَهَا	وَأَكْثَرَ نِعْمَاهُ أَخْلَالَهَا ^(٥)
تَوَلَّى الْخِلَافَةَ فِي عَضْرِهَا	فَأَخْسَنَ تَفَوُّاهُ إِكْمَالَهَا
وَكَانَتْ دِيَانَتُهُ زِينَهَا	وَأَيَّامُهُ الزُّهْرُ أَشْكَالَهَا
فَلَوْ رُفِعَتْ خَطَّةٌ فَوْقَهَا	لَمَا كَانَ يَضْلُجُ إِلَّا لَهَا
وَمَا صِفَةٌ حَسَنَتْ فِي الْهُدَى	مِنَ الذُّكْرِ إِلَّا وَقَدْ نَالَهَا
فَهَيَّاهُ اللَّهُ أَعْيَادَهُ	وَبَلَّغَهُ اللَّهُ أَمْثَالَهَا
وَضَاعَفَ مَا طَابَ مِنْ صَوْمِهِ	وَتَحْمِيلِهِ النَّفْسَ أَخْمَالَهَا

(١) أَسْبَغَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ سَابِغاً: تَاماً، وَأَسْبَغَ الثَّوبَ: وَسَّعَهُ، وَأَسْبَغَ الرُّضُوءَ: وَفَى كُلَّ غُضُوٍّ حَقَّهُ فِي الْغَسْلِ. الْأَسْبَالُ: يُقَالُ: أَسْبَالُ الْكَأْسِ: حُرُوفُهَا، وَأَسْبَالُ الدَّلْوِ: شَفَاهُهَا، وَأَسْبَالُ الثَّوبِ: أَطْرَافُهُ.

(٢) تَجَرُّ أَذْيَالَهَا: تَنِيَهُ وَتَبَخَّرَ.

(٣) الْأَنْسَالُ: جَمْعُ النَّسْلِ: الْأَبْنَاءُ، الذَّرِيَّةُ.

(٤) يُثْمِرُ أَمْوَالَهَا: يُنْمِيهَا.

(٥) الْأَخْلَالُ: الْأَصْدِقَاءُ، الْمَفْرَدُ: جُلٌّ.

وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ إِنْْعَامِهِ وَتَبْلِيغَهُ النَّفْسَ آمَالَهَا^(١)
وَأَذْلَالَهُ عِزَّ أَعْدَائِهِ وَقَدْ جَعَلَ الْقَهْرَ أَغْلَالَهَا^(٢)
أَقَامَ قِيَامَتَهَا عَاجِلًا فَقَدْ عَايَنَتَهَا وَأَهْوَالَهَا
مَضَى جُنْدُهُ نَحْوَهَا عَازِيًا فَجَارَ الْمُلُوكَ وَأَقْيَالَهَا^(٣)
وَمَلَّكَهُ رَبُّهُ أَرْضَهَا وَمَا حَمَلَتْهُ وَأَثْقَالَهَا
وَقَتَّلَ آسَادَهُ أَشَدَّهَا وَأَشْبَالَهُ الْغُلْبُ أَشْبَالَهَا^(٤)
وَلَمَّا سَرَى جُنْدُهُ نَحْوَهَا تَزَلَّزَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَصَارَ لَهُ أَفْقُهَا مِزْجَالًا وَقَطَّعَ رَبُّكَ أَوْصَالَهَا^(٥)
وَأَذْهَبَ فِي بَحْرِهَا ثَمْدَهَا وَعَرَّقَ فِي اللَّجِّ أَوْشَالَهَا^(٦)
وَأَوْرَدَهَا دَارَهُ خُضْعًا تُقِرُّ وَتُظْهِرُ إِجْلَالَهَا
وَلَمَّا تَمَلَّكَهَا ضُلَّالًا عَفَا فَهَدَى اللَّهُ ضَلَالَهَا
وَعَفَى الْإِسَاءَاتِ إِحْسَانَهُ وَغَطَّتْ مَعَالِيَهُ أفعالَهَا^(٧)
وَأَبَدَتْ سَجَايَاهُ إِنْْعَامَهَا وَصَابَتْ أَيْدِيَهُ إِفْضَالَهَا^(٨)
وَهَلْ كَانَ يَحْسُنُ فِي فَضْلِهِ الْأَعْمُ يُقَارِضُ جُهَالَهَا
وَكَمْ مَرَّةً قَدْ عَفَا قَادِرًا فَالْبَسَهُ اللَّهُ سِرْبَالَهَا
فَلَا زَالَ يَفْقَهُرُ أَعْدَاءَهُ وَيُفْنِي اللَّيَالِي وَأَقْيَالَهَا

ثم قام بعده رسيله مُحَمَّد بن شُخَيْص منشداً شعراً له مطولاً أنحى فيه على بني
حَسَن الموقومين بقهر الخليفة لهم، فأسرف في ذلك، وأول شعره: [من البسيط]
أَتَمَّ شُعْبَانُ مَا أَبْدَى [به] رَجَبُ مِنْ قَبْلِ مَا كَانَتْ الْأَمَالُ تُزْتَقَبُ

(١) أوزع فلاناً الشيء: أولعه به، أو أغراه.

(٢) الأغلال: القيود، المفرد: غُلٌّ.

(٣) الأقيال: الملوك، المفرد: قَيْلٌ.

(٤) الغلب: جمع الأغلب: ذو العنق الغليظ.

(٥) المِزْجَلُ: القِدْرُ من الطين المطبوخ، أو النحاس. الأوصال: جمع الوُضَل: المِفْضَل أو مجتمع العظام.

(٦) الثَّمْدُ: الماء القليل الذي ليس له مَدَد. الأوشال: جمع الوُشَل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة، ولا يَنْتَصِل قطره.

(٧) عَفَى الشيء: مَحَاهُ وأزال أثره.

(٨) السَّجَايَا: الطُّبَاع، الخِصَال.

وَزَادَنَا أَنْ شَهَرَ الصَّوْمِ قَابِلَنَا
فِي عَامِ غَضْرَاءَ لَقَّتْنَا طَوَالِعَهُ
لِلَّهِ صُنْعَ تَلْقَانَا السُّرُورُ بِهِ
فَاخْتَالَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَجَبٍ بِهِ وَأَرَى
وَأَشْرَقَ الْأَفَقُ لِمَا عَمَّهُ جَدَلٌ
فَالْوَزْدُ يَحْكِي خُدُودًا رَاقَهَا خَجَلٌ
لَمَّا رَأَى الْحَائِنُ الْمَخْذُولُ مَا كَشَفَتْ
وَأَنْ عَزَّوْ أَمِيرِ اللَّهِ لَا حِفَّةُ
وَأَنْ عَزَمَتُهُ حَتْمٌ وَعَظْبَتُهُ
وَأَنَّهُ لَوَرَمَاءُ الْجِدِّ فِي هَرَبٍ
وَكَيْفَ يَطْمَعُ فِي مَنْجَى يُفَوِّتُهُ
رَجَا الْفِرَارَ فَأَنْبَاءُ الرَّجَاءِ لَهُ
وَأَيْنَ يُوجَدُ عَنْ ظِلِّ السَّمَاءِ حِمَى
إِعْطَاؤُهُ الْحُكْمَ مَوْلَانَا وَقَى دَمَهُ
نَجَا بِإِمْكَانِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَمَقٌ

بِخَيْرِ عِيدَيْنِ مِنْهُ: الْبَذْرُ وَالْعَقَبُ
نَضْرًا وَخِضْبًا فَمَاتَ النَّكْتُ وَالْجَدْبُ^(١)
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُتْلَقَى الْبُرْدُ وَالْكُتْبُ
أَنْ لَيْسَ فِي عُجْبٍ مُخْتَالٍ بِهِ عَجَبٌ
وَتَوَزَّرَ الْأَرْضَ لِمَا هَزَّهُ طَرْبُ^(٢)
وَالْأَقْحَوَانُ تُغَوَّرًا زَانَهَا شَنْبُ^(٣)
لِعَيْنِهِ مِنْ دَوَاعِي حَيْنِهِ الْعَقَبُ^(٤)
مَنْ لَيْسَ تَلَحُّفُهُ خَيْلٌ وَلَا تُجَبُ^(٥)
حَتْفٌ، وَفِي اللَّهِ مِنْهُ الْحَتْفُ وَالْعَضْبُ^(٦)
بِالصَّيْنِ لَمْ يُنْجِهِ مِنْ سَيْفِهِ الْهَرَبُ^(٧)
مَنْ جَدَّ لِلَّهِ فِي آثَارِهِ الطَّلَبُ^(٨)
أَنَّ الْقَضَاءَ لَهُ مِنْ حَوْلِهِ رَقَبُ^(٩)
مِنْ يَوْمِ رَوَقٍ مِنْ آفَاقِهَا الطَّنْبُ^(١٠)
وَكُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ يُشْفَى بِهِ الْكَلْبُ^(١١)
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ الْمَوْتِ مُضْطَرَبُ^(١٢)

(١) الغضراء: الأرض ذات الطين اللزج الأخضر الحُرْ، ويقال: هم في غضراء من العيش: في خصب وخير.

(٢) الجدَل: السرور. الطَرْبُ: خِفَّةٌ وَهْزَةٌ تُثِيرُ النَّفْسَ لِفَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ ارْتِيَاكِ، وَأَغْلَبَ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْارْتِيَاكِ.

(٣) الشَّنْبُ: جمال الثَّغْرِ، وصفاء الأستان.

(٤) الحائِن: الهالك، أَرِ الضَّالُّ. الْعَقَبُ: الدَّوْلُ، أَيْ الْمَرْءُ تَلُو الْمَرْءِ.

(٥) التُّجَبُ: جمع النَجِيب: الفاضل على مثله النقيس في نوعه.

(٦) الْعَزْمَةُ: الصَّبْرُ وَالْجِدُّ وَالْقُوَّةُ.

(٧) الْجِدُّ: الاجتهاد في العمل ونحوه.

(٨) يُفَوِّتُ الشَّيْءَ: لَا يُدْرِكُهُ.

(٩) رَقَبُ: مَنْ رَقَبَ الشَّيْءَ: لَاحِظُهُ، أَوْ حَرَسَهُ وَحَفِظَهُ، أَوْ رَصَدَهُ.

(١٠) رَوَقٌ: أَرْحَى رَوَاقًا. الطَّنْبُ: حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ الْخَبَاءُ وَالسَّرَادِقُ وَنَحْوُهُمَا.

(١١) الْكَلْبُ: مَرَضٌ مُعْدٍ، يَنْتَقِلُ فَيُورِسُهُ فِي اللَّعَابِ بِالْعَضِّ مِنَ الْكِلَابِ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: دَقَعْتُ عَنْكَ كَلْبَ فُلَانٍ: أَذَاهُ وَشَرُّهُ.

(١٢) الرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ أَوْ الْحَيَاةِ.

تَعَجَّلَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا فَوَاقِرَهُ فَلَا حَيَاةَ وَلَا أَهْلَ وَلَا نَسَبَ^(١)
وخرج إلى ذكر حَسَنٍ وآله المقهورين فقال وأفحش:

أَشَابَةُ تَدْعِي فِي هَاشِمٍ نَسَباً وَمَا يَصِحُّ لَهَا فِي مَغْشَرٍ نَسَبُ^(٢)
عُمِّيَ الْبَصَائِرُ لَمْ يُسْلِسْ مَعَاطِفَهَا إِلَى مَسَاعِي الثَّقَى دِينَ وَلَا حَسَبُ^(٣)
وَزَادَهَا فِي عَمَاهَا أَنْ أَوْلَهَا أَلْقَى الْعَصَا حَيْثُ لَا عِلْمَ وَلَا أَدَبُ^(٤)
نَشَتْ مَعَ الْوَحْشِ فِي دَهْمَاءَ لَيْسَ لَهَا فِي غَيْرِ حَسَوِ الْحُسَى رَأْيٍ وَلَا أَرْبُ^(٥)
وَلَوْ عَدَتْ مِنْ قُرَيْشٍ فِي ذَوَائِبِهَا لَا وَجَبَتْ نَفْيُهَا الْأَحْدَاثُ وَالرَّيْبُ^(٦)
وَكُلُّ مُلْتَهَبٍ يُطْفَأُ وَشَرُّهُمْ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ يُطْفَأُ ثُمَّ يَلْتَهَبُ^(٧)
إِذَا عَدَا حَسَنٌ فِي الْآلِ مِنْ حَسَنِ رَأْساً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّمَا الذَّنْبُ^(٨)
مَا صَحَّتِ الْبُرْدُ وَالْأَقْلَامُ مِنْ مَلِكٍ أَرْدَاهُ مَذْ صَحَّتِ الْأَرْمَاحُ وَالْقَضْبُ^(٩)
وَلَا خَلَّتْ مِنْ مَعَانِي الْجِدِّ قُدْرَتُهُ وَرَبَّمَا شَابَ جَدَّ الْقَادِرِ اللَّعْبُ^(١٠)
وَلَا أُدِيرْتُ رَحَى حَرْبٍ بِسَاحَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا مِنْ رَأْيِهِ قُطْبُ^(١١)
رَأَيْتُ هِدَاهُ إِلَى التَّوْفِيقِ مُودَعُهُ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ وَالْقَوْلُ مُنْشَعِبُ^(١٢)
رَأَيْتُ إِذَا وَرَدَ الْقَوَادِقَامُ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مَا لَا يَقُومُ الْجَحْفَلُ اللَّجْبُ^(١٣)
أَلْقَاهُ فِي نَفْتِنِ الْمَهْوَى وَأَمْهَلُهُ حَتَّى أُتِيحَتْ [لَهُ] مِنْ نَفْسِهِ التَّكْبُ^(١٤)

(١) الفَوَاقِرُ: الدواهي، الواحدة: فاقرة.

(٢) الْأَشَابَةُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ النَّاسِ.

(٣) أَسْلَسَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ سِلْسَلاً: سَهْلاً، لَيْتَناً.

(٤) أَلْقَى الْعَصَا: نَزَلَ وَأَقَامَ.

(٥) نَشَتْ: نَشَأَتْ. الدَّهْمَاءُ: عَامَةُ النَّاسِ وَسَوَادُهُمْ. الْحَسَوُ: تَنَاوَلَ الْمَاءَ وَنَحَوَهُ جَرَعَهُ بَعْدَ جَرَعَةٍ.

الْحُسَى: جَمْعُ الْحُسْوَةِ: مِلْءُ الْفَمِ مِمَّا يُحْسَى.

(٦) الرَّيْبُ: الشُّكُوكُ وَالظُّنُونُ وَالتَّهْمُ، الْوَاحِدَةُ: رَيْبَةٌ.

(٧) لَيْتَ شِعْرِي: لَيْتَنِي أَعْلَمَ.

(٨) الْقَضْبُ: السِّيفُ الْقَاطِعَةُ.

(٩) الرَّحَى (فِي الْأَصْلِ): الْأَدَاةُ أَوْ الْآلَةُ الَّتِي يُطْحَنُ بِهَا، اسْتَعَارَهَا لِلْحَرْبِ، لِأَنَّهَا تَطْحَنُ النَّاسَ

بَوِيَلَاتِهَا.

(١٠) مُنْشَعِبٌ: مُتَشَعِّبٌ، مُتَفَرِّقٌ.

(١١) الْجَحْفَلُ اللَّجْبُ: الْجَيْشُ الْكَبِيرُ، ذُو الصَّوْتِ وَالْجَلْبَةِ.

(١٢) التُّفْنَفُ: الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ.

وَاللَّهُ يُمْلِي لِقَوْمٍ كَنِي يَزِيدُهُمْ
وَأَفَى الْجَزِيرَةَ فَالْتَفَتْ بِمَوْكِبِهِ
وَكُلَّمَا جَابَ ظَهَرَ الْأَرْضِ قَابِلَهُ
حَتَّى إِذَا مَا دَنَا مِنْ حَوْزٍ بَيَضَتْنَا
لَأَقَى الْجُمُوعَ الَّتِي خِيلَتْ بِوَطْأَتِهَا
جَاءَتْ بِأَجْمَعِهَا لِلَّهِ شَاكِرَةً
أَشْيَاعٌ مُسْتَنْصِرٌ بِاللَّهِ نُصْرَتِهَا
مَا صَدَّهَا عَنْ تَلْقَئِهِ بِكُلِّ أَدَى
مَضَى يُذَكِّرُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ جَزَعٍ
يَرْجُو الْحَيَاةَ وَيَخْشَى الْمَوْتَ فَهُوَ عَلَى
حَتَّى اجْتَلَى غُرَّةَ السَّعْدِ الَّتِي شَفَعَتْ
وَمَا أَرَاهُ رَأَى الْمَهْدِيِّ إِذْ حَاجَبَتْ
وَلَوْ حَنَاها عَلَى الشَّيْعِيِّ لِأَنكَشَفَتْ
وَلَا نَقُصْتُ وَمَضَتْ وَالِدَيْنِ مُهْتَضِمٌ
فَدَقُّنْتُ لِلْحَائِنِ الْمُذْكَى بِنَزْوَتِهِ

مِنْ بَاسِهِ وَلِهَذَا أَرْخِيَ اللَّبَبُ^(١)
كَتَائِبَ تَفْشَعِرُ الْأَرْضَ إِنْ غَضِبُوا^(٢)
بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ مِنْهَا الْوَهْدُ وَالْحَدَبُ^(٣)
وَالنَّفْسُ تَخْفُقُ وَالْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ^(٤)
شُمُّ الرَّبِّ كَالدَّبَا مِنْ حَوْلِهِ تَثْبُ^(٥)
وَلِلْهَدَى نَخْوَةٌ تَتَرَى وَتَنْسَرِبُ^(٦)
صِدْقُ الْبَصَائِرِ لَا التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ^(٧)
يُوفِي عَلَى الْحَتْفِ إِلَّا الطَّوْعُ وَالرَّهْبُ^(٨)
رُكَّابٌ بِحَرِّ دَنَا مِنْ سُفْنِهَا الْعَطْبُ^(٩)
حَالِينَ ضِدِّينَ: مَسْرُورٌ وَمُكْتَتِبٌ
لَهُ وَلِلْكَوْثِ فِي اللَّقَاءِ مَا رَكَبُوا
عَيْنِيهِ عَنْ وَجْهِهِ مِنْ ثَوْرِهِ الْحُجْبُ
وَسَيْفُهُ مِنْ دَمِ الْأَوْدَاجِ مُخْتَضِبٌ^(١٠)
أَهْدَى لَهُ كَرْبًا تُهْدَى بِهِ الْكَرْبُ^(١١)
نَارًا أَعْدَلَهَا مِنْ رُوحِهِ حَطْبُ

(١) يُمْلِي اللَّهُ لِلنَّاسِ: يُنْهَلِمُهُمْ، وَيُطَوِّلُ لَهُمْ أَعْمَارَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

اللَّبَبُ: الْبَال، يُقَالُ: إِنَّهُ لَرَضِي اللَّبَبِ، وَفُلَانٌ فِي لَبَبٍ رَضِيٍّ: فِي سَعَةِ وَخَصْبٍ وَأَمْنٍ.

(٢) وَأَفَى الْمَكَانَ: أَنَاهُ أَوْ نَزَلَ فِيهِ، أَوْ قَدِمَ إِلَيْهِ. تَفْشَعِرُ: تَرْجَفُ وَتَضْطَرِبُ.

(٣) جَابَ: طَافَ، تَجَوَّلَ. الرَّجُلُ: الْمُشَاةُ مِنَ الْجَيْشِ. الْوَهْدُ: الْمَتَخَفُضُ مِنَ الْأَرْضِ. الْحَدَبُ: مَا ارْتَفَعَ وَغَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ.

(٤) الْحَوْزُ: الْمَلِكُ، يُقَالُ: حَازَ الشَّيْءَ حَوْزًا: ضَمَّهُ وَامْتَلَكَهُ. بَيْضَةُ الْقَوْمِ: حَوْزَتُهُمْ وَجِمَاهُمْ، وَبَيْضَةُ الدَّارِ: وَسْطُهَا.

(٥) الشُّمُّ: الْمَرْتَفَعَةُ.

(٦) تَتَرَى: مُتَابَعَةٌ. تَنْسَرِبُ تَذْهَبُ، تَمْضِي، تَجْرِي.

(٧) التَّمْوِيهِ: الْإِخْفَاءُ وَالْإِحْتِيَالُ وَالْمَخَادَعَةُ.

(٨) الْعَطْبُ: الْهَلَاكُ أَوْ الْفَسَادُ.

(٩) حَنَاها: أَمَالَها، عَطَفَها. الْأَوْدَاجُ: جَمْعُ الْوَدَجِ: عِزْقٌ فِي الْعَنْقِ.

(١٠) مُهْتَضِمٌ: مُتَقَصِّصٌ.

أَكْثَرَتْ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ مِنْ شَعْبٍ يَقُولُ فِيهَا لَطَفَ اللَّهُ بِهِ بِمَنَّهُ:

يا داعيَ اللَّهِ في الصُّنْعِ الَّذِي صَنَعْتَ
ما زِلْتُ مُذْ أَوْقَدَ الْهَيْجَا عَلَى ثِقَةٍ
أَسْرَتْهُ بَغْدَ سَلْبِ الْمُلْكِ مِنْ يَدِهِ
لَكَادَ فَضْلُكَ يُنْسِي مَا وَهَبْتَ لَهُ
وَالثَّ رِجَالُ الْمَوَالِي فِي حِمَايَتِهَا
وَمَا وَثَّتْ عَزْمَةُ الْجَنْدِ الَّذِينَ إِذَا
وَقَدْ صَفَا لَكَ مُلْكُ الْعَرَبِ أَجْمَعُهُ
فَمَا تَوَقَّفُ جُنْدِ النَّصْرِ عَنْ جِهَةٍ
تَقْلُبُ الْحَالَ بِالْمَخْذُولِ يُخْبِرُنَا
وَقَدْ أَبَحْتَ الْجَمَى مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِهِ
إِذَا الْعَمُودُ مِنَ الْفُسْطَاطِ صَرَعَهُ
لَا شَيْءَ فِي مَذْهَبِ [الإقبال] مُفْتَرِنُ
فَزَادَكَ اللَّهُ عِزًّا تَسْتَدِيمُ بِهِ
فَإِنَّمَا أَنْتَ لِلْإِسْلَامِ مُؤَهَّبَةٌ

فِي عَامِ تَارِيخِهِ الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ
يَدْفَعُ مَا تُوجِبُ الْأَقْدَارُ لَا الشُّهُبُ
فَصَارَ فِي قَبْضِكَ الْمَسْلُوبُ وَالسَّلْبُ^(٢)
مِنْ رُوحِهِ وَهُوَ مِمَّا لَيْسَ يُتَّهَبُ^(٣)
وَأَعْرَبْتَ عَنْ صَرِيحِ الطَّاعَةِ الْعَرَبُ^(٤)
مَا صَاحَ بِاسْمِكَ فِيهِمْ غَالِبٌ غَلَبُوا^(٥)
وَدَانَ مُنْتَرِخٌ مِنْهُ وَمُفْتَرَبُ^(٦)
ضِيَمَتْ بِهَا مِضْرُ وَاجْتُنَّتْ بِهَا حَلَبُ^(٧)
أَنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِ الرِّفْضِ مُنْقَلِبُ^(٨)
وَيُؤْكَلُ الْبُسْرُ حَتَّى يَنْضِجَ الرُّطْبُ^(٩)
الْأَعْضَادُ لَمْ تَثْبِتِ الْأَوْتَادُ وَالطَّنْبُ^(١٠)
بِوَجْهِكَ الطَّلِقِ إِلَّا عَامُنَا الْخَصْبُ
تُعْمَاهُ مَا دَامَتِ الْأَعْمَارُ وَالْحَقَبُ^(١١)
مِنْ الْمُهْنَى لِمَا يُعْطَى وَمَا يَهَبُ

(١) الشغب: تهيج الشر والفتنة.

(٢) السلب: ما يسلب: ما يؤخذ من الإنسان قهراً، وأكثر ما يكون ذلك في الحروب.

(٣) يتَّهَب: يوهب: يعطى الشيء بلا عوض.

(٤) والى فلان فلاناً: أحبه، أو نصره، أو حابه. الصريح: الواضح، الخالص.

(٥) وَثَّتْ: فترت، ضعفت، أعييت. العزيمة: القوة والشدة والجِدُّ والصَّبْرُ.

(٦) الْمُتَنَرِّخُ: الْمُتَبَعِدُ.

(٧) ضِيَمَتْ: ظَلِمَتْ، أَهْيِنَتْ. اجْتُنَّتْ: اقْطِيعَتْ، اقْتُلِعَتْ.

(٨) أهل الرِّفْضِ: فئة من المسلمين كانت تجيز الطعن في الشيخين: أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما.

(٩) الْبُسْرُ: ثمر النخل قبل أن يُرْطَب. الرُّطْبُ: نضيج البُسْرِ قبل أن يصير تمراً، وذلك إذا لان وحلا، أو ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير تمراً.

(١٠) الْفُسْطَاطُ: بيت يتخذ من الشعر. الطَّنْبُ: حبل يُشَدُّ به الخباء ونحوه.

(١١) الْحَقَبُ: جمع الحقبة: المدة من الزمن.

فَأَصَتْ عَلَى جُنْدِكَ الْأَرْزَاقُ وَأَزْتَفَعَتْ
وَعَمَّ مِنْ نَيْلِكَ الصَّافِي صَوَائِقُنَا
نَضْرُ عَزِيزٌ وَعَامٌ مُخْصِبٌ رَغْدٌ
وَأَنَّ مَفْرِقَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا
وَمَا يُؤْخِرُ عَنْهَا مَنْ يَكُونُ لَهُ
مَرْوَانُ جَدُّ وَمَهْدِيُّ الْوَلَاةِ أَبُ^(٥)
بِكُلِّ قُودَاكَ الْأَقْدَارُ وَالرُّتَبُ^(١)
غَيْثٌ إِذَا قِيلَ سَكَبُ السَّيْبِ يَنْسَكِبُ^(٢)
لِلْفِطْرِ تُذْعَى بِهِ أَيَامُكَ الْقُشْبُ^(٣)
أَبِي الْوَلِيدِ بَتَاجِ الْمُلْكِ مُعْتَصِبُ^(٤)

وقد قام عبد العزيز بن حُسَيْنِ الْقُرَوِيِّ في ذكر حَسَنِ بْنِ قُتُونٍ في شعر طويل

منه : [من الطويل]

وَكَمْ رَامَ مِنْ غَاوٍ خِلَافاً لِأَمْرِهِ
وَقَدْ كَاذَهُ مِنْ آلِ إِدْرِيسَ بَائِسٌ
تَوَهَّمُ أَنَّ الْبَحْرَ يُنْجِيهِ مَانِعاً
فَحَامَتْ عِقَابُ الْمَوْتِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ
فَأَصْبَحَ مِنْ تَحْتِ الْحَضِيضِ وَلِلرَّدَى
أَتَى خَاضِعاً يَرْجُو الْإِمَامَ وَعَفْوَهُ
وَقَدْ سَدَّ عَنْهُ خَوْفُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ
فَمَا سَاعَ مِنْهُ فِي الْحَيَازِمِ رِيْقُ^(١٢)
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الرُّوحُ وَهُوَ زُهْوقُ^(٦)
سَفِيهِ دَعَاهُ لِلْجَهَالَةِ مُوقُ^(٧)
وَدَارَ مَدَاهَا فِي الْمَجْرَةِ نَيْقُ^(٨)
بِقَادِمَتِي تُكَلِّ عَلَيْهِ تَحِيْقُ^(٩)
عَلَيْهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقُ^(١٠)
وَسَيْفُ مَنَايَاهُ عَلَيْهِ ذَلِيْقُ^(١١)

(١) الأقدار: المنازل، المراتب، الدرجات.

(٢) السَّيْبُ: العطاء، أو المعروف، أو النافلة.

(٣) الْقُشْبُ: جمع القشيب: الجديد، أو التنظيف، يقال: للثوب، والسيف، واليوم، وغير ذلك.

(٤) مُعْتَصِبٌ: مَلْفُوفٌ، مَشْدُودٌ.

(٥) مروان: أي مروان بن الحكم الأموي. ومهديُّ الولاة: ممدوحه الخليفة المستنصر بالله.

(٦) رام: ابتغى، طلب، أراد. غَاوٍ: ضَالٌّ. زُهْوقٌ: خَارِجٌ، يقال: زهقت نفسه زُهْوقاً: خرجت، والأصل في الزهوق: الخروج بصعوبة.

(٧) كاد فلاناً: خَدَعَهُ وَمَكَّرَ بِهِ. الْمَوْقُ: الْحُمُقُ فِي غِبَاوَةٍ.

(٨) الْمَجْرَةُ: مجموعة كبيرة من النجوم تَرَكُزَتْ حَتَّى تَرَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ كَوْشَاحٌ أبيض. النَّيْقُ: الطويل من الجبال، أو أرفع موضع في الجبل، ومنه يقال: «هو كالأنوق في النَّيْقِ»: أي هو مُتَنَبِّحٌ لَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ.

(٩) التُّكُلُ: فقد الحبيب أو الزوج أو الابن. تَحِيْقُ: تَحِيْطُ.

(١٠) الْحَضِيضُ: الموضع المنخفض. الرَّدَى: الموت، الهلاك.

(١١) ذَلِيْقُ: حَادٌّ، قَاطِعٌ.

(١٢) الْحَيَازِمُ: جمع الحيزوم: الصدر أو وسطه.

فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَضَلُهُ
وَلَا قَتَسَمَتْ أَشْلَاءُ الطَّيْرِ وَازْتَقَى
أَنَا الْمُنْذِرُ الْمُبْدِي [...] لِكُلِّ مَنْ
لَقَدْ طَلَعْتُ بِالْغَرْبِ شَمْسُ خِلَافَةٍ
فَتِلْكَ الشَّامُ اسْتَشْرَفْتُ لِيُورِدَهَا
لِيَجْلُو عَنْهَا ظُلْمَةُ الْكُفْرِ بِالْهُدَى
أَطْلُتُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَنْ بِهَا
وَكَمْ بِبِلَادِ الْقَيْرَوَانِ سَفَاهَةٌ
فِيَا خَيْرَ مَنْ صَلَّى وَصَامَ لِرَبِّهِ
لِيَهْنِكَ عِيدُ الْفَطْرِ جَذْلَانِ نَاعِمًا
وخرج إلى المديح فأطال.

وقام عبد القدوس بن عبد الوهاب في التهنة بهذا العيد، والتعريض^(١٠) على
ذكر حسن بن قثون الحسني، والفتح عليه بقصيدة طويلة أولها: [من البسيط]

يَا عِصْمَةَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَحَافِظَهَا
قَرَّتْ عِيُونُ بَنِي الْإِسْلَامِ إِذْ سَخِجَتْ
أَمْلَيْتُ لِلْحَائِنِ الْمَخْذُولِ مُدَّتُهُ
وَوَاحِدًا فِي التَّقَى وَالْمَجْدِ وَالْكَرَمِ^(١١)
بَوَقِعَ بِأَسْكَ عَيْنًا جَاوِدِ النِّعَمِ^(١٢)
حَتَّى طَغَى فَتَلْقَى الْخِزْيَ مِنْ أُمِّ^(١٣)

(١) حُزْتُ: قُطِعْتُ. الْحَشَا: مَا دُونَ الْحِجَابِ مِمَّا يَلِي الْبَطْنَ كُلَّهُ مِنَ الْكَبِدِ وَالطَّحَالِ وَالْكَرَشِ وَمَا
تَبَعَ ذَلِكَ، وَالْحَشَا: الْخَصْرُ.

(٢) الْأَشْلَاءُ: الْأَعْضَاءُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالْبَلَى. الْجَذْعُ: سَاقُ الشَّجَرَةِ. الْأَمَقُّ وَالسَّحُوقُ: الطَّوِيلُ.

(٣) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ نَقْصٌ فِي الْأَصْلِ.

(٤) اسْتَشْرَفْتُ: انْتَصَبْتُ وَعَلَّتْ.

(٥) الشَّفِيقُ: الْمُشْفِقُ: الْحَذِرُ، الْخَائِفُ.

(٦) الْعَرِيقُ: الْأَصِيلُ.

(٧) السَّفَاهَةُ: الْخِفَةُ وَالْجَهْلُ وَالطُّشُ. الْخَرِيقُ: الرِّيحُ الْبَارِدَةُ الشَّدِيدَةُ الْهَبُوبُ.

(٨) السُّمُوقُ: الْكَثِيرُ الارتفاعِ وَالْعُلُوُّ، يُقَالُ: سَمَقَ الشَّجَرُ وَغَيْرُهُ سَمَقًا وَسُمُوقًا: ارْتَفَعَ وَعَلَا وَطَالَ.

(٩) جَذْلَانِ: فَرَحَانِ، يُقَالُ: جَذَلَ الرَّجُلُ جَذْلًا: فَرِحَ، فَهُوَ جَذِلٌ، وَجَذْلَانُ.

(١٠) عَرَّجَ عَلَى الشَّيْءِ: انْعَطَفَ وَمَالَ.

(١١) الْعِصْمَةُ: يُقَالُ: عَصَمَ اللَّهُ فَلَانًا مِنَ الشَّرِّ أَوْ الْفِتْنَةِ عِصْمَةً: حَفَظَهُ وَمَنَعَهُ وَوَقَاهُ.

(١٢) قَرَّتْ الْعَيْنُ: اطمأنَّتْ وَهَدَأَتْ وَسَكَنَتْ. جَاوِدِ النِّعَمَةِ: الْكَافِرُ بِهَا، الْمُتَكَبِّرُ لَهَا.

(١٣) أَمْلَيْتُ مُدَّتُهُ: أَهْمَلْتُهُ، وَطَوَّلْتُ لَهُ. طَغَى: تَجَاوَزَ الْحَدَّ. مِنْ أُمِّ: مِنْ كُتُبٍ، مِنْ قُرْبٍ.

أَنْمَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَيْقَظَهُ
رَمَيْتُهُ بِأَسْوَدِ الْعَابِ مُضْلِتَةً
وَلَّى فِرَاراً بِنَفْسٍ غَيْرِ أَمْنَةٍ
فَلَاذَ بِالْحَجَرِ الْمَهْجُورِ مُنْجِجِراً
فَلَوْ يَجُودُ السَّمَاءُ ظِلٌّ مُعْتَلِياً
عَجِبْتُ مَنْ ضُبِعَ رَامَتْ عَلَى غَرْرِ
إِمَامٍ عَذْلٍ بَتَاجِ الْمُلْكِ مَفْرِقُهُ
إِذَا تَجَلَّى حَسِبْتَ الْبَذَرَ سُنَّتَهُ
أَهْلُ الثَّقَى وَالثَّهَى يَمْضِي عَلَى سَنَنِ
مَا زَالَ لِلْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ مُحْتَرِماً
لَوْ لَا أَدْمَةٌ قَرْبَى مِنْهُ تَخَفَّظْهَا
لَغَادَرَتْهُ اللَّيَالِي شِلْوً حَادِثَهَا
يَا آلَ إِدْرِيسَ قَدْ أَمَسَتْ مَنَازِلَكُمْ

مِنْ الْخِلَافِ بَعَزَمَ مِنْكَ لَمْ يَنْمِ
بِيضَ السُّيُوفِ فَلَمْ يَقْعُدْ وَلَمْ يَقُمْ^(١)
قَدْ وَكَلْتُ بِفِجْجَاجِ الْأَرْضِ وَالْأَكْمِ^(٢)
لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ رَأَى الْعَيْنِ فِي الْكَرَمِ^(٣)
لَمْ يَنْجُ مِنْهُ وَلَوْ أَضْحَى مِنَ الرَّخِمِ^(٤)
مِنْهَا اغْتِرَاضَ هَـصُورِ سَاكِنِ الْأَجَمِ^(٥)
مُعْصَبٌ غَيْرَ عَزْهَاءٍ وَلَا بَرَمِ^(٦)
يَجْلُو سَنَا ثَوْرِهِ مِنْ سُذْفَةِ الظُّلَمِ^(٧)
مِنْ الْهَدْيِ طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ^(٨)
وَلِلْهَدْيِ وَذَوِيهِ غَيْرَ مُحْتَرَمِ^(٩)
وَمَا يَمُتُ بِهِ مَنْ مَاتَ الرِّحْمِ^(١٠)
صَرِيحٌ حَتَفَ بِحَدِّ الصَّارِمِ الْخِذَمِ^(١١)
مَثَلُ اسْمِهِ بِاخْتِلَافِ الرِّيحِ وَالْدِّيمِ^(١٢)

- (١) مُضْلِتَةٌ: مَنْ أَصْلَتِ السَّيْفُ: جَرَدَهُ مِنْ غَمَدِهِ.
(٢) الْفِجْجَاجُ: جَمْعُ الْفَجِّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ الْبَعِيدُ.
(٣) لَازِدٌ: لَجَأٌ وَاعْتَصَمَ. مُنْجِجِراً: يُقَالُ: انْجَحَرَ فُلَانٌ: دَخَلَ الْجُحْرَ: حَفْرَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا الْهُوَامُ وَصَغَارُ الْحَيَوَانِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْحِصْنُ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَبْقِ الْخَارِجُ عَنِ الْجَمَاعَةِ.
(٤) الرَّخِمُ: طَائِرٌ غَزِيرُ الرِّيشِ، أَبْيَضُ اللَّوْنِ مُبْتَعٌ بِسَوَادٍ، لَهُ مَنَارٌ طَوِيلٌ قَلِيلُ الثَّقُوسِ.
(٥) الْعَزْزُ: الْعَفْلَةُ وَقِلَّةُ الْفُطْنَةِ. الْهَـصُورُ: الْأَسَدُ. الْأَجَمُ: جَمْعُ الْأَجَمَةِ: الشَّجَرُ الْكَثِيفُ الْمُلْتَفُّ.
(٦) مُعْصَبٌ: يُقَالُ: اعْتَصَبَ بِالتَّاجِ، وَتَعَصَّبَ بِهِ: وَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَتَعَصَّبَ الْعِمَامَةُ: لَقَّهَا وَلَوَاهَا عَلَى رَأْسِهِ. الْعَزْهَاءُ: اللَّثِيمُ، أَوْ الْعَازِفُ عَنِ اللَّهْوِ وَالنِّسَاءِ.
(٧) تَجَلَّى: ظَهَرَ. السُّذْفَةُ: الظُّلْمَةُ، أَوْ اخْتِلَاطُ الضُّوءِ وَالظُّلْمَةِ مَعاً، كَوَقْتُ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى الْإِسْفَارِ، أَوْ الطَّائِفَةُ مِنَ اللَّيْلِ.
(٨) السَّنُّ: الطَّرِيقُ الْوَاضِعُ. الشِّيمُ: الْخِصَالُ، الطَّبَاعُ.
(٩) حَرَمَ الشَّيْءَ: شَقَّه، وَمِنْهُ: اخْتَرَمَتِ الْمَنِيَّةُ: أَخَذَتْهُ.
(١٠) الْأَدْمَةُ: جَمْعُ الذَّمَامِ: الْعَهْدُ وَالْأَمَانُ وَالْكَفَالَةُ، أَوْ الْحَقُّ وَالْحُزْمَةُ. مَثَ إِلَيْهِ بِقَرَابَةٍ وَنَحْوِهَا، مَثَ: تَوَسَّلَ.
(١١) الشَّلْوُ: الْعَضْوُ، أَوْ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ، أَوْ الْبَقِيَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ: أَشْلَاءُ. وَأَشْلَاءُ الْإِنْسَانُ: أَعْضَاؤُهُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالْبَلَى. الصَّرِيحُ: الْمَطْرُوحُ أَرْضاً. الصَّارِمُ الْخِذَمُ: السَّيْفُ الْبَاتِرُ الْقَاطِعُ.
(١٢) الدِّيمُ: جَمْعُ الدِّيمَةِ: الْمَطَرُ الدَّائِمُ فِي سُكُونِ.

إذا يمرُّ بها الغادي تُذكرُهُ ما صار يتلوهُ من عادٍ ومِن إزم^(١)
 كأنما السَّقْبُ في تلكَ الديارِ رَعَا فَعُوجِلُوا مِن عذابِ اللَّهِ بالنَّقمِ^(٢)
 كَم حُرْمَةٍ هُتَكَتْ فيها وما حُفِظَتْ ولا رَعَوْا حَقَّها لِلَّهِ والذَّممِ^(٣)
 إِنَّ الإمامَ إذا ما صالَ قامَ لَهُ صَرَفُ الحَوادِثِ مِن خَوْفٍ على قَدَمِ^(٤)
 قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنَّ تَخويَ كَتائبِهِ مُلْكُ العراقِ ومُلْكُ الشامِ والحَرَمِ^(٥)
 كَأَنَّ به واردةً ماءَ الفُراتِ ضَحَى والماءِ قَدْ مَزَجَتْهُ خَيْلُهُ بِدَمِ
 وخرج إلى المديح فأطال .

وقام ابن مجاهد الإستيجي الشاعر منشداً تهنئة الخليفة بالظفر بحسن بن قثون في أرجوزة رفع بها في نهار هذا العيد أولها: [من الرجز]

لَمَّا رَأَيْتُ السَّغْدَ قَدْ تَوَالَى وَعِزُّ دِينِ اللَّهِ قَدْ تَعَالَى
 وَرَأَى مُلْكُ الْحَكَمِ اقْتِبَالَ واعتدلَ الدينُ به اغْتِدَالَ^(٦)
 وَعَادَ صَفْوُ شُرْبِهِ زُلَالًا وانثالَ صنْعُ الباريءِ انْثِيالًا^(٧)
 فَلَمْ يَدْعِ لِمَارِقِ مَالًا أَعْجَلَهُ بِبَطْشِهِ إِعْجَالًا^(٨)
 حَمْدًا يُؤَفِّي حَقَّهُ كَمَالًا وَيُوجِبُ الْمَزِيدَ وَالْإِفْضَالَ
 ثم خُصَّصَ إلى ذكر حَسَن بن قَثُون بعد إِسْهَابِهِ^(٩) في مدح الخليفة فقال:
 ضَلَّ الَّذِي عَائِدُهُ ضَلَالًا وَلَقِيَ الْحُتُوفَ وَالْأَهْوَالًا^(١٠)

- (١) الغادي: الخارج غُدُوَّةً، ولعله أراد السحاب الصباحي.
- عاد وإزم: قومان يضرب بهما المثل في القَدَم والفناء، ورد ذكرهما في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٦، ٧].
- (٢) السَّقْبُ: ولد الناقة الذكر ساعة يُولد. رَعَا البعير رَعَوًا، ورَعَاء: صَوْتُ وَضَج. النَّقْمُ: العقوبات، الواحدة: نَقْمَةٌ.
- (٣) هُتِكَتِ الحرمة: كُشِفَتْ، أُزِيلَ سِتْرُهَا.
- (٤) صالَ عليه صَوْلًا، وصَوْلَانًا: سَطَا عليه ليقهره.
- (٥) الكتائب: الفِرَقُ العظيمة من الجيش، الواحدة: كتيبة. الحرم: أي المسجد الحرام، أو مَكَّة وما حولها.
- (٦) راق الشيء: صفا، وراق الشيء فلانًا: أعجبه.
- (٧) الزُّلال: العَذْبُ الصافي. انثال الشيء: تتابع.
- (٨) المارق: الخارج من الدين، المُتَشَقُّقُ عن الجماعة. المأل: المرجع، المصير. البطش: السطوة والقهر.
- (٩) الإسهاب: التوسُّع والتطويل.
- (١٠) الحُتُوف: جمع الحُتَف: الموت والهلاك.

لَقَدْ تَمَنَّى فِي الْخَلَاءِ مُحَالَا
 انْظُرْ بَنِي مُحَمَّدٍ الضُّلَالَا
 بَاغِينَ دِينَ اللَّهِ أَنْ يُحَالَا
 وَحُرْمَةَ الْإِسْلَامِ أَنْ تُدَالَا
 يُطَاطَىءُ اللَّهُ مِنْ اسْتِطَالَا
 وَذَاكَ دَابُّ اللَّهِ لَنْ يُزَالَا
 وَجَاوَزُوا الْأَنْوَقَ وَالْأَوْعَالَا
 وَاللَّهُ فِي أَحْكَامِهِ الْجَدَالَا
 مُنْتَظَرًا لِقَيْنِهِمْ إِقْبَالَا
 وَلَنْ يَرَاهُمْ كَفَوْا أَقْتَالَا
 وَاهْتَضَمُوا الدَّمَاءَ وَالْأَمْوَالَا
 صَوْلَةٌ ضِرْعَامٍ حَوَى أَشْبَالَا
 مِثْلَ الدَّبَا مُنْسَرِبًا نَسَالَا
 وَالْبَحْرُ لَا يَهْوُلُهُمْ إِنْ هَالَا
 وَجَالَ مُغْوِيهِ بِهِ الْمَجَالَا^(١)
 الْمَارْقِينَ الرَّكَبِي الْقِلَالَا^(٢)
 وَمُسْتَقَرَّ الْحَقِّ أَنْ يُزَالَا^(٣)
 وَلَنْ يُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يُعَالَى^(٤)
 وَيَقْصِمُ الْمُعَايِدَ الْمُخْتَالَا^(٥)
 تَوَقَّلُوا وَأَسْتَوْطَنُوا الْأَجْبَالَا^(٦)
 مُنَاصِبِينَ الْحَكَمِ النَّضَالَا^(٧)
 وَحُكْمُهُ يُوسِعُهُمْ إِهْمَالَا
 وَلَيْسَ أَخْذُ الْقَادِرِ اسْتِعْجَالَا^(٨)
 حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَكُوا الْحَلَالَا^(٩)
 وَعَاصَبُوا، عَاجِلُهُمْ صَيَالَا^(١٠)
 أَرْسَلَ مِنْ جُيُوشِهِ أَرْسَالَا^(١١)
 قَدْ سَدَّ وَجْهَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالَا^(١٢)
 يَمْتَشُونَ فِيهِ طَرَقًا أَذْلَالَا^(١٣)

(١) جال : طاف وتردد. مغويه : مضله.

(٢) القِلَالُ : جمع القَلَّة ، وهي من الجبل : قِمَّتُهُ ، ومن كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ .

(٣) باغين : راغبين . يُحَالُ : يُغَيَّرُ . زَال : تَحَوَّلَ ، أَوْ تَلَاشَى وَاضْمَحَلَّ .

(٤) دال الشيء : انتقل من حالٍ إلى حال .

(٥) طاطأ الشيء : خَفَضَهُ وَخَطَّه . استطال : تعالى وتكبر . يَقْصِمُ الشَّيْءُ : يَكْسِرُهُ كَسْرًا فِيهِ انْفِصَامٌ .

(٦) وَقَلَ الرجل في الجبل : صَعَدَ فِيهِ .

(٧) الأنوق : العقاب أو الرخمة . الأوعال : جمع الوعل : تَيْسُ الْجَبَلِ . ناصبه العداء أو الحرب : أظهرها له وأقامها .

(٨) الغيء : الرجوع ، أو الخراج .

(٩) الكُفَّة : المثل في الشجاعة والقتال . الأقتال : جمع القِتْل : المثل والنظير في القتال ، وغيره .

(١٠) اهتضم الحق ونحوه : انتقصه . الصيال : من صاوله مْصَاوَلَةً ، وَصَيَالًا : غَالِبَهُ وَنَافَسَهُ فِي الصُّوْلِ : السطوة في الحرب .

(١١) الضرعام : الأسد . الأشبال : أولاد الأسد . الأرسال : الجماعات .

(١٢) الدبأ : الجراد ، أو النحل . انسرب الماء ونحوه : سال ، وانسرب في جحره : دخل . النسال : ما سقط من الصوف أو الشعر عند نَسْلِهِ .

(١٣) هال الأمر فلاناً : أفزعه . طَرَقًا : مُطَاطِئِينَ رُؤُوسَهُمْ ، سَاكِتِينَ مِنْ حَيْرَةٍ أَوْ خَوْفٍ .

قَدْ جَعَلُوا لِظَهْرِهِ أَجْلَالًا حَتَّى إِذَا جَازَوْا بِهِ حِلَالًا^(١)
 عَايَنَ مِنْ مَنْظَرِهِمْ أَهْوَالًا قَدْ طَبَّقُوا أَقْطَارَهَا نِصَالًا^(٢)
 وَقَضَبًا هُنْدِيَّةً صِقَالًا وَضُمُّرًا مَذَاكِيا تَغَالِي^(٣)
 تَخَالُ فِي أَجْلَالِهَا أَغْوَالًا أَجْبَالُ مَوْتٍ تَحْمِلُ الْأَجْبَالَا^(٤)
 تَهْدِي إِلَى أَعْدَائِهَا الْأَقْلَالَا وَالْثُكُلُ وَالنَشِيجُ وَالْإِغْوَالَا^(٥)
 مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَى الْقِتَالَا أَبْطَالُهُ تَخْتَطِفُ الْأَبْطَالَا^(٦)
 وَذَاقَ مِنْ وَابِلِهَا أَسْجَالَا مَرِيرَةً قَدْ أَعْقَبَتْ خَبَالَا^(٧)
 سَحَائِبًا ثُمَطَرَهُمْ وَبَالَا صَوَاعِقَاءَ وَسُمُيْتَ نِبَالَا^(٨)
 ومنها :

لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ بِهِ قَدْ جَالَا^(٨)

وَشَدَّ فِي خِنَاقِهِ الْحَبَالَا انْحَطَّ مِنْ قَلْعَتِهِ اسْتِنْسَالَا^(٩)
 قَدْ أَنْضِيَتْ أَغْضَاؤُهُ سَلَالَا وَبَقِيَتْ عِظَامُهُ تَمْنَالَا^(١٠)
 مِنْ كُلِّ خِزْيٍ لَابِسٍ سِرْبَالَا أَنْزَلَ مِنْ أَجْحَارِهِ إِنْزَالَا^(١١)
 مُحْتَرَشًا كَالضَّبِّ مُسْتَهَالَا لَا يَأْمَنُ الْقَيُودَ وَالْأَغْلَالَا^(١٢)

(١) الأجلال: جمع الجَلَل: ما تُعْطَى به الدابة لِتُصَان.

(٢) طَبَّقَ الْأَرْضَ: غَشَاها وَعَمَّها. التَّصَال: جمع التَّضَل: حديدة الرمح والسهم والسُّكَيْن.

(٣) الْقَضَبُ: السيوف القاطعة، وَقَضَبٌ صِقَالٌ: مَجْلُوءَةٌ. الضُّمُّر: جمع الضَّامِر، وهو من الخيل: المَرُوضُ الْمُذَلَّلُ، أو الذي نَحَلَ وَهَزَلَ وَقُلَّ لَحْمُهُ. وَذَكَى الْفَرَسُ: أَتَى عَلَيْهِ بَعْدَ قُرُوحِهِ سَنَةً أَوْ سَنَتَانِ، أَوْ ذَهَبَ حُضْرُهُ وَانْقَطَعَ، وَفِي الْمَثَلِ: «جَزْيُ الْمُذَكِّيَاتِ غِلَابٌ»، يُضْرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بِالتَّبَرُّيزِ عَلَى غَيْرِهِ.

(٤) الْأَغْوَالُ: جمع الْغُول: كُلُّ مَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي فَأَهْلَكَهُ، أَوْ الْمَنِيَّةُ.

(٥) الثُّكُلُ: فَقْدُ الزَّوْجِ أَوْ الْإِبْنِ أَوْ الْحَمِيمِ. النَّشِيجُ: الصَّوْتُ الْمَتَرَدُّ فِي الصَّدْرِ. الْإِعْوَالُ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ وَالصَّبَاحِ.

(٦) الْوَابِلُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ. الْأَسْجَالُ: جمع السَّجَلِ: الدَّلُؤُ الْعَظِيمَةُ. الْخَبَالُ: النِّقْصَانُ، أَوْ الْهَلَاكُ، أَوْ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

(٧) الْوَبَالُ: الْفَسَادُ، أَوْ الْهَلَاكُ، أَوْ سُوءُ الْعَاقِبَةِ.

(٨) جَالٌ: طَافَ وَتَرَدَّدَ.

(٩) اسْتَبْسَلَ الرَّجُلُ اسْتِبْسَالًا: أَقْدَمَ عَلَى الْحَرْبِ مُوطِنًا نَفْسَهُ عَلَى الْهَلَاكَةِ.

(١٠) أَنْضِيَتْ: أَهْزَلَتْ. السَّلَالُ: مَرَضٌ يَصِيبُ الرَّثَّةَ يُهْزِلُ صَاحِبَهُ وَيُضْنِيهِ وَيَقْتُلُهُ.

(١١) مُحْتَرَشًا: مَنْ احْتَرَشَ الصَّيْدَ: هَيَّجَهُ لِيَصِيدَهُ.

وَلَا الصَّقِيلَ الصَّارِمَ الْفَضَّالَا لَكِنْ تَلَقَّى مَلِكاً مِفْضَالاً^(١)
 إِذَا اسْتَقِيلَ عَثْرَةً أَقَالَا لَا يُعْجِلُ الْعُقُوبَةَ الْجُهَّالَا^(٢)
 فَعَادَ بِالْحُسْنَى لَهُ وَطَالَا وَلَمْ يُثْرَبْ مَا جَنَى اسْتِهْزَالَا^(٣)
 مَا لِلضَّبَاعِ ثَوْقُظُ الرُّثْبَالَا إِنْعَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَالَا^(٤)
 وَدُمَ رَفِيعَ الْقَدْرِ مُسْتَنَالَا تُطَابِقُ الْأَحْقَابَ وَالْأَخْوَالَا^(٥)

وفي صدر شهر شوال المؤرخ نفذ مَرْوَان بن أحمد بن شُهَيْد من قصر الزهراء إلى العسكر المقيم بالعدوة خازناً على أوقار الأموال التي وجبت للجنود وغيرهم من طبقات الحشم المتلومين بعد بالعدوة لِشُطَيْف^(٦) الأموال المَحْوَرَّة للسلطان.

وفيه دخل قُرْطُبَةُ مُحَمَّد بن رَزْقِ الْجَعْفَرِيِّ الوالي على ثغر لَارِذَة^(٧)، ومنتشون، وذلك الثغر القصي، دخولاً ظاهراً فلقى فيه بكتائب الخيل والعدّة. ودخل بدخوله رسول طاغية بَرْشَلُوتَة بربل بن شنير وهو غيتار صاحب مدينة بَرْشَلُوتَة كبير أصحابه في نفر من أتباعه بكتاب إلى أمير المؤمنين يذكر محبته وصاغيته وغبطته بسلمه وابتغاء تجديدها. ودخل بدخوله أيضاً أشراكه ابن عمّ داود القومس رسول هوتو، ملك الإفرنج، بكتابه أيضاً يجدد صلته، وقدم فيه أيضاً أشتيين بن أبيكه رسول أسقف جرنش، ونونه بن غند شلب، صاحب قشتيلة بكتابه أيضاً يرغب في تجديد السلم ويضرع في تماديها لانصرام مدتها في هذا التاريخ. وقدم فيه أيضاً بلبيس بن سريط رسول فردلند بن ألسور بكتابه يسأل تجديد السلم له وكف أوار^(٨) الحرب عنه، فأنزل جميعهم وكرم مثواهم^(٩).

وفي يوم الجمعة لعشر خلون من شوال وُلِّي مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عَامِر

(١) الصَّقِيل: المَجْلُوء. الصارم: القاطع، الباتر. الفضال: الذي يفصل أعضاء الجسم عن بعضها البعض، أو يفصل بين الحق والباطل.

(٢) أقال عثرته: صَفَحَ عنه، وتجاوز عن ذنبه أو سوء فعله.

(٣) ثُرِبَ فلان: أفسد، أو خلط، أو قَبِح.

(٤) الرثبال: الأسد.

(٥) الأحقاب: الدهور أو العصور.

(٦) كذا في الأصل. ولعلها «لَشُطَيْف». أما «شُطَيْف» فهي من: شطف العيش: ضاق واشتد، ولا مناسبة لها في هذا السياق.

(٧) مدينة مشهورة شرقي قرطبة، تتصل أعمالها بأعمال طرْكوتَة، وَيُنْسَبُ إلى كورتها عدد من المدن والحصون. (معجم البلدان، الحموي: ٧/٥).

(٨) الأوار: اللَّهَب، أو الدخان، أو حَرَّ الشمس والنار، أو العطش.

(٩) المَثْوَى: المقام.

خُطَّة السُّكَّة إلى ما يتقلده من الشرطة والقضاء بإشبيلية وكثيراً من الخطط، وصرف به عن ولاية السُّكَّة صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد الله بن إدريس^(١).

وفي يوم السبت نالت بعض الفتيان الأكابر الخلفاء مَوجدة من الخليفة لأمرٍ قَصَّروا فيه، فأهانهم وأقصاهم أياماً، ثم صفح عنهم وأقال عثرتهم، قَصَّيرهم إلى حسن رأيه، حاشا موقس وشنيف الفتين الكبيرين فإنه أمضى عليهما المَوجدة وعزلهما عن الخلافة وأسقط عنهما الجرايات.

وفي يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت منه خرج صاحب الشرطة العليا الناظر في الحشم قَاسِم بن مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس في كتيبة من الخيل إلى مدينة إشبيلية ليقبض^(٢) على قوم من مجرمي أهلها، فتقوا السجن بها وعَصَوْا السلطان، وقد كان السلطان أمر عامله بها بضمهم إلى السجن بكثرة تخليطهم^(٣)، والخوف منهم، فلما أعيأ أمرهم أرسل الخليفة [قَاسِم بن] مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس لتتبعهم والقبض عليهم فكان ذلك، وانصرف إلى قُرْطَبَة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه وقد ظفر من هؤلاء القوم المجرمين من أهل إشبيلية بِمُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن الأشعث القرشي، وَبِعُمَر بن خالد بن عُثْمَان بن خَلْدُون الحَضْرَمِي، وَبِحَبِيب بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الخَوْلَاني، المعروف بابن الدب، الذين كانوا فتقوا السجن، وفات الطلب منهم حَبِيب بن سُلَيْمَان بن حَجَّاج، إذ تغيب ولم يُلَفَّ بإشبيلية، فقبض ابن طُمْلَس المذكور على خمسة من بني عمه مكانه، وهم مُحَمَّد وإبراهيم ابنا أحمد بن إبراهيم بن حَجَّاج المنتزي - كان قديماً - بإشبيلية ومُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حَجَّاج، وحَجَّاج، وقَاسِم ابنا مُحَمَّد بن قَاسِم بن مُحَمَّد بن حَجَّاج، وأخذ معهم مُحَمَّد بن عُثْمَان بن الخَزَر، فَقَيَّدَهُمْ أَجْمَعِينَ، وقدمهم بين يديه، فلما صار إلى أمير المؤمنين أعلمه بنظره وما نفذ من عهده، فأمر بسجن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله بن الأشعث القرشي وعُمَر بن عُثْمَان وحَبِيب بن مُحَمَّد بن الدب، وعهد إليه سجن بني حَجَّاج المسلمين بابن عمهم حَبِيب بن سُلَيْمَان إلى أن يظفر به وليكن ذلك أدباً لهم بما نُسب إليهم وُزِفَ عليهم، فسجن جميعهم بسجن الزهراء ليومهم.

(١) ورد من قبل في حوادث سنة ٣٦١هـ، أن محمد بن أبي عامر صُرف عن ولاية السكة، ليتولاها يحيى بن عبيد الله بن إدريس. وورد أيضاً أن يحيى لم يضرب ديناراً ولا درهماً حتى صُرف عنها بأحمد بن حدير.

(٢) قَبَضَ على فلان: أسك به، وأصل القَبْض: أخذ الشيء بقبضة اليد.

(٣) خَلَطَ الرجل في أمره: أفسد فيه.

فلما أن كان يوم الأحد لإحدى عشرة بقية منه وصل إلى الزهراء الموكلون بطلب حبيب بن سليمان بن حجاج وهو في أيديهم قد ظفروا به مع أخيه مُحَمَّد بن سليمان الملقب بالسُّلَيْسِلَة، وكانا عندما اتصل بهما هذا الحادث على بني عمِّهما قد خرجا فَارَّين بأنفسهما مُخَفَّين لأشخاصهما، قد أخذَا على غير سبيل، وسلكا في غير طريق، فلما أعلم أمير المؤمنين بحضور حبيب بن سليمان بن حجاج ووجدانه مع أخيه فَارَّين في بعض الشعاب، أمر بسجنهما من حينه، وأمر بإطلاق بني عمِّهما بني حجاج [...] ^(١) منهم على ولايته بدار الصناعة بإشبيلية.

ذكر الخبر عن محنة ابني الأندلسي

وفي يوم الإثنين لعشر بقين من شوال أنذِرَ الحكام والفقهاء والعدول بالاجتماع بمنية ابن عبد العزيز، فحضرُوا ووافاهم بها صاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح، فأرسل في جَعْفَر وَيَحْيَى ابني عليّ الأندلسي وقد كان أحكم معهما ما ذهب إليه أمير المؤمنين من دفع المال إليهما في أثمان عبيدهما الذين استعفوا من خدمتهما ومن الخروج معهما، ودعوا إلى الانتقال عن ملكتهما لسوء ما يجثمانهم، ونفذ العهد بالفصل معهما في التبائع بمحضِر من الفقهاء والعدول ^(٢) على ما كان أبرمه ^(٣) معهما، خالفاه وانصرفا عنه وخشنا بالقول، وجهَّما بالردِّ، وبدا من أكبرهما، جَعْفَر، جفاء كثير واستخفاف لحقِّ الخلافة المعظم شأنها، استبانت فيه غائلته ^(٤)، وما يُكِنُّ صدره من نيات شيعته، حتى علم مَنْ حضر من أهل العلم أنه نطق عن ضمير نغل ^(٥)، وصغو مُسْتَكِن ^(٦) إلى أئمتته الذين أظهر مفارقتهم من الشيعة - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - خالص إلى المشاركة - قطع الله دابرهم - ووجب على زياد إعلام الخليفة بجميع ما دار في المجلس ووقفه عليه، وأمر باعتقال الرجلين لمكانهما والتوكُّل بهما، وركب إلى الخليفة من قُوَّره، وهو بمنية أرجاء ناصح، فتوصل إليه من ساعته وأعلمه بما جرى بينه وبينهما، وما بدا من جَعْفَر، فأحفظه ذلك وتذكر ما تقدم لِجَعْفَر في هذا العام من سرف الجفاء الذي ذاع عنه، ولم يخف عن الخاصة والعامة غلَّه، ولن تسوغ احتماله السياسة، فأمر زياداً بالعود إلى المجلس وإهانة جَعْفَر وَيَحْيَى وأشياعهما بما يسوءهما،

(١) نقص في الأصل، ولعله أراد: «وأقرَّ منهم...»، والله أعلم.

(٢) عَدَلَّ عَدْلًا وَعَدُولًا: مال، وعن الطريق: حَادَّ.

(٣) أَبْرَمَ الأَمْرَ: أَخْكَمَهُ.

(٤) الغائلة: الفَسَادُ والشرُّ.

(٥) نغل قلبه على فلان: ضغن، ونغل بين القوم: نَمَّ وأفسد.

(٦) مُسْتَكِنٌ: مُسْتَتِرٌ.

وحملهما راجلين من مكانهما إلى سجن الدويرة بمنية الزهراء، فتم ذلك عليهما، وقامت منه قيامتهما.

فلما أن كان يوم الثلاثاء بعده، نزل الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقَرْطَبَة، وصاحب المدينة بالزهراء، وصاحب الخيل في فصيل الدويرة، سجن الزهراء، فأخرجوا إلى أنفسهم يَحْيَى بن عَلِيٍّ، فَعَدَّدُوا عليه ما كان من هفوات^(١) أخيه جَعْفَرٍ وزلاته^(٢) في استخفافه وجفائه، ووَبَّخُوهُ لمساعدته له، وعَرَّفُوهُ بزهاثهما^(٣) بأنفسهما مع ضعة آتيهما^(٤) وسقوطه، وَرَجَّوْهُ^(٥) بغفران أمير المؤمنين وكريم صفحه، فاعترف بالهفوة وتشكر الإنابة، فأمرُوا بِحَلِّ الكبل^(٦) عنه وإطلاق ابنه، وكانا قد سُجْنَا معه يوم سجنه، وأعيد يَحْيَى إلى المطبخ مع أخيه جَعْفَرٍ دون قيدٍ فمكثا فيه بقية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وصدراً من سنة أربع وستين بعدها. فلما أن كان يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة أربع وستين عهد الخليفة إلى الفتى الكبير فائق الصقلي، صاحب البرد والطرز، بالركوب من قصر قَرْطَبَة إلى قصر الزهراء والإيعاز عنه إلى صاحب الخيل والمدينة بها، زِيَاد بن أفلح، بإطلاق جَعْفَرٍ وَيَحْيَى ابني عليٍّ من المطبخ بها، فأنفذ ذلك، وتوصل الفتى الكبير فائق إلى باب المطبخ، فأدخل إليها من فتيانها من زينهما وأخذ من أشعارهما وخلع عليهما الخلع التي أمر لهما بها أمير المؤمنين فتجملت شارتهما وخرجا وقد أعد لهما فرسان رائعان بحليتين فاخرتين، فركبا وصارا في موكب الفتى الكبير فائق إلى أن انتها إلى قصر قَرْطَبَة فأمرهما بالتوجه إلى دورهما وتعجيل مَسْرَةِ أهليهما، فذهبا مَسْرُورَيْن. فلما أن كان عشيَّ النهار أرسل فيهما إلى القصر، فحضرهما وقعد لهما الفتى الكبير، صاحب البرد والطرز فائق بسقيفة دار الحصى، وشهده أكابر الفتيان والوصفاء، فأوصل إلى نفسه جَعْفَرًا وَيَحْيَى فَقَرَّب مجلسهما، وعدد عليهما ما كان من هفواتهما وزلتهما فاعترفا بالخطأ وأقرأ بالذنب، ثم ذكر لهما أن أمير المؤمنين تغمد^(٧) ذنبهما، وصفح عن زلتهما، فاستهلاً^(٨) شاكرين

(١) الْهَفَوَاتُ: جمع الهفوة: السَّقَطَةُ وَالزَّلَّةُ.

(٢) الزَّلَاتُ: جمع الزَّلَّة: السَّقَطَةُ أَوِ الْخَطِيئَةُ.

(٣) زَهَا الرجل: تاه وتعاطم وافتخر.

(٤) الصراب أن يقال: «مع ضعة آتيه».

(٥) رَجَّوْهُ: أَمَّلُوهُ.

(٦) الْكَبَلُ: الْقَيْدُ، الْجَمْعُ: أَكْبَالُ.

(٧) تَغَمَّدَ الذَّنْبَ: سَتَرَهُ، وَتَغَمَّدَ اللَّهُ فَلَانًا بِرَحْمَتِهِ: غَمَرَهُ بِهَا.

(٨) اسْتَهَلَّ: رَفَعَا صَوْتَيْهِمَا، مِنْ اسْتَهْلَ الصَّبِيِّ: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ وَصَاحَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ. وَمِنْهُ:

استهل الوجه: تَهَلَّلَ.

وابتهلا^(١) داعيين، ودفع لهما جرابين مملوءين بدر دنانير صلة لهما، وأمرهما بالانطلاق إلى منازلهما والاستقرار على أول حالهما مُتملّين نعمة الإقالة لهما، فاعتلى دعاؤهما وثناؤهما، وخرجا مكرمين قد بلغا أملهما وأنهيا غايتهما، والمال محمول أمامهما، وقُرب لركابهما فَرَسَان رائعان، غير اللذين جاءا عليهما، بِسَرَجَيْن مُعَرِّقَيْن ولِجَامَيْن مُفَرِّغَيْن، على صناعة أهل المشرق، فانطلقا محبورين في مركب نبيل استركب معهما من وجوه الخمسين وطبقات الجند.

وفي العشر الآخر من شوال من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ يذكر انصراف مُحَمَّد بن وَلِيد ومُحَمَّد بن مُوسَى من بني الطويل، رَسُوليه من مدينتي فَاس المتوجهين إلى أميريهما عبد الكريم بن يَحْيَى صاحب عُذُوَّة الأندلسيين من فَاس، ومُحَمَّد بن حَسَن صاحب عُذُوَّة القُرويين منها المقترن بهما في رسالته إليهما باستجابة جميعهم لما دُعُوا إليه من إِمحاض^(٢) الطاعة، والقيام ببيعتهم التي أعطوها وعقدوها عن كتب أمير المؤمنين الواردة عليهم المقروءة على عوامهم في جوامعهم بما يحتملون عليه من أداء طاعتهم من الدخول في الجماعة واتباع السنة والعمل بمذهب مَالِك بن أَنَس، إمام أهل المدينة - رضي الله عنه - وإقامة النافلة^(٣) في شهر رمضان المعظم وتوقفهم عن العمل بما كانت ضَلَال الشيعة زرعت عندهم من البدع^(٤) والتبديل والتحريف، وأنهم تقبلوا جميع ما أُمِرُوا بالتزامه من جميع ذلك، ودخلوا فيه أفواجاً، ونبدوا ما عداه شاكرين لله تعالى على هداه، حامدين لمن تحدّاهم به وحملهم على سَنَنِه. وذكر الوزير غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ أَنَّ عبد الكريم بن يَحْيَى ومُحَمَّد بن حَسَن صاحبه وجَّها إليه رهائنهما مع كتابي بيعتهما، وأنَّ علي بن خُلف وجَّه إليه بابه رهينة مع كتاب بيعته، فاستوسق أهل المغرب على الطاعة؛ فكانت نسخة بيعة عبد الكريم بن يَحْيَى صاحب عُذُوَّة الأندلسيين ما نصّه هذا: «بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم. كتاب بيعة عبد الكريم بن يَحْيَى وجماعة الأندلسيين بني عَمّه من أهل حاضرة فاس، كتبوه وثيقةً وحجّةً على أنفسهم وأشهدوا الله وملائكته وأنبياءه ورسله وأولي العلم من خُلقه ومن حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا الله عزَّ وجلَّ والإمام العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين، وألزموا أنفسهم طاعته لِيُوالوا مَنْ والاه وَيُعَادُوا مَنْ عَاداه وَيَنْصُرُوا مَنْ

(١) ابتهلا: تَصَرَّعَا وَرَفَعَا صَوْتَهُمَا بالدعاء.

(٢) مَحَض الطاعة: أخلصها، وإِمحاض الطاعة: الإخلاص فيها.

(٣) النافلة: ما يزيد على الفرض من صلاة وصوم وزكاة، وغير ذلك.

(٤) البدع: المستحدثات من الأمور.

نصره، ولا يلبسوا ولا يدنسوا^(١) ولا يؤالوا أحداً سواه، ألزموا ذلك أنفسهم بالآيمان المؤكدة اللازمة لهم، وفي أعناقهم عهد الله المؤكد اللازم لهم والمشى إلى مكة وعليهم صدقة أموالهم للمساكين؛ وبالله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المهلك المدرك الرخمن الرحيم أنهم لبرءاء من الشيعة وأهلها، وأن يؤاقوهم ولا يرأسلوهم سراً ولا إعلاناً، تقاربوا منهم أو تباعدوا عنهم، وأنهم مستمسكون بالطاعة العاصمة من الزيغ^(٢)، والخلافة المكرمة القائمة بالحق التي وطّد^(٣) الله مَبَئِثَها وشرفها وعظمتها على من سواها، وأشهدوا الله وملائكته ورسله وأهل العلم من خلقه على ما ألزموه أنفسهم من القيام بالطاعة والعمل بفروضها ومسئونها، وأوجبوا ذلك على أنفسهم كوجوب ما لزمهم من فروض دينهم، إذ لا تتم ديانتهم إلا بالتصحيح لإمامهم واتباع أمره، والوقوف عند نهيه؛ فعند أدائهم الطاعة يسلم لهم دينهم وديارهم وآخرتهم وأولاهم **﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح: ١٠] وتاريخه عقب رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وذلك بمحضر من علماء البلد وفقهائه وأهل الفضل منهم الذين ألزموا أنفسهم الطاعة والتزموا الآيمان المؤكدة، وذلك في صحّة من عقولهم وأبدانهم، وكفى بالله شهيداً. وخطّ في أسفله خمسة وثلاثون رجلاً أسماءهم.

فلما أن جاء يوم الأحد لإحدى عشرة بقية من ذي القعدة وصل إلى قُرطبة رهائن بني عبد الكريم بن يحيى صاحب عُدوة الأندلسيين من فاس وهم إبراهيم بن حمّادون، وعيسى بن موسى بن عياض، وعبدون بن محمد بن عبد الله، ومحمد بن إبراهيم بن حسين، وهاشم بن سليمان. ووَصَلَتْ بِوُضُولِهِمْ رَهَائِنُ عَلِيِّ بْنِ خُلُوفٍ أَمِيرِ غِمَارَةٍ وَهُمْ مُحَمَّدُ ابْنُهُ، وَنَصَرَ اللَّهُ بَنِي الْعَاصِي، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدَانَ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَلَاهِم، وَقُتُونُ بْنُ هَارُونَ، وَزَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى، فَأَنْزَلَ جَمِيعَهُمْ بِمَدِينَةِ قُرْطُبة فِي الدَّارِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ وَلِيدِ بْنِ غَانِمٍ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْهُ. وَحُمِلَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى دَارِ الرُّهْنِ الْمَصَاقِبَةِ لِبَابِ الْقَنْطَرَةِ صَالِحٌ وَعَلِيٌّ ابْنَا رَافِعٍ صَاحِبِ حَصْنِ حَجْبَةٍ وَنَفَرَ مِنْ بَنِي عَمُّهُمَا، أَرْسَلَ بِهِمُ الْوَزِيرُ الْقَائِدُ الْأَعْلَى غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّخْمَنِ مَكْبُولِينَ، مَعَهُمْ عِيَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، لِيَزَيِّعَهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، فَأَنْزَلُوا فِي الدَّارِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ غَانِمٍ بِالْمَدِينَةِ أَيْضاً. وَجِيءَ مَعَهُمْ بِخَمِيسَ بْنِ جَامِعٍ، وَسَلَمَةَ بْنِ رَجَاءٍ، وَالْأَحْمَرَ بْنَ حَمُودٍ، وَهَارُونَ الرَّسْحَاتِي، وَيَحْيَى بْنُ يَصْلَاتِنَ، بَعَثَ بِهِمُ الْوَزِيرُ الْقَائِدَ

(١) دَلَّسَ الرَّجُلَ: خَدَعَ وَظَلَمَ وَكَتَمَ الْحَقَّ.

(٢) الزَّيْغُ: الضَّلَالُ.

(٣) وَطَّدَ الْبَنِيَانُ: بُنِيَ وَأَرْسَاهُ.

مَكْبُولِينَ أَيْضاً، إِذْ كَانُوا قَدْ نَزَعُوا إِلَيْهِ فَأَلْحَقَهُمْ وَحَمَلَهُمْ وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ هَمُّوا بِالْغَدْرِ وَإِشْعَالِ الْفِتْنَةِ، فَقَبِضَ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَهُمْ، فَشَدَّ مَحْبَسَهُمْ.

وورد كتاب الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ يَذْكُرُ أَنَّهُ أَنْذَرَ عِيسَى بن أحمد بن مُحَمَّد بن إدريس المعروف بَحْنُون شيخ بني مُحَمَّد، وإبراهيم أخاه، وَمَيْمُون بن الْقَاسِم، وَيَحْيَى أخاه، وغيرهم من بقية آل إدريس بن إدريس بالتوجه إلى باب سُدَّة أمير المؤمنين فأظهروا السرور بذلك والحنين إليه، وأخذوا في التأهب له. وبعث حَنُون بن أحمد إلى الإمام وَصِيَّةً في بنيه وأهله. وأمر الوزير القائد مع ذلك بتثقيفهم في العسكر والاحتراس بهم إلى أن ينفذوا إلى الأندلس، فنفذ الخبر بتوجه حَنُون شيخ بني مُحَمَّد وجماعة بني عمه الحسينيين المزعجين إلى الأندلس، إلى الجزيرة الخضراء، واحتلالهم بها يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة منها.

وفي يوم السبت للنصف من ذي الحجة خرج صاحب الشرطة العليا والحشم قَاسِم بن مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس إلى الجزيرة، ومضى معه شَاطِر الجَعْفَرِي صاحب خيل الأمير أبي الوليد ابن أمير المؤمنين بالأنقال المستعد بها لنزولهم من الأبنية إلى أوصال معها من السرادق، وضروب الوطاء والغطاء والآنية. ونفذ الكتاب إلى الوزير القائد غَالِب بالقفول من العُدَّة في خاصة رجاله، وترك عمل المغرب لصاحبه الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم التجيبي في سائر الأجناد المتكاملة بالعُدَّة، فعمل بذلك، وورد كتابه يوم الخميس لثلاث بقين منه من محلته بسوق كُتامة يَذْكُرُ قفوله، وأن اندفاعه من البَصْرَة كان يوم السبت لثمان بقين من ذي القعدة.

فلما أن كان يوم الإثنين لثلاث خلون من ذي الحجة بعده، أخرج الخليفة أحمد بن مُحَمَّد بن حَفْص بن جَابِر إلى العُدَّة بالأموال الواجبة للباقيين بها قَبْلَ الوزير القائد بالمغرب يَحْيَى بن مُحَمَّد، وأبطأ خبر جواز الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ الْبَحْرِي إلى أن وافى كتابه يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة من هذه السنة بجوازه إلى الجزيرة الخضراء بجميع الأجناد مسلمين مؤيدين منصورين أعزَّة، فكان احتلالهم في الجزيرة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة.

ونفذ كتاب أمير المؤمنين إلى مُحَمَّد بن حُسَيْن الطُّبْنِي القافل معه بالانصراف إلى الوزير القائد بالمغرب يَحْيَى بن مُحَمَّد التَّجِيبي إذ سأل استصحابه والأنس لمعرفته بأخبار البلد وأهله وحسن رأيه وولوجه^(١) في شؤونهم، وكُرم مع ذلك بتولية حُطَّة العرض، فانتهى إلى ما أمر به.

(١) الْوُلُجُ فِي الشَّيْءِ: الدُّخُولُ فِيهِ.

وفي صدر ذي القعدة منها [أمر] الخليفة المستنصر بالله بمخاطبة القواد والعمال بأقطار الأندلس بما صرف الله إليه نظره لزائغي المغرب المتصلين بعمله هناك للذي بلغه من إلحادهم في الدين، وزيغهم عن كثير من السنّة. فتهيأ له استنزال أكبر مُضَلِّيهم حَسَنَ بن قُتُون من معقله^(١)، وإزعاجه إلى الحضرة، وكرور^(٢) مولاه الممارس له، غَالِبَ بن عبد الرُّخْمَن، بعد إنفاذه لجيش نحو مدينة البَصْرَة للذي بلغه من تحرك اللعين ابن اللعين، ابن زيري خليفة الشيعة مَعَدَّ [ابن إسماعيل] على إفريقية، إلى جانب تَاهَرَت مُظْهراً قصده. فلما بلغه توجهه نحوه ولَّى ناكصاً على عقبه، وتم إذعان ملوك وزعماء الصقع للخليفة المستنصر بالله وإيتاؤهم البيعة له، وإنفاذهم رهنهم مع بيعاتهم إلى الوزير القائد غالب عامله، فنفذ، بذكر ذلك كله، كتاب من إنشاء الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقَرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، نسخته:

«بسم الله الرَّخْمَن الرَّحِيم، الحمد لله المحيط الذي لا يحاط به، والظاهر الذي لا يظهر عليه، الواحد الذي لا يكثر، والقادر الذي لا يقادر، مُقَدَّر الأقدار، ومُصَرَّف الأعصار^(٣)، ومُكَوَّر^(٤) الليل على النهار، المتعالي عن العيان، والممكن بكل مكان، الموصوف بما علمنا من صفاته، المعروف بما أَرَانَا من آياته، المعين على طاعته بقدرته، المُيسِّر لموجبات جنته برحمته، الذي أنطق كل شيء خلقه برحمته، وألزمه الدليل على الافتقار إليه، وأوقعهم [في] مهانة الفناء قبل خلقه لهم، ولم يجعل لأحد منهم أجلاً معروفاً ليسكن إليه، ولا أمداً مكشوفاً يطمئن إليه، بل أبقاه على شكٍّ من كَرَّةٍ لحظٍ أو رَدَّةٍ نفس، وأرسلهم بين أمدٍ ممدود، وأجلٍ محدود، حتى إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فتبارك الله أحسن الخالقين. والحمد لله رب العالمين الذي اصطفى من عباده صفوةً اختصهم بكرامته، وأعزهم بفضيلة نبوته، وجعلهم وسائط بينه وبين عباده، فأيدهم بالسلطان والبرهان، وعضدهم بالآيات البينات، والشواهد المعجزات، وبعثهم مبشرين ومنذرين، مُرْغِبِينَ في ثوابه، مُحْذِرِينَ من عقابه. يتلو بعضهم بعضاً من كل جيل وعلى كل زمان. ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكاناً، وأرفعهم لديه منزلة، محمد ﷺ، أرسله إلى الناس كافة بدين الإسلام الذي نسخ الأديان، ونهج به مناهج الإيمان، وأيده بالقرآن، والحجة القاطعة والبرهان،

(١) الْمَغْقِلُ: الْمَلْجَأُ وَالْحِصْنُ.

(٢) كَرَّ الرجل كُرُوراً: رَجَعَ.

(٣) الْأَعْصَارُ: الدُّهُور.

(٤) كَوَّرَ الله الليل على النهار، والنهار على الليل: أدخل هذا في ذاك، أو زاد في هذا من ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

فدعاهم إليه تبارك وتعالى، ودلهم عليه وشرع لهم شرائع طاعته، وأوضح لهم الأعمال الموجبة لِحُجَّتِهِ، وأفصح عن الحلال والحرام والمفروض والمسنون، وأراهم الصراط المستقيم، وهداهم السبيل المستبين وأنبأهم أن الإسلام دين أصفيائه وملة أنبيائه وأوليائه، الذي كَرَّمَ الله دعوته وأفلج حُجَّتَهُ، وأعلى منزلته، وجعل كلمة حزبه العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وأظهر فضله لقوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٣] وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] فجاهد، ﷺ، حق جهاده مَنْ رَغِبَ عنه أو أبى منه أو فارق جادته، أو أخرج رأسه من رِبْقَتِهِ^(١)؛ حتى أبان الله عز وجل فضله، وكثر عدد أهله، ودخل الناس أفواجا فيه، ولزمت به الحجة، وارتفعت عنه الشبهة، وقامت به المَعْذَرَةُ، وتمت نعمة الله على من اعتقده، وأرشده ووفقه وسدده، وجعل له نوراً بين يديه ومن خلفه، ثم رفعه الله تبارك وتعالى إليه عزيزاً عليه، مكرماً عنده، أثيراً عليه، وجعله الشهيد على جميع العالمين، وأفرده بالشفاعة يوم الدين، إكراماً له ومن آمن به ﷺ وعلى جميع المرسلين وآله الطيبين، وسلام عليه وعليهم في العالمين. والحمد لله الذي اصطفى من عِثْرَتِهِ^(٢)، وانتخب من دَوْحَتِهِ^(٣)، خلائف في أمته، حملة لِسُنَّتِهِ، حفظة على شريعته، رُعاة لخلقِهِ، قَوَمَةٌ^(٤) بعقوده، وجعلهم خلفاء على عبادِهِ، ذادة^(٥) عن حزبه، علماً بهم، وتكريماً لهم، وتزكية لبصائرهم وتنبيهاً على فضل سرائرهم، فقاموا بحقه عليهم، ولم يرضوا من أحد بغير ما رضىه الله لهم، ولا أغمضوا على داخله أدخلها مارق^(٦)، ولا شبهة قام بها فاسق، ويتعاقبون ذلك بينهم، ويورثه سالفهم خالفهم. حتى أورث الله تعالى مقامهم وارث شرف أنسابهم، وحائز^(٧) كرم أحسابهم، والمتهمدي بهديهم، والمتحمل على سننهم، والسائر سيرتهم، والرافع لمعالم مناقبهم، أمير المؤمنين، بجميل نظره فيما قلده الله من رعاية

(١) الرَبْقَةُ: واحدة الرَبْقِ: جبل ذو عُرَى، أو حلقة لربط الدواب، أو الخيط، ويقال: حَلَّ رِبْقَتَهُ: فَرَّجَ كَرْبَتَهُ، ويقال: لا يَرْضَى الحُرُّ في رِبْقَةِ الدَّلِّ.

(٢) العِثْرَةُ: نَسْلُ الرجل ورهطه وعشيرته.

(٣) الدَّوْحَةُ: الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة.

(٤) قَوَمَةٌ: أي: قائمون.

(٥) ذادة عن حزبه: مُدَافِعُونَ.

(٦) مَارِقٌ: خارج على الدين، مُفَارِقٌ للجماعة.

(٧) حَائِزٌ: مَالِكٌ.

خلقه، فأعمل ذلك جهده وصبره وكده^(١)، حتى عاد الدين غصاً^(٢) على حاله في عهدهم، واجتمع الناس على أوضحه منهاجاً، وأعدله طريقاً، وأهداه سبيلاً، وصاروا على الحق أعواناً، وفي تعاطيه بينهم إخواناً، واطمأنت بهم قواعد الإيمان، واعتدلت بعدله عليه صروف الزمان: فالصلاح شامل، والخير شائع، والسبل مبسطة، ودروب المسلمين مُحَصَّنَة، وأطرافهم مُثَقَّفَة، وعدو الإسلام مَقْمُوعٌ^(٣)، وأيدي المسلمين عليهم غالبية، فضلاً من الله ونعمة واللّه ذو الفضل العظيم. ولما كفّ أمير المؤمنين غَرْبُ^(٤) المشركين ودفع بأسهم وأوقعهم تحت الخشية والذلة والخشوع له والإذعان إليه، وصارت أوامره ونواهيها نافذة عندهم، وماضية لديهم، عاد بشرف نفسه، وعُلُوّ همته، وتمكن رغبته في رعايته المسلمين حيث كانوا، وحمايتهم وتحصين شرائعهم، وجهاد المتطاولين إلى تبديلها، ونقض ما أحكمه الكتاب والسنة منها من أرباب البدع، وغواة الشيع، وأئمة الإلحاد، المارقين عن الدين إخوان الشياطين، فكان أول جانب من نواحيهم ردّ إليه نظره ووكل به همته جانب المغرب لقربه منه وانكشاف ما كان يركبه أهله به من سَوْمِهِم تبديل دينهم، والدخول بينهم وبين ربهم، وإخراجهم عن سُنّة نبيهم ﷺ، وما أمضاه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من أحكامهم على سبيل إجماع أسلافهم، وما ينالونهم في التوقف عن ذلك من انتهاك حرمتهم، واستحلال محارمهم، إذ لم يسعه الإمساك عن تلافيهم وانتشالهم^(٥) عن أيدي المردة الظلمة لهم. وقد بسط الله يده ومكن له في أرضه، وأعزّ من سلطانه، وكثر عدده وقامت حاجته عن وجهه بما آتاه من فضله وأحضره إياه من توفيقه وإرشاده واستهلاله لكل جليلة في ابتغاء مصلحة من مصالح المسلمين، يكرمه بعاجلها، ويدخّر له خير أجلها، ويثبت قدمه في السعي لها، ويؤتي أعوانه وأصحابه في كل ذلك عزماً نافذاً ورأياً ثاقباً، ونية لا تدخلها فترة^(٦)، ولا تعثرها سامة. فأيد الله تعالى جنده، ونصره وأعلاه وأظفره بمن قد كان جاهره بمعصيته وأعلن مخالفته، وتجانف^(٧) عن طاعته، وأخذ له بناصيته، وأوقعها تحت رغبته ورهبته، حتى استوسقت الطاعة في جميع بلاد المغرب، وقامت الدعوة بمنابر قواعده، وارتفعت الخطباء عليها بما يجب من تعظيم

(١) الكَدُّ: الكَدْحُ والجهد.

(٢) الغَصُّ: الثَّغْرُ الطَّرِي.

(٣) المَقْمُوعُ: المضروب على رأسه، أو الممنوع عما يُريد، أو المقهور.

(٤) الغَرْبُ: النشاط والتمادي في الشيء، والغَرْبُ أيضاً: أوّل كلّ شيءٍ وحده.

(٥) انْتَشَلَ الشيءَ ونَشَلَهُ: أسرع نَزْعَهُ.

(٦) الفَتْرَةُ: الضَّغْفُ والانكسار.

(٧) تجانف عن الطاعة: عَدَلَ عنها.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وتحميده وتمجيده، والثناء على رسوله ﷺ واصله ذلك بالدعاء لأمير المؤمنين ولجماعة المسلمين».

«ولما أن عاد الوزير القائد غالب مولى أمير المؤمنين إلى البصرة للذي كان بلغه من تحرك الفاسق ابن الفاسق بلقين بن زيري إلى جانب تاهرت، واستقر بها عاملاً على التقدم إليه، حاول الحركة إلى الجانب الذي يليه، كرَّ عدو الله راجعاً، وعاد على عقبه ناكصاً قد ملأ قلبه ذعراً وجوانحه فرقاً، عهد أمير المؤمنين إليه ألا يتقدم عن مكانه إشفاقاً من معرة الجيوش على من يليه من أولياء الطاعة إلى جانب فاس وما يليها، وأن يذهب بالكثير من معاشهم وأقواتهم، إذ كانت زروعهم غير مستحصدة ولا متمكنة، فأتاه وجوه من رجال فاس وذلك المغرب كله، ووجه إليه عبد الكريم بن يحيى، ومحمد بن حسن صاحباً غُدوتَي فاس رهاثتهما، ووجه علي بن خلوف المتيلي بابنه وبرهائنه أيضاً. وتوالى عنده رسل بني أبي العافية سائلين موالاتهم من عز سلطانه ورفع عنهم من بأس الفرقة الضالة المضلة الذي كان أطبق عليهم وأحاط بهم، مستظهرين بذلك على خالص معتقدهم وتمكن طاعتهم والتزامهم إياها مخلصين، وإجابتهم داعيها مُهطعين^(١)، وإحراقهم منابر الضالين المعمورة بما لا يرضي الله تعالى جده ولا رسوله ﷺ، وامثالهم مذهب الجماعة في صلواتهم وأذانهم وسننهم وأحكامهم، وضربهم السكك باسمه وعلى عياره، فتمت بذلك نعمة الله تعالى على أمير المؤمنين وعليهم به، واستلَّت^(٢) طاعته أضغانهم، وألفت بين قلوبهم، وتضافرت^(٣) على المخالفين أيديهم، والحمد لله رب العالمين. وأمير المؤمنين يأمر أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك لتسر المسلمين بما تضمنه، ويحمدوا الله عليه إن شاء الله، وهو المستعان؛ وكتب في صدر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة».

وفي يوم السبت لتسع خلون من ذي القعدة جلس أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء جلوساً فخماً قامت المراتب له بداخل القصر وخارجه، وحجبه من عن يمينه الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان، وتحتة صاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح، ووصل الصفيين في الحجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم، فأوصل إلى نفسه رسول طاغية برشلونة غيتار صاحب مدينة برشلونة لأميرها بريل بن شنير فأوصل كتابه، وتآلى^(٤) عليه بالتزامه الطاعة واستقامة طريقته، وتوصل إثره

(١) مُهْطَعُونَ: مُسْرِعُونَ.

(٢) اسْتَلَّتْ الشَّيْءُ: انْتَزَعَهُ وَأَخْرَجَهُ.

(٣) تَضَافَرَتْ: تَعَاوَنْتْ.

(٤) تَأَلَّى عَلَيْهِ: أَقْسَمَ، حَلَفَ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ يَمِيناً بِالتَّزَامِ الطَّاعَةِ...

إشراكه رسول هوتو ملك الإفرنج فأوصل كتابه أيضاً مجدداً لعهدده ومؤكداً لعقدده، ثم توصل أشتيين بن أبيكة [رسول] أسقف جرنس، ونونة بن غند شلب صاحب قشتيلة وبلبيس بن شريط رسول فردلند بن ألشور، فأوصلا كتابهما وقالا بما أمرا به من الاغتباط باستمرار [السلم] (وقد أحس منه التنزي على مكثه)، ففُرَّب رسوله في الجواب، وأمضيت لهما الصلة المعتادة، وانطلقا لسييلهما في العشر الأواخر من ذي الحجة.

وفي عشر ذي الحجة، يوم جلوس الخليفة لهما، يوم دخلا إليه، وصل إلى الزهراء مَرْوَان بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد خازن السفر منصرفه من العسكر بالمغرب قد بلغ الأموال وأعطاها الأجناد المتخلفين بها مع الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد التَّجِيبِي المنفرد بالقيام بها بعد قفول الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَن عنهما، وبعد أن ارتقى إلى حصن الحجر الذي استنزل منه ابن قُتُون، وأخذ مساحته على ما أمر به فرفع بها، وحان استحقاق الجند هناك قِبَل الوزير يَحْيَى بن مُحَمَّد لشهر ذي الحجة من هذه السنة فأخرج الخازن أحمد بن مُحَمَّد بن حَفْص بن جَابِر إلى العُدوة بالأموال الواجبة لهم في يوم الإثنين لثلاث خلون منه.

ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة

وافى يوم الإثنين عاشر ذي الحجة، فجلس أمير المؤمنين فيها للتهنئة أفخم جلوس وأحفله، فوق السرير في المجلس الشرقي بالسطح العلوي، الموفي على الرياض، ووافى الإخوة فأذن لهم قبل الناس فسلموا، وقعد منهم عن ذات اليمين أبو الأصبغ عبد العزيز الشقيق، وتحتة المغيرة أبو المطرف، وعن ذات اليسار الوزير الكاتب صاحب المدينة بَقْرُطَبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، وتحتة صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، وتحتة صاحب الشرطة العليا أحمد بن بسيل. وحجبه عن ذات اليسار صاحب المدينة الزهراء مُحَمَّد بن أفلح، وتحتة صاحب الشرطة العليا أحمد بن سَعْد الجعفري. ووصل صفهم أكابر أهل الخدمة على مراتبهم: أصحاب المخزول والعراض والخزان وأصحاب الحشم وغيرهم. وقد قام في المجلس الترتيب التام والتعبئة الكاملة من الفتيان الأكابر، ومن بعدهم من الكُتَّاب والوصفاء، ومن يليهم من الطبقات على مراتبهم. وقعد الأمير أبو الوليد هِشَام ابن أمير المؤمنين يومه هذا أول يوم قعد فيه للناس في المجلس الغربي المعروف بمجلس الأجراء في السطح العلوي على الرياض، فقابل بمقعده مقعد أبيه الخليفة، وقد تجلل بالوقار وأظلمته السكينة فأشبهه أباه وسيده أمير المؤمنين، ومائله في شعر قاله فيه عُبَيْد الله بن يَحْيَى أول قعود قعده للناس صدر دولة أبيه الناصر لدين الله^(١) رحمه الله في أضحى سنة ثمان وثلاثمائة: [من البسيط]

(١) توفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦٢م، بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً، وهو أول من تسمى بـ «أمير»

كَهْلُ الْقَرِيحَةِ طِفْلُ السِّنِّ مُقْتَبِلٌ كَذَلِكَ أَنْجَبَهُ كَهْلُ الثَّهْيِ يَفْعُ^(١)

فحجب الأمير هشاماً يومه هذا عن ذات اليمين خاله رائق بن الحكم، وصاحب الشرطة الوسطى عبد الرّخمن بن يَحْيَى بن هاشم الثّجيبى، وعن ذات اليسار صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن إدريس، وتحتة صاحب الشرطة العليا والحشم قاسم بن طُمّلس، ووصل صفّهم من رسم للتبيين، إلى هنالك من طبقات أكابر أهل الخدمة قد ألحق منهم بأولاد الوزراء أكثرهم أبناء الأحياء منهم، فيهم بنو الوزيرين: عبد الرّخمن بن موسى بن مُحَمَّد بن حُدَيْر بن موسى، ومُحَمَّد بن أحمد، وبنو الوزير مُحَمَّد بن عبد الله بن بَذَر، وبنو الوزير جَعْفَر بن عُثمان، وبنو الوزير مُحَمَّد بن عباس، وأبناء الوزير أحمد بن عبد الملك بن شَهِيد، ومُحَمَّد ابن الوزير سَعْد بن الحكم. ودخل مدخلهم ولحق بخاصتهم من غير أبناء الوزراء أولاد صاحب المدينة مُحَمَّد بن أفلح، ومحمد بن رَزَق بن الحكم، وأبناء أحمد بن عبد الحميد بن بَسِيل، وغيرهم. وكان عن يمين الأمير أبي الوليد من الفتيان الأكابر الخلفاء مَعْقِل الفتى الكبير خادمه، وعن يساره منهم سُكْر الفتى الكبير، وبعده مُرتاح الفتى الكبير خادمه، واصطفت عن يمنة منه فتيان القصر بِقُرْطُبة، آخر الدول منهم، فكان لهذا اليوم موسم وسيم وحفل عظيم، ظل كل من بدأ بالتسليم على أمير المؤمنين من رجال قريش والموالي وطبقات رجال قُرْطُبة وصنوف الأجناد وبياضها وعلماؤها أهل الشورى والقضاة بالكور والحكام وأكابر الأجناد يُثْنُونَ بالأمير [أبي] الوليد هِشَام بن أمير المؤمنين بالتسليم فوجاً بعد فوج وجملةً بعد جملة، اشتمل ذلك على الوجوه الإخوة أعمامه ومن يليهم من الوزراء والحكام والأعلام. [وتقدم] الخليفة المستنصر بالله الحَكَم أمير المؤمنين بإنذار حَسَن وَيَحْيَى ابني القَاسِمِ الحَسَنيين المُستَترَكَيْن من العُدُوَّة بحضور هذا اليوم، فحضر وقضيا حق التسليم عليه وعلى الأمير ولده مع بنيهما وأهليهما، فكان حضورهم يومئذ مُذْعِنِينَ^(٢) بعد ما كان من عُتُوهِمْ^(٣) مُحَارِبِينَ، من أرفع زين ذلك العيد وأذهب في اكتمال العزة، وأقعدت جماعتهم بعد

= المؤمنين» في الأندلس، إذ كان الأمراء من قبله يُسَلِّم عليهم، وَتُخَطَّب لهم بالإمارة فقط. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٦).

(١) القريحة (من الإنسان): طبيعته التي جُبلَ عليها، أو ملكة يستطيع بها ابتداء الكلام وإبداء الرأي. النهى: العقل. وأراد بكهل القريحة والنهى: الاتزان والرشاد واستحكام العقل والتصرف والسلوك. اليفع واليافع: الذي شارف الاحتلام.

(٢) أذعن: خضع وانقاد.

(٣) العُتُو: الاستكبار وتجاوز الحد.

قضائهم ما عليهم في البهو الثاني المتصل بالبهو الذي قعد فيه الخليفة يعاينون جلال الحال إلى أن حان خروجهم مع قریش الصلب، قد بلغت قلوبهم الحناجر^(١) أسي وحسرة. وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك كله تستبق في وصف هذا اليوم مرتجلة ومنشدة فأكثرت واسحقرت^(٢)، فكان من أحسن ذلك لدينا قول أحمد بن عبد الملك في قصيدة حسنة أولها: [من الطويل]

جَلا العیدُ بَذَرَ المَلِكِ في فَلَكِ العُلَى	قَلَمُ يَأْلُ في تَحْسِينِهِ حُسْنُ ما اجْتَلَى ^(٣)
هَلالُ أضواءِ الأرضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً	فَكَبُرَ رَأْيُهُ سُروراً وَهَلالاً ^(٤)
تَطْلُعُ بدرأ كاملاً وإذا وَفَتْ	لَيالِيهِ واستَوْفَى السَّنا كان أَكْمَلًا ^(٥)
كسا العیدِ إشراقاً بَغْرَتِهِ التي	يَكْفُ سَناءُ الطَّرْفِ أَنْ يَتَأَمَّلًا ^(٦)
وَجَلَّلَهُ نُوراً وَإِنْ كانَ لَمْ يَزَلْ	بِئُورِ أَبِيهِ مُنْذُ كانَ مُجَلَّلًا ^(٧)
وفي وَضَحِ التَّحْجِيلِ لِلخَيْلِ زِينَةُ	وَقَدْ فَضَّلُوا مِنْها الأَغْرَ الْمُحْجَلًا ^(٨)
أعادَ الرِّبيعَ الطَّلَقَ قَبْلَ أوانِهِ	بِوَجْهِ أَراهِ الدَّهْرَ بالسَّعْدِ مُقْبِلًا ^(٩)
وَرَدَّ على الأرضِ الرِّياضَ وَزَهْرَها	وأَوْسَعَ مِنْها الخِضْبَ ما كانَ مُمَجَّلًا ^(١٠)
حَباءُ أميرِ المؤمنينِ خَلائِقاً	هي الرِّوضُ جادَتُهُ السَّحائبُ حُفلاً ^(١١)
وَألقى عليه شِبْهَهُ فاعْتَلَى بِهِ	على الخَلْقِ فَضلاً بائناً وَتَفَضَّلًا ^(١٢)
وَقَدَّمَهُ في العیدِ مُجْتَلِياً لَهُ	فَأَكْرَمَ بِما جَلَّاهُ مِنْهُ وما اجْتَلَى
وَحَمَلَهُ عَهْدَ الخِلافَةِ نَاشِئاً	فَقَامَ بِهِ لا يَأْتَلِي مُتَجَمِّلاً ^(١٣)

(١) بلغت القلوب الحناجر: صعدت إليها من الخوف.

(٢) اسحقرت الشاعر أو الخطيب في كلامه: مضى فيه ولم يتمكث.

(٣) جلا: كشف وأظهر. لم يأل: لم يقصر أو يبطئ.

(٤) هَلَل الرجل: قال: لا إله إلا الله.

(٥) السنا: البريق واللمعان.

(٦) الغرّة (من الهلال): طلعت، و (من الرجل): وجهه، وغرّة كل شيء: أوله وأكرمه.

(٧) جَلَّل الشيء: عَمَّ أو شمله أو غطاه.

(٨) التحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في جزء منها لا يجاوز الركبتين والعرقوبين.

(٩) الطَّلَق: الضاحك المُسْتَبِير.

(١٠) المُمَجَّل: المُجْدِب.

(١١) حَباء: اخفضه. جادته السحاب: أصابته أو عَمَّتْه بأمطارها. الحُفْل: الممتلئة بالماء.

(١٢) البائن: الظاهر الواضح، يقال: بان الشيء بياناً: ظهر واتضح.

(١٣) المُتَجَمَّل: من تجمَّل الرجل: أظهر ما يَجُمَل، أو تكلف الحسن والجمال.

كَفَيْلًا بِأَنْ يَكْفِيَهُ كُلَّ عَظِيمَةٍ مِنْ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِ قَدْ تَكْفَّلَا^(١)
تَبَوَّأُوا مِنْ قَصْرِ الْخِلَافَةِ مَنَزَلًا وَبَوَّأَهُ بِالسَّعْدِ وَالْيَمَنِ مَنَزَلًا^(٢)
وَلَمَّا دَنَا إِذْنُ السَّلَامِ عَلَيْهِمَا وَأَسْمَعْنَا دَاعِ بِهِ قَدْ تَوَكَّلَا
تَوَافَى الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ فَقَبَّلُوا يَدَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى أَخِيرًا وَأَوَّلًا
فَمَا عَدِمُوا أَنْ قَبَّلُوا الْبَحْرَ زَاخِرًا بِأَرْزَاقِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالْعَيْنِ مُسْبِلًا^(٣)
وَمَا اعْتَزَّ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أَعِزَّةً عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى قَبَّلُوهَا تَذَلُّلًا^(٤)
وَأَمُوا وَلِيَ الْعَهْدِ فِي الْمَحْفَلِ الَّذِي تَمَتَّى الْعِدَا أَنْ يَخْدِمُوا فِيهِ مَخْفَلًا^(٥)
فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ تَدَانُوا تَوَاضَعًا بِقَدْرِ سَمَا فَوْقَ السَّمَائِينَ وَاعْتَلَى^(٦)
وَمَدَّ إِلَيْهِمْ رَاحَةً حَكَمِيَّةً مُمْلِكَةً رِقِّ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا^(٧)
تَوَافَوْا عَلَى تَقْبِيلِهَا فَرَحًا بِهَا كَأَنَّهُمْ هَيْمٌ يُوَافِينَ مَنَهَلًا^(٨)
وَقَدْ خَاَمَرَتْهُمْ هَيْبَةٌ خَضَعُوا لَهَا خُضُوعَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَبْصَرْنَ أَجْدَلًا^(٩)
فَلَوْلَا تَوَالِي بِشْرِهِ لِنُفُوسِهِمْ لَهَمَّتْ عَنِ الْأَجْسَادِ أَنْ تَتَرَحَّلَا^(١٠)
أَلَا يَا وَلِيَ الْعَهْدِ دَعْوَةَ خَائِمِ رَأَى مَنَهَلًا عَذْبًا فَأَمَّ لِیْنَهَلًا^(١١)
تَقَدَّمَ فِي تَأْمِيلِ جَاهِكَ نَاشِئًا فَأَخْرَزَ مِنْ نُعْمَاهُ مَا كَانَ أَمْلًا

(١) العظيمة: الأمر الشديد الصعب. تَكْفَّلَ بالشيء: ألزمه نفسه وتَحَمَّلَ به، يقال: تَكْفَّلَ بالدين: التزم به.

(٢) تَبَوَّأَ المكان وبه: نزله وأقام به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩].
الْيَمَنِ: البركة والخير.

(٣) الزَّاخِرُ: الطامي، الفائض، الممتلئ. الْعَيْنُ: المطر. الْمُسْبِلُ: المطر الهاطل.

(٤) اغْتَزَّ القوم: شَرَفُوا، بَرِثُوا مِنَ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ.

(٥) أَمَّ الشيء، وإليه أَمَّا: قَصَدَهُ.

(٦) السَّمَائِينَ: نجمان نيران، أحدهما في الشمال، وهو السَّمَاءُ الرَّامِحُ، والآخر في الجنوب، وهو السَّمَاءُ الْأَعْزَلُ.

(٧) حَكَمِيَّةٌ: نسبة إلى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصَرِ الْخَلِيفَةِ. الرِّقُّ: العبودية.

(٨) الْهَيْمُ: جمع الْأَهْمِيمِ، وهو من الرجال أو الإبل: الْعَطْشَانُ أَشَدَّ الْعَطْشِ. الْمَنَهْلُ: مَوْزِدُ الْمَاءِ، الْمَشْرَبُ.

(٩) خَاَمَرَتْهُمْ: خَالَطَتْهُمْ، مَا زَجَّتْهُمْ. الْأَجْدَلُ: الصقر.

(١٠) الْبِشْرُ: الطلاقة وَتَهْلُلُ الْوَجْهَ.

(١١) الْحَائِمُ: من حَامٍ حَوْلَ الشَّيْءِ، وَعَلَيْهِ - حَوْمًا، وَحَوْمَانًا -: دَارُ.

وَأَنْتَ لَهُ مَوْلَى كَرِيمٌ وَإِنَّمَا يُؤْمَلُ أَنْ يَدْعُوكَ مَوْلَى وَمَوْزِلًا^(١)
وفي يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة أنوأت^(٢) السماء، ونزل
الغيث يوم الخميس فروت الأرض وأطلقت الحرث.
وفي العشر الأواخر منها وصل إلى قُرْطُبَةَ صاحب الشرطة الوسطى والسكة
والمواريث قاضي إشبيلية مُحَمَّدُ بن عبد الله بن أبي عَامِرٍ عليلاً مُنْصَرَفَهُ من العسكر
بأرض المغرب.

ذكر خبر سباق الطاغية غرسية بن فرذلند صاحب قشتيلة وإلبة إلى نكت السلم
إثر إظهار الرغبة في إمضائها^(٣) وإنفاذ رسله إلى الحضرة وتوكيدها منتهزاً فرصة اشتغال
السلطان بحرب المخالفين له بأرض العُدُوَّة وتصديره أكابر قواده وأكابر أجناده وراء
البحر لقتالهم واشتمال ذلك الطاغية على أكثر طواغيت^(٤) النصاري المكتنفين^(٥) لبلد
الإسلام وما أعقب ذلك من نصر الله لأهل كلمته وأحاق^(٦) بالعدو من وقته^(٧) وخزيره.
ففي يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة
انتكات الطاغية غرسية بن فرذلند بن غند شلب صاحب قشتيلة إثر إظهاره الرغبة في
توثيقها وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين وإغارته الشعواء^(٨) على حصن دَسَّة وما يليه
من عمل بني عمريل بن تيملت ضحوة يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة
منها، ومواضعة أهل الحصن الحرب وإحراقه زروعهم واستياقه كثيراً من سوامهم^(٩)
ونفور زروال ومضا ابني عمريل بن تيملت واليَّي الناحية إثره فيمن نفر معهما من
أصحابهما فاستنقذوا البقر والغنم وقتلوا من مستاقها أعلجاً، فخرجت عليهم خيل ثقيلة
من مكمن للخنازير لم يحتسبوه فنزل بينهم القتال ملياً واشتد، فأصيب القائد زروال
بطعنة كانت منها نفسه واستشهد رحمة الله عليه، مقبلاً على قِزْنِهِ^(١٠)، وجرت الوقعة

(١) المَوْزِلُ: الملجأ.

(٢) أنوأت السماء: كَسَّاهَا الغَيْمُ.

(٣) أَمْضَى الأَمْرُ إِمْضَاءً: أَتَمَّهُ.

(٤) الطواغيت: جمع الطاغوت: الكثير الطغيان، أو الرأس في الضلال.

(٥) الْمُكْتَنِفُونَ: المُحِيطُونَ.

(٦) أَحَاقَ بِالْعَدُوِّ: أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ.

(٧) الْوَقْتُ: الإِكْرَاهُ وَالْقَسْرُ.

(٨) الشعواء: الْمُتَشِيرَةُ الْمُتَفَرِّقَةُ الْفَاشِيَّة.

(٩) السَّوَامُ: كُلُّ إِبِلٍ أَوْ مَاشِيَةٍ تُرْسَلُ إِلَى الْمَرْعَى وَلَا تُغْلَفُ.

(١٠) الْقِرْنُ: المِثِيلُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْقِتَالِ.

في هذا اليوم المؤرخ في موضع يعرف بفحص البركة بالقرب من حصن مضا.

فعند ورود هذا الخبر أمر أمير المؤمنين باستصراف رسل اللعين غرسية الوافدين كانوا عليه في تأكيد أمر السلم الراجعين بجوابه يوم الجمعة، مسعفاً برغبته، وسيق إليهم فرائق^(١) أمرهم بالانصراف، فأبوا عليه وهُمُّوا به ونفذوا لوجهتهم، فأخرج السلطان إثرهم أفلح الوكيل في دار الخيل في مقب^(٢) من وجوه الجند فيهم نُعبان بن أحمد، وحُسين بن إبراهيم الخليج، وغيرهما، في عدد لفيف^(٣)، ألفوهم مخفين ببعض أهضام^(٤) بلد كركي متكين^(٥) للطريق، فصرفوهم مكرهين أعنف مصرف وشدّ محبسهم.

ذكر اجتباء^(٦) الخليفة لفرسان البرابرة العدويين عقب اجتوائه إياهم راكباً سبيل سلفه بني مروان في اجتبايهم، واستحدثه هو الرغبة فيهم إثر رغبته عنهم، وإعجابه بهم بعد ازوراره^(٧) عنهم، وما جرّ ذلك من الاستكثار منهم وإحسانه إليهم، فكان ذلك من بعده سبباً لتقدمهم طوائف الجند الأندلسي وهدمهم للملك العادي وإلقاحهم للفتنة البربرية الحالقة^(٨)، قضاء من المهيمن لم تكن لديه من دونه كاشفة^(٩).

أقول: لم يزل الخليفة الحكم سالكاً سبيل والده الخليفة الناصر السامي بقدره إلى ملك فُرصة بلد العُدوة سَبْتَة، المرهوبة من تقحم^(١٠) أهلها ومن وراءهم من البرابرة عليه، فحازها دون من كان قبله من آبائه استظهاراً على ضبط المجاز عليه وإليه، واستطالة بفضل قوته واشتداد سلطانه، معتلياً على من جنح من أمرائها، منطوياً على الحذر من بوادره^(١١)، معتقداً قلاهم^(١٢) والازورارَ عنهم، مقتصرأً على من

(١) الفرائق: دليل الجيش، أو القائم بأمر البريد.

(٢) المقبُّب: جماعة من الفرسان دون المائة، تجتمع للغارة.

(٣) اللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، أو من أخلاط شتى، فيهم الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف، قال تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

(٤) الأهضام: جمع الهُضم: المُطمئن من الأرض أو بطن الوادي.

(٥) تَنَكَّبَ الرجل: مشى في شِقْ، وتَنَكَّبَ الطريقَ المُعْرَجَ: تَجَنَّبَهُ، وتَنَحَّى عنه.

(٦) اجتبى فلان فلاناً: اختاره واصطفاه.

(٧) ازوَّرَ عنهم ازوراراً: مال وعدل.

(٨) الحالقة: السريعة، أو المشؤومة، أو المهلكة.

(٩) كاشفة: من كشف عنه الكَرْبَ أو الغَمَّ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

(١٠) التَّقْحُمُ: الدخول في الأمر من غير تفكير أو روية.

(١١) البوادر: جمع البادرة: ما ييدر من الرجل عند غضبه من خطيئ أو سَقَط، أو الغضبة السريعة، أو الكلمة العوراء. ومنه يقال في الحليم: «فلان لا تُخشى بوادره».

(١٢) القَلَى: الكُرَةُ والبُغْضُ.

أظهر مكاتبته منه ومولاته على بعد واحتراس من كيادهم^(١)، مطبياً لهم بالإهداء والرغد^(٢)، غير مستدع لهم إلى العبور عليه ولا مستكثر منهم بالإمداد لهم، مقتنعاً برجال أندلسه وصنائع سلفه، غانياً^(٣) بهم عمن سواهم، لا يستخدم من البرابر إلا أراذلهم وعبدانهم من أشابتهم^(٤) وأساودهم^(٥)، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصراً بهم على أدنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في أشقّ الخدمة. وأنهى خلفه ابنه الخليفة الحكم في امتثال ذلك صَدَرَ دولته، وشَدَّ يداً باستعماله، وربط قلباً على إبراهيم^(٦) [وأصبح] أبين اعتقاداً فيه، وأشدَّ زياداً^(٧) لغلمان وأحشامه وأجناده عن التشبه بالبرابرة والتشكل بشكلهم والاستعمال لشيء من زيهم في ملابسهم ومراكبهم، حتى لو وقعت عينه يوماً في موكب له كان إلى الزهراء وطنه على غلام له راكب على فرس بسرج عُدويّ الصنعة، لطيف دفتي المجلس، قصير قربوسي^(٨) المركب: المقدم والمؤخر، لم يُسبق العبد إلى مثله، فأنكره إنكاراً شديداً، وازور^(٩) عنه، ولم يتمالك إلا أن سارَ فيه إلى حاجبه جعفر الصقلي، وهو إلى جانبه، منكراً غفلته عن تغييره، وتقدم إليه بإغلاظ عقاب العبد، وإحراق السرج بدار الجند قدام من حضر منهم إثر نزوله، إشاعة لإنكاره، فنفذ ذلك لوقته، واشتد العجبُ من غلط نكيره وارتدع^(١٠) من شاهد ذلك عن امتثاله مع استحسان أكثرهم له.

فلم يك إلا ريثما امتحن الله الخليفة بحرب بني مُحَمَّد الحسنيين المنتزين عليه بأرض العُدوة المجاورين لعمله هناك وَلَجَاجه^(١١) في غلبهم بزيادة قوته على قواهم، وجلالة مملكته على قفرهم^(١٢) وانسلاخهم إلى البربر أخوالهم وأنصارهم، فصرف

(١) الكياد: المكر والخديعة والاحتيال.

(٢) الرغد: المعونة والمساعدة.

(٣) غانياً بهم: مُكْتَفِياً.

(٤) الأشابة (من الناس): الأخطا.

(٥) الأساود: جمع السواد: أتباع الأمير وحاشيته وأمتعته، والسواد (من العسكر): ما يشتمل عليه من المضارب والآلات والدواب وغيرها، والسواد (من الناس): معظمهم.

(٦) الإبرام: الإحكام.

(٧) الذَيَادُ: الدفع والطرد، يقال: ذاده ذوداً، وذياًداً: دفعه وطرده، وذاد الدابة: ساقها.

(٨) القَرْبُوس: جنس السَّرج، وهما قربوسان.

(٩) اِزْوَرَّ عنه: مال وأغْرَضَ.

(١٠) ارتدع: كَفَّ وامتنع.

(١١) اللَّجَاج: يقال: لَجَّ في الأمر لجاجاً ولجاجة: لازمه وأبى أن ينصرف عنه.

(١٢) القَفَرُ: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً، ودار قفر: خالية.

كيدهم إليهم، وأرسل جنوده عليهم، فلاقى من صدق مراس^(١) رجالهم وشدة بأسهم على قلة عددهم ما ملأوا به عباب سيله^(٢) ومارسوا برعالمهم ألاف كراديسه^(٣)، فصابروا جلادهم^(٤)، وقاوموا قراعهم^(٥)، وأبرؤا في بعض المواطن عليهم، حتى لقتلوا ابن طملس القائد الجليل أول ناهد^(٦) بالجيوش إليهم في طائفة من حماة الجند، أشجوا فيه الخليفة الحكم وحرّقه، فتجرد لهم لمراسهم، واستلج في مناواتهم^(٧)، فقاد خيول الأندلس إليهم، وربط أكابر قواده بشعرهم، وغطى البحر بينه وبينهم بأساطيل الأموال والأسلحة والعُدَد والأطعمة التي أفرغها على ممارسيهم وتحويل المستمالين من أهل بلدهم عليهم، حتى قهرهم فاستزلهم عن صياصيتهم^(٨)، وغلبهم على ديارهم، وأسكنهم الأندلس صافحاً عنهم بعد ما كان من إساءتهم؛ ووافته على ذلك شارة رجال هؤلاء الحسينيين من غلمانهم وصنائعهم المرغبين لهم وله بإذعانهم للذي سبق لهم لديه من الاغتصاص بمرارتهم والاعتراف بآسهم، فاستضم جميعهم عنهم، وألحقهم بجنده، ونعشهم بعطائه، وبوأهم^(٩) بداره وكانوا عدة من أوزاع^(١٠) الناس موالٍ وأحرار، فيهم فرسان صدق شُهرُوا بالأس قبلهم في الغناء^(١١) ونوه بهم في الأكفاء^(١٢) وقد سبق له قبل ذلك مثل فعله ذلك في عبيد الأندلسي جَعْفَر وَيَحْيَى المستأمنين له من عمال مَعَدَّ الشيعي صاحب إفريقية عند

(١) المراس: يقال: فلان ذو مراس: ذو جَلْدٍ وَقُوَّةٍ في ممارسة الأمور ومعالجتها.

(٢) العباب: كثرة الماء والسيل، أو ارتفاع الموج واصطخابه.

(٣) الرعال: جميع الرعي: الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل، أو التي تَتَقَدَّم غيرها. الألاف: جميع اللفي: ما اجتمع من الناس من أخلاط شَتَّى. الكراديس: جمع الكردوسة: الطائفة العظيمة من الخيل والجيش.

(٤) الجِلَادُ: المضاربة بالسيوف، يقال: جالده بالسيف مجالدةً وجلاداً: ضاربه به. ومنه: جَلَدَ جلادةً: قَوِيَّ وَصَبْرَ على المكروه.

(٥) القِرَاعُ: المضاربة بالسيوف أو المطاعنة بالرمح، يقال: تقارع الأبطال بالرمح أو بالسيوف: تطاعنوا أو تضاربوا بها.

(٦) الناهد: اسم فاعل من نهذ فلان: نهض ومضى، أو نهذ لِعَدُوِّهِ نهذاً: صَمَدَ له، وَشَرَعَ في قتاله.

(٧) المَنَاوَةُ: المفاخرة، والمعاداة.

(٨) الصياصي: الحصون، الواحدة: صَيْصِيَّة.

(٩) بَوَّأهم الدار وبها: أنزلهم فيها، وبَوَّأ المنزل له: أَعَدَّهُ.

(١٠) الأوزاع: الجماعات.

(١١) الغَنَاءُ: النفع والكفاية.

(١٢) الأكفاء: جمع الكفاء: المماثل، أو القويُّ القادر على تصريف الأعمال.

سخطه عليهما لامتناعهما من تصييرهم إليه بالثمن الذي بذله فيهم إلى أن استدعيا رضاه عنهما بالإفراج له عنهم، فاستضمهم عند ذلك ومن داخلهم من الأحرار أصحابهما إلى أول من قد كان استضمه من سواقط رجال أهل العُدوة الهاوين إليه^(١)، وفيهم رجال مقدمون في البأس والرجولة اقترن بهم عن ما قليل رجال هؤلاء الحسينيين فاستكمل بهم فئة بربرية رائقة^(٢) ضخمة تعزّزوا بالمستأمنين قبل إليه من ضيابة^(٣) بني برزال المقدمين على جماعتهم في البأس والنجدة وهم الذين كانوا ضاموا ابني علي في لقاء زيري بن مَناد الصَّنْهاجي أمير مَعَدَّ على المغرب وأتيح لهم قتله، فطار لهم بذلك اسم عظيم نفقوا به على الخليفة الحكم. وقد نبت بهم دارهم^(٤) بالعُدوة رهبةً لابنه بُلْقَيْن بن زيري طالب ثأره، فانحازوا إلى الأندلس باستدعاء من الخليفة الحكم لهم ومضمون حسن قبول، وواسع عطاء وُقِيَ لهم بهما، فأوى وأحسن ونوه وقَدَّم، ذلك وقد أغمض فيهم على عوراء نحلة^(٥) تبعدهم عنه على تسننه^(٦) واشتداده في حفظ دينه ومعرفته بخارجيتهم، واعتقادهم للمقالة النكارية من فرق الإباضية^(٧) التي تفرد بها في هذا العصر إمامهم أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد القائم على الشيعة. فتقبلهم معرضاً عن نحلته على بصيرة مسمحة واكتملت بهم لديه، آخر دولته القصيرة، من هذه الفرق الثلاث البربرية الرجال: رجال بني حسن ورجال ابني الأندلسي، ورجال البرازلة، عسكر ضخم يقاربون السبعمئة فارس، فيهم وجوه وأعلام حازوا عما قليل بالعسكر الرئاسة، جميعهم من البربر الذين طال مقت^(٨) السلطان لهم وزهده فيهم، فمنحهم الله قبوله، وحسن عنده زِيهِم، واستنبل^(٩) تخفيفهم في مراكبهم، وانكماشهم في ثقلهم، ورأى أن أخذهم بذلك في آلتهم أليقُ بصناعتهم وأرفق بخيولهم، حتى

(١) السواقط من الرجال: اللثام في أحسابهم وأنفسهم، أو المتأخرون عن غيرهم في الفضائل.

الهاوين إليه: القادمون إليه، المُسرِّعون، يقال: هوى فلان في السير: مضى، أو أسرع.

(٢) الرائقة: الحسنة، المُعجبة.

(٣) الضيابة والضُوبة (من القوم): خيارهم وأشرفهم.

(٤) نبت بهم الدار: لم يطمئنتوا فيها، يقال: نبا الشيء بُبُوًا وَتَبُوَةً: لم يَسْتَوِ، ونا جنبه عن الفراش: لم يطمئن به.

(٥) العوراء: الكلمة، أو الفعل القبيحة. النُحْلة: الدين والعقيدة، أو الدعوى والنسبة بالباطل.

(٦) تَسَنَّ الرجل: أخذ بالسنة النبوية وعمل بها.

(٧) الإباضية: فرقة من الخوارج شاع أمرها في أواخر الدولة الأموية، وتُنسب إلى عبد الله بن إياض التيمي.

(٨) مَقَّت السلطان: بَغَضَهُ، يقال: مَقَّت فلاناً مَقْتًا: أبغضه أشد البغض.

(٩) استنبل الشيء: رآه أو عَدَّه نبيلًا، والنبيل: الشريف، يقال: نَبَل الرجل نُبْلًا وَنَبَالَةً: عَظَّمَ وَشَرَّفَ.

لظل أيام عِلته يشرف عليهم من قصبة دار الرخام المرسوم صحنها، باعتراض الجند أيام إعطائهم، يتطلع على فرسان البرابر إذا تحركوا للعب، شاخصاً إليهم معجباً بهم، يقول لمن حوله: انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم فكأنهم الذين عناهم الشاعر بقوله^(١): [من الكامل]

فَكَأَنَّمَا وُلِدَتْ قِيَاماً تَخْتَهُمُ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٢)

ما أعجب انقيادها لهم، كأنها تفهم كلامهم! فيعجب سامعوه من سرعة تحوّل رأيه فيهم، وذلك كله من تهيئة المقدار المقضي^(٣) من الله بهم على عباده ما قدّر جزيه على أيديهم لما اجتباهم الخليفة الحكم رحمه الله لولده المرشح لمكانه، ووسمهم باصطناعه، وصرف أمورهم إلى خاصته من وزرائه، جَعَفَر بن عثمان المُصْحَفِي، أثيره المدبّر لدولته، فاعتلوا بمكانه، وأسرع موت الحكم على تهيئة ذلك فأعقبهم عاقب جَعَفَر بن عثمان في تدبير سلطان هشام، الوالي بعده، مُحَمَّد بن أبي عامر، خيره فاستظهر بهم على شأنه حين استولى على الملك، فعلاهم على طبقات أجناده، واصطفاهم لنفسه، فخاض بهم الدياجير^(٤) في حياته، واعتدوا بعده على الخليفة في معنى الامتعاظ منهم، لعدوانهم على ولده اعتداءً أصارهم إلى ما هم الآن بصده من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف بالجزيرة على الهلكة إلا إن كان لله - تعالى جدّه - بعد تقضي القرن المزدلف^(٥) انسلاخه بانتياش^(٦) الإسلام من حاجة يردّ بها لأهله الكرة، فهو عليها قدير وبها جدير، عزّ وجهه وتعالى جدّه. تمت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

(١) الشاعر: هو أبو الطيب المتنبّي المتوفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. والبيت في ديوانه: ٣٤٠/١، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران.

(٢) في الديوان: «فَكَأَنَّمَا نُتِجَتْ». وَتُجِتْ: وُلِدَتْ. قِيَاماً: أي وهي قائمة، الصهوة: مقعد الفارس من السرج.

(٣) المقدار المقضي: القَدَرُ الذي قَدَرَهُ الله سبحانه، وأمضاه.

(٤) الدياجير: الظلمات، المفرد: ديجور.

(٥) المزدلف: المتقدم، يقال: ازدلف الشيءُ وَزَلَفَ: دنا وتقدّم.

(٦) الانتياش: من انتاش الشيء: طلبه، أو تناوله وأخذه.

سنة أربع وستين وثلاثمائة

ذكر قدوم الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّحمن قافلاً من العُدوة ومعه حسن بن قنّون وشيعته

ففي يوم الأربعاء لثلاث خلون من المحرم احتل الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّحمن في المحلة على وادي سوس^(١) قافلاً من بلاد العُدوة ومعه بنو إدريس الحسنيون القرشيون ملوك الغرب المستنزلون من معاقلهم إلى الأندلس حافين بشيخهم وكبيرهم المشتهر معرفته بـ«حنون»، واسمه أحمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - صاحب الأقاليم وما والاها من بلد العُدوة، معه أخوه إبراهيم بن عيسى، وابن عمه ميمون بن القاسم، وأخوه يحيى بن القاسم وبنوهم وأهلهم. فلما جنّ عليهم الظلام من ليلة الخميس لأربع خلون منه نفذ الأمر باحتمال عيال هؤلاء الأشراف من المحلة بوادي سوس إلى الدور التي أخليت لهم [في] مدينة قُزْبَة وفي أرباضها، تَوَخَّياً لِسْتَرَهَنَ عن العيون بجنان الليل. وقيد إليهنّ عدتهنّ من قُزْه المطايا^(٢) الفاخرة الحلبيّ، فأرسل القوم معهنّ ثقاتهم من الفتيان، فتيانهم ومواليهم، حتى أدوهنّ إلى الدور المستعد بها لهنّ بِقُزْبَة بعد أن فرشت مجالسها بالوطاء^(٣) السنيّ والغطاء السريّ، ونضدها^(٤) الفُراشون أتمّ تنضيد ومهدوها^(٥) أوطاً تمهيد، وأترعت مخازنها بالأطعمة وما يتخذ من الأصباغ والأدهان والأبازير^(٦) والأحطاب وغير ذلك من

(١) السوس: كورة في المغرب مدينتها طنجة. وهناك السوس الأقصى: كورة أخرى مدينتها طرقله. ومن السوس الأقصى إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين. (معجم البلدان، الحموي: ٢٨٠/٣).

(٢) قُزْه: جمع فاره: حسن جميل نشيط. المطايا: جمع المطية: ما يُمتطى (يركب) من الخيل.

(٣) الوطاء: المهادّ الوطيّ: الممهّد، الذي لا يؤذي جنب النائم.

(٤) نَضْدُها: رَتْبُها ونَسْقُها.

(٥) مَهْدُ الفراش: وَطْأه، بَسَطَهُ.

(٦) الأبازير: التوابل، المفرد: بَزْر.

العدة، إلى ما صيرَ فيها من الآلات والعدد والآنية وجميع المرافق اللائي تُعَمَّرُ بها المنازل، فأوين من سعة ذلك كله إلى ما أنهى وكفى وتجاوز كل غاية.

وعم الإنذار طبقات الأجناد والأولياء بالاستعداد للركوب لتلقي الوزير القائد غالب بن عبد الرُّخْمَن والإقبال بين يديه وتجويز الجند بالإنذار إلى بياض الرعية من أهل كور الأندلس للإقبال إلى قُرْطُبَة لحضوره. فاستبقوا إلى ذلك، وتكفل أصحاب الحشم القيام بما عليهم من استركاب الأجناد وإقامة مراتبهم، فأحكموا شأنه على عادتهم، وخرجت من مدينة الزهراء على صبيحة يوم الخميس لخمس خلون منه العدة والعديد، وكاتب الأجناد من الخمسين والمماليك والعبيد لتلقي الوزير غالب والإقبال بين يديه، فساعة وصلوا إليه تحرك من محلته في جمهور عسكره القفال^(١) معه وقد حفه من أكابر القواد الذين كانوا مضمومين إليه بعسكر المغرب متصرفين بأمره غازين تحت لوائه ستة رجال: مَيْسُور الرومي، ورَشِيق البرغواتي، وسَعْد بن عبد الرُّخْمَن المعروف بالجزري، وقَيْصَر، وجميعهم من الموالي، وعبد الله بن مَرْوَان بن مَسْلَمَة، وإسماعيل بن عبد الرُّخْمَن بن الشيخ، وكلاهما من رؤساء الخدمة، وسَلَمَة بن الحكم الجَعْفَرِي صاحب المخزول، وأحمد بن مُحَمَّد بن حَاجِب الخازن. وتحرك بحركة الوزير القائد غَالِب بنو إدريس القرشيون، وتقدم جميعهم في موكبه إلى [أَن] وصل إلى قنطرة قُرْطُبَة وقد قام بها الترتيب التام والتعبئة الكاملة من الرجال على صفين بأيديهم الترسه والرماح، وانتظم ترتيبهم إلى باب القصر، ومخلف المدينة مُحَمَّد ابن الوزير جَعْفَر بن عُثْمَان قد لزم القعود على الكرسي، وبين يديه صنوف العرفاء والمحارس وطبقات الشُّرط والمتسرين والمرتزين وغيرهم.

وتقدم الوزير غَالِب في أهل عسكره والقواد المذكورون حواليه، والمراتب والتعبئة بين يديه، والأشراف بنو إدريس وراءه قد رتبوا في الموكب على أسنانهم ومنازلهم، فمضى قدماً حتى تجاوز أبيات قُرْطُبَة، فاحتل محلته بفحص الناعورة، ونزل مظلة هناك، ونزل القواد أصحابه ونزل الأشراف في مظلات رفعت لهم، فأقاموا بمحلتهم هذه يوم الخميس ويوم الجمعة بعده. فلما كان يوم السبت [السيح] خلون من المحرم منها تولى تعبئة طبقات الأجناد وصنوف المماليك صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أَفْلَح وصاحب الشرطة العليا قَاسِم بن مُحَمَّد بن طُمْلَس وأخوه أحمد بن مُحَمَّد بن طُمْلَس وتقسيمهم على سماطين منتظمين من قصر الزهراء إلى مكان مضطرب الوزير القائد غَالِب بفحص الناعورة. فلما قاما مُهْذِبِينَ واستويا مُرْتَبِينَ، نفذ العهد إلى الوزير القائد غَالِب بالحركة في مَنْ معه، فركب ومن معه من قواده، وركب

(١) القفال: العائد.

الأشراف بنو إدريس مع بنيتهم وبنيتهم ورجالهم وأتباعهم، فتقدم وصاروا وراءه في أول الترتيب مع صفين متصليين من رجاله قُرُطَبَة وأقاليمها، بأيديهم الرماح والترسة، ثم تنقلوا عنهم إلى تعبئة الفرسان المُدْرَعِينَ^(١) الذين أحضرهم صقالبة القصر وأهل الخدمة، ثم تقدموا بين ترتيب فرسان الطنجيين المُدْرَعِينَ، ثم نهضوا بين صفي فرسان المُدْرَعِينَ، ثم ساروا بين سِمَاطِي^(٢) العرفاء المُدْرَعِينَ، ثم دخلوا بين صفي فرسان الخمسين وعبيد الدور والعبيد الرماة وعلى جميعهم الدروع والبيضات، ثم نهضوا بين ترتيب العبيد الجعفرين وقد لبسوا الأقبية^(٣) البيض وعلى رؤوسهم مقاريف^(٤) الوبر متنكبين قسيهم وكنائهم؛ ثم ساروا بين تعبئة الفرسان المُدْرَعِينَ الذين بأيديهم القنا المجردة، ثم نهضوا بين صفي الفرسان أصحاب الجواشن^(٥)، ثم تقدموا بين سِمَاطِي الفرسان أصحاب التجافيف^(٦) وبين أيديهم في صفينهم أصحاب القرون والطبول، ثم انتقلوا إلى صفي أصحاب البنود والرايات الرفيعة اللبسة الرائقة الخلعة وما معها من الرايات المصورة من صور الأسد والنمور والثعابين والعقبات وغيرها من التصاوير الهائلة، ثم ساروا بين صفي الجناثب المقربة^(٧) من خيول ومطايا الركاب بالسروج واللجم، والبغال المشاكلة لها، يكاد حسن مرآها يغلب على جميع ما احتفل فيه من الزينة. فلما انتهوا إلى باب مدينة الزهراء ساروا بين صفي رجاله المسترين والرماة الأحرار والمماليك أهل الصناعات السلطانية قد لبسوا المدارع الملونة وتنكبوا القسي الأعجمية إلى أول أبواب الأقباء وفي داخلها صفاً البوابين، وأعوان دور الطراز، وأعوان دور البرد بأيديهم السلاح الشاك قد انتهوا إلى باب دار الخيل، فتقدموهم ونهضوا بين صفين مُرْتَبِنِينَ من رجاله الرماة الأحرار عليهم الثياب الملونة من الإفرند وغيره، وعلى عواتقهم القسي. وكان صاحب مدينة الزهراء

(١) المدرعون: الذين يلبسون الدروع.

(٢) السِمَاطُ: الصف.

(٣) الأقبية: أثواب تلبس فوق الثياب، الواحد: قَبَاء.

(٤) المقاريف: ثياب خاصة بالرأس، كالقلنسوات ونحوها.

(٥) الجواشن: الدروع، الواحد: جوشن. ويقال: الجواشن من السلاح: زرد يُلَبَسُهُ الصُّدْرُ وَالْحَيْزُوم.

(٦) التجافيف: جمع التجفاف: ما يُوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب، أو ما جُلِّلَ به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح.

(٧) الجناثب: جمع الجنيبة: الدابة تُقَاد، ومنه يقال: فلان تُقَاد الجناثب بين يديه: إذا كان عظيمًا. المقربة: الفرس أو الناقة ونحوهما القريبة المُعَدَّة للركوب، أو الفرس تُكْرَمُ فَيَقْرَبُ مَرْبُطُهَا وَمَعْلَقُهَا.

مُحَمَّد بن أَفْلَح قاعداً على كرسيها في أهبتها الكاملة يرتب ما يلزمه ترتيبه؛ وتقدم الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمَن فدخل على باب السدة إلى القصر وبنو إدريس معه، فلما وصل بهم إلى دار الجند نفذ العهد بإنزالهم في المجالس القبلية بها، فنزلوا فيها وأنزل أعلام أصحابهم عند باب السدة، ومشوا من هناك إلى دار الجند، وصير جلوس أحمد بن عيسى شيخ بني إدريس وإبراهيم أخيه وميمون بن القاسم ويحيى أخيه وسائر بني مُحَمَّد وبعثهم في أوصال ديباج سرية وضعت لهم في البهو الأوسط على منازلهم. وكان قعود أصحابهم في المعترض بين يدي الأبهاء^(١). وتقدم عنهم الوزير القائد غَالِب إلى دار الوزراء فنزل بينهم وصار في فراشه به، والتزم القعود في فصلان باب السدة جزأً إلى دويرة البرطلات: البوابون والصيديون والغلمان والوكلاء بدور دواب السلطان ونظراؤهم في المصاطب^(٢) هناك على انتظامها في أكمل زي وأحسن شكل. واتصلت التعبئة بدار الجند من رجالة الرماة وعليهم الديباج وفي رؤوسهم مقاريف الوبر قد تنكبوا القسي الجميلة الصنعة وبأيديهم الدماغات والأحوزة والطبرزينات، وقعد أمير المؤمنين في المجلس الشرقي الموفي [على] الرياض والسطح العلي أفخم قعود وأسراه وأعظمه وأبهاه، وقد كان تقدم بإنذار الإخوة أبي الأصبغ شقيقه، وأبي القاسم الأصبغ، وأبي المطرف المغيرة فحضروا وتوصلوا قبل الناس وسلموا وقعدوا على مراتبهم. ثم توصل الوزراء إثرهم فسلموا وقعدوا على فجوة منهم على منازلهم، وقام منهم للحجاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَن عن يمينه وتحت زياد بن أفلح صاحب الخيل والحشم، والوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان عن يساره، وتحت مُحَمَّد بن أفلح صاحب المدينة بالزهراء. ثم دعي بأصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والعراض وأصحاب الحشم والكتاب والأهرايين وأولاد الوزراء الأحياء وإخوتهم والوصفاء أصحاب الركاب وأعيان الموالي القرطبيين الذين نفذ العهد بإحضارهم، فتوصل جميعهم وسلموا ووقفوا للحجاب على منازلهم، فكمّلوا الصقّين إلى آخر المجلس. وحضر هذا المجلس الحفيل قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إسحاق بن السليم والحكام أصحاب الشرطة: أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق، وخالد بن هشام صاحب الشرطة، وعبد الملك بن مُنذر صاحب الرّد، فقعدوا تحت الوزراء وقام صفان، وقد انتظما انتظام السلك، من الفتيان الأكابر الخلفاء، ثم الكُتّاب منهم، ثم الوصفاء من بين يدي السرير إلى آخر المجلس؛ عليهم الدروع السابغة والسيوف

(١) الأبهاء: جمع البهو: البيت المُقدّم أمام البيت، أو المكان المُخصّص لاستقبال الضيوف.

(٢) المصاطب: جمع المصطبة: بناء غير مرتفع يُجلّس عليه.

المرصعة الغمود^(١) بالجواهر المثمنة، فاتصل بهم في السطح من دونهم من الخصيان الصقالبة أهل الخدمة مدرعين متقلدين السيوف الحالية وعلى رؤوسهم الطشنيات الْمُفَضُّضَة مَآذِين (؟) عليهم مُدْرَعِينَ شَاكِي الأسلحة إلى المعترض بين يدي مجلس الأجراء الغربي، إلى الفصلان، إلى آخر فصيل الكتاب. واتصلت التعبئة بعدهم بدار الوزراء من رجالة فرسان الرياضة وعبيد الحاجب جعفر عليهم الدروع السابغة، وعلى رؤوسهم البيضات المذهبة، وبأيديهم الحراب العريضة الأسنة الفرنجية المزينة العصي بأنابيب الفضة، انتهى صفاهم إلى الفصيل المنسوب إلى أبي العراض. وقد صار في مصاطب تلك الفصلان بياض الكور المستعدون لحضور المشهد ومعهم مشيختهم من طوائف الأجناد المعفين من الركوب، وهم في أحسن زي، على رؤوسهم القلانس الموشية، قد تقلدوا السيوف الحالية.

فعند استيعاب هذه المراتب وتهذيب تعبئتها واستواء نظمها أمر الفتیان الكتاب بالخروج في أحمد بن عيسى، وإبراهيم أخيه، وميمون بن القاسم، ويحيى بن القاسم، وعيسى بن محمد بن إدريس بن مباله، ويحيى بن عيسى، وحسن بن محمد، والقاسم بن محمد، فقدموا منهم الأسن فالأسن، ونهضوا من موضع نزولهم بمجالس دار الجند بين المراتب المذكورة إلى أن وصلوا إلى دار الوزراء، ثم تقدم بهم في الفصلان إلى السطح العلي إلى أن انتهوا منه إلى المجلس الشرقي الذي قعد فيه أمير المؤمنين، فقدم عليهم شيخهم حنون بن أحمد بن عيسى فدنا وسلم وعزر^(٢) وعظم، فكرمه أمير المؤمنين بالعود ورفع منزلته في الجلوس، ثم قدم بعده الأسن فالأسن، كلما سلم المسلم منهم أحسن الرد عليه وأمره بالجلوس. فلما استوى مجلسهم افتتحهم أمير المؤمنين بالكلام فأنى عليهم وتشكر طاعتهم ووعدهم بإحسان مكافأتهم وترتيب النعمة عندهم، ثم أمر بإيصال بنيتهم الأكابر تشريفاً لهم، فكان ميمون وصل من أولاد أحمد بن عيسى شيخهم حسن بن أحمد مع ابنه علي، والقاسم بن أحمد، وحسين بن أحمد، وحمود بن أحمد. ووقف على الوصول منهم أصاغرهم وكانوا أحد عشر غلاماً وهم: علي آخر، وهارون، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، والنصر، وعيسى، وعبد الملك، وإدريس، وميمون، وقثون. ووصل من أكابر ولد أخيه إبراهيم بن عيسى ثلاثة وهم: أبو العيش، وعيسى، ومحمد. ووقف منهم صغيراهم قاسم وحسن، ولم يصل من أولاد ميمون بن القاسم أحد لصغرهم وكانوا

(١) الغُمود: جمع الغُمد: غِلَافُ السِّيف.

(٢) عَزَّرَ فلاناً: أَعَانَهُ وَقَوَّاهُ وَنَصَّرَهُ، قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]. وعَزَّرَهُ: عَظَّمَهُ وَوَقَّرَهُ.

خمسة غلمة وهم: أبو العيش، وإبراهيم، والقاسم، وحنون، ومُحمَّد. فلما وصل المأذون من ولدهم إلى أمير المؤمنين قدموا على منازلهم فسلموا وأقعدوا دون آبائهم على مراتبهم، فبسط أمير المؤمنين جماعتهم بسؤاله، ووعدهم بواكف فضله ووابل نواله، ثم خرجوا إلى مكان نزولهم من مجالس الجند، وقربت إليهم دوابهم فركبوا وانطلقوا لسيبلهم، والمراتب التي نظمت لدخولهم على هيئتها والتعبئة على انتظامها، وتقدم بهم من بلغهم إلى الدور التي كانت أعدت لهم وأنزل بها أهلهم، فأنتهي بزعيمهم أحمد بن عيسى بن حنون إلى الدار المنسوبة إلى مُحمَّد بن طرفة بظهر مقبرة بني عامر وبني بذر. وأنتهي بأخيه إبراهيم إلى الدار المنسوبة إلى سَعْد بربض مسجد متعة. وأنتهي بِمَيْمُون إلى الدار المنسوبة إلى ريان الوصيف بقرب المغار. وبلغ بسائر بني إدريس إلى دور قد استعد بها لهم بداخل مدينة قُزْبَة وفي أرباضها. وأنزل رجالهم وأصحابهم وخدمهم وأتباعهم هنالك في الدور المشاكلة لهم، وأجري عليهم من الإنزال ما عثمهم وغمرهم وفاض عليهم.

قال: وجلس بجلوس الخليفة الحكم هذا اليوم العميم ابنه الأمير أبو الوليد هِشَام في المجلس الغربي من مجالس الأجراء يقابل بقعوده فيه قعود الخليفة أبيه في المجلس الشرقي منها، فحجبه عن يمينه صاحب الشرطة الوسطى رائق بن الحكم خاله، وعن يساره صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عبيد الله بن إدريس، وتحتهما من أصحاب الشرطة وأصحاب المخزول والخزان والعُرَاض وطبقات أهل الخدمة وأولاد الوزراء وغيرهم، ممن عزل منهم لذلك عن مجلس أبيه، للتسليم عليه وقضاء حقه، فكان ذلك دأب من حضر هذا المشهد السنيسع^(١) حتى انقضى شأنه، وأذن لمن حضره من وجوه أهل الكور المجندين المستحضرين لشهوده بالوصول إلى أمير المؤمنين إثر خروج بني إدريس عنه، وقدموا على مراتبهم، فكان أول من توصل إليه منهم، ثم ثنى بالأمير ولده جند دمشق، وهم أهل كورة البيرة وأعمالها من غَرْناطة وشَاط وشبلين وبرجة ودلاية وباعة والقبذاق ولُوشة ويَحْصِب، ثم جند جَمْص، وهم أهل كورة إشبيلية ولَبْلَة، ثم جند الأردن، وهم أهل كورة رَية. وتوصل بوصولهم أهل كورة قَبْرة وبَيَّانة وبلاي، ثم جند فلسطين، وهم أهل كورة شَدُونَة والجزيرة، ثم جند قَنْسرين، وهم أهل كورة جَيَّان وأُبْدَة وبَيَّاسة وبسطة، ثم جند مصر، وهم أهل تَدْمِير وبَلْسِيَة. وتوصل معهم أهل مَوْزُور وقَرْمُونَة، ثم توصل أهل إِسْتِجَة وأشُونَة وتَاكْرُنَا، ثم أهل بَاجَة وأَكْشُونَة، ثم أهل بَطْلْيُوس، وتَابرة، ثم أهل ماردة وما يليها، ثم أهل طَلَيْطلة وقلعة رَباح وكركي، ثم أهل فريش ولَقْنَت وبطرلس وأهل غافق وبلي، ثم

(١) السنيسع: الحسن الجميل.

أهل شَنْتَرين والأشْبُونَة وشَنْترة، ثم أهل مدينة الفرج، ثم طَرْطُوشَة القاصية. فانفضى القعودان الرفيعان وقد تولى النهار، ونفذ العهد إلى أهل البلاد المستقدمين بالانطلاق إلى بلدانهم، ومكث تحدث الناس بينهم بفخامة هذا المشهد وجلالة يومه بِقَرْطَبَة مدة.

وفي عقب المحرم منها سخط الخليفة على الخازن أحمد بن مُحَمَّد بن حَاجِب فعزله عن الخزانة وأمر بحبسه في بيت العمال بفصيل باب الجنان من قصر قَرْطَبَة، وعزل في عقب صفر بعده منها صاحب المخزول سَلَمَة بن الحَكَم مولاة عن المخزول وسجنه بسجن الدويرة، وأمر بنقل أحمد بن مُحَمَّد بن حَاجِب من بيت العمال إلى الدويرة معه، فمكثا هنالك إلى أن صفح عنهما السلطان فأطلقهما معاً يوم الجمعة لستَ بقين من ربيع الأول، وأعاد سَلَمَة إلى المخزول وأحمد إلى الخزانة.

وفي يوم الإثنين لتسع بقين من صفر، وذلك عند انقضاء صلاة الظهر، تزلزلت الأرض بِقَرْطَبَة وما يليها زلزلة ظاهرة قصرت مدتها، وكانت في هذا الوقت بعينه بأكثر كور الأندلس، فكتب بشأنها صاحب الشرطة يَغْلَى بن أحمد بن يَغْلَى القائد بالجوف من مدينة قورية بتاريخها، وحد الوقت المذكور بعينه.

وفي ربيع الأول منها عقدت السجلات لقواعد الشجر الأوسط من أهلها بولاية أوطانهم بالمواضع المذكورة فيها على جاري عاداتهم وعلى ما نظر به الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَن زعيمهم، وسَمَاهم وسمى حصونهم وقراهم، فكان من مشهورهم مُحَمَّد وعيسى ابنا سُورور بن قُتَّة، وإبراهيم وثابت ابنا عبد الرَّحْمَن بن أبي الأخطل، ووليد وثابت ابنا سُلَيْمان بن عَامِر، وضيفم بن وَهَب بن أبي الأدهم وخالد بن رَزْوَال، ومُطَرَف بن خلف، وهُذَيْل بن خلف، وخلف بن غصن، وعَطِيَّة وكُلَيْب ابنا فرتون، ويَحْيَى ومُحَمَّد ابنا عيسى، وعبد الرَّحْمَن بن سَلَمَة بن أبي الأخطل، وغصن وأحمد وسرور بنو غزلون، وسُلَيْمان وعبد العزيز وعُبَيْد الله ومُنْذِر بنو عقال بن سَلَمَة. وسُجِّل لعيسى ومُحَمَّد وهَاشِم وأحمد وعيسى وعُبَيْد الله وعليّ وإبراهيم ولُبَّ بنو يَحْيَى بن هُذَيْل بن رَزِين على الحصون الواقعة في سجل أبيهم يَحْيَى بن هُذَيْل صدر خلافة المستنصر بالله.

ذكر اعتلال الخليفة الحكم

وفي يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول منها طاف على الخليفة الحكم طائف ألمٍ منعه الظهور لأهل مملكته، وأشفقت الرعية لما عراه^(١)،

(١) عَرَاهُ: أصابه.

وارتمضت^(١) وأعلنت الأدعية إلى الله تعالى في تعجيل فرجه . واحتجب أمير المؤمنين عن جميع أهل مملكته متدعاً في علته، من يوم الأحد المؤرخ إلى أن تخفف من وصبه^(٢) وغازلته عافيته وظهر لخاصته أول ظهوره وذلك يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر بعده، فأوصل إلى نفسه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقَرْطَبَة جَعْفَر بن عُثمان فكان أول من وصل إليه من وزرائه ورجال مملكته، اختصه على نظرائه وقدمه على قرنائه تشريفاً له وإظهاراً لخصوصيته به ومحله القريب لديه؛ وتوصل إليه في هذا اليوم بعينه أكابر الفتيان الخلفاء الصقالبة، فعمَّ الاستبشار^(٣)، وشملت المسار^(٤)، واختلصت الأدعية، وقُضيت النذور، وجال المبشرون على أفناء الناس يبشرونهم باستبلال^(٥) خليفتهم ويستخلصون له أدعيتهم، فتلاقوا أفواجاً يتهانون بينهم نعمة الله عليهم بعافية إمامهم، ويضرعون له في تكميلها له، وفسحة إمتاعهم به، وإكمال المنة عليه وعليهم فيه، وقالت الشعراء في ذكر هذا الطائف به وانجلائه عنه فأكثرته؛ فمن ذلك صاحب الشرطة الوسطى يَغْلَى بن أحمد بن يَغْلَى^(٦): [من السريع]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ	قَدْ ذَهَبَ [الْغَم] وَجَاءَ السُّرُورُ
وَابْتَهَجَ الدِّينُ وَعَزَّ الْهُدَى	وَاعْتَدَلَ الْمَلِكُ وَضَاءَ الْبَدِيرُ ^(٧)
وَعَادَتِ الدُّنْيَا إِلَى حُسْنِهَا	وَانْفَرَجَ الْخَطْبُ الْجَلِيلُ الْكَبِيرُ ^(٨)
وَانْكَشَفَ الْإِشْفَاقُ عَنْ أَنْفُسِ	أَحْرَقَهَا الْوَجْدُ وَطَوَّلَ الزَّفِيرُ ^(٩)
وَنَامَتِ الْأَعْيُنُ مِنْ بَغْدِ مَا	كَانَ كَرَاهَا فِي مَحَلِّ شَطِيرُ ^(١٠)
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِبُرْزِ الْإِمَامِ	وَأَسْتَوْسَقَتْ فِيهَا جَمِيعُ الْأُمُورِ ^(١١)
وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ	بِنِعْمَةٍ يَغْجَرُ عَنْهَا الشُّكُورُ

(١) ارتمضت: حزنت وتألمت.

(٢) الوَصْبُ: الْوَجَعُ وَالْمَرَضُ.

(٣) الاستبشار: الفرح والسرور، يقال: استبشر الرجل: فرح وسُرَّ.

(٤) الْمَسَارُ: جمع الْمَسَرَّة: السُّرُور والفرح.

(٥) الاستبلال: الْبُرْزُ من المرض.

(٦) ترجمته في: جذوة المقتبس: ٣٧٣؛ بغية الملتبس: ٤٧٧.

(٧) البدير: البدر.

(٨) انفرج الخطب: انكشف وزال. والخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب.

(٩) الإشفاق: الخوف والحذر.

(١٠) الكرى: النوم. الشطير: البعيد.

(١١) استوسق الأمر: انتظم، أو اجتمع وانضم.

واجتمع الناس على أنها
 كادت قلوب الناس أن ترتقي
 وخصني فوق الذي خصها
 ما أعظم البشري التي بثها
 حياة أهل الأرض أهدى فلو
 يا ناصِر الدين إذا لم يكن
 ويا إمام المسلمين الذي
 وغرة السعد التي نورها
 قد جدد الله حياتي وقد
 قدّم عزيزاً يا إمام الهدى
 فأنت ظل الله في أرضه
 وليحيى بن هذيل^(٩) في ذلك: [من الكامل]

يا فُرْجَةَ لِلْحَادِثِ الْمُتَكَشِفِ
 عَمَّ السُّرُورُ فَكُلُّ نَفْسٍ حَالِهَا
 وَيَدَا يَفِيقُ بِهَا الزَّمَانُ وَيَشْتَفِي^(١٠)
 فِي حَالٍ يَعْقُوبُ بِبُرْدَةِ يُوسُفِ^(١١)

(١) الردى: الهلاك، الموت. النشور: البعث.

(٢) مستبشرات: فرحات.

(٣) بث الشيء: بثاً، فرقه ونشره، وبث الخير: أذاعه، أو أفشاه وأظهره.

(٤) اليسير: القليل.

(٥) نداه: كرمه وعطاؤه.

(٦) المنحسر: الكليل، الضعيف.

(٧) استنفد الشيء: أفناه وأذهب.

(٨) الغيث: المطر. الساكب: المُنْقَصِبُ السَّائِل.

(٩) هو أبو بكر، يحيى بن هذيل: من أهل الشعر والأدب المشهورين في الأندلس، من أهل قرطبة. توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٣٦٩؛ بغية الملتمس، الضبي: ٤٧٢؛ معجم المؤلفين، كحالة: ٢٣٥/٣).

(١٠) المُتَكَشِفُ: الزائل، المنفرج، يقال: تكشف الغم وانكشف: زال.

(١١) يعقوب ويوسف: هما نبيّا الله عليهما السلام، وفي البيت إشارة إلى عودة الإبصار إلى يعقوب، بعد لقاء قميص ولده يوسف على وجهه. قال تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦].

- لَوْ كَانَ شَخْصًا لَمْ يُعَادِلْ حُسْنَهُ حُسْنُ الرَّبِيعِ بِزَهْرِهِ الْمُتَأَلِّفِ^(١)
 وَلَوْ اللَّيَالِي صَوَّرَتْ أَيَّامَهَا مِنْهَا لَمَا اتَّصَلَتْ بِدَاجٍ مُسْرِفٍ^(٢)
 فَرَحٌ فَمَا فِي الْعَالَمِينَ مُوَلَّةٌ مِنْ حُسْنِ مَوْقِعِهِ اللَّطِيفِ الْمُلَطِّفِ^(٣)
 قَدْ لَاحَبَ الشَّمْسُ الَّتِي أَضَوَّاهَا مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ فِي الْمَحَلِّ الْأَشْرَفِ
 وَقَدْ اسْتَقَلَّتْ مِرَّةً كَادَتْ لَهَا عُمْدُ السَّمَاءِ مَعَ الرُّوَاسِي تَنْكَفِي^(٤)
 وَقَدْ اسْتَرَدَّتْ رَبْعَهَا رِيحَانَةٌ دَبَلَتْ فَايَةً بِلَدَةٍ لَمْ تَزَحْفِ
 وَقَدْ اسْتَقَالَتْ عَثْرَةً فَأَقَالَهَا مَلِكٌ إِلَيْهِ شَفَاعَةُ الْمُسْتَضَعْفِ^(٥)
 وَقَدْ اسْتُجِيبَتْ دَعْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا فِي الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهَا لَمْ تُخْلَفِ
 قَدْ كَادَ يَشْمَتُ بِالسَّخَاءِ وَبِالنَّدَى بِخُلِّ الْأَشْجَةِ وَاللَّهَى بِالْمُعْتَفِي^(٦)
 ضَحِكَتْ إِلَى تِلْكَ السَّلَامَةِ دَوْلَةٌ تَرَكَتْ لِعِضْدِ هِشَامِهَا الْمُتَخَلِّفِ^(٧)
 قَدْ كَادَ يَشْمَتُ بِالمُهَنْدِ فِي الْوَعَى سَرَدُ الْمَعَافِرِ فَوْقَ كُلِّ مُجَفِّفٍ^(٨)
 يَابِنَ الْخَلَائِفِ مِنْ لُبَابِ أُمِّيَّةٍ وَالْمُسْتَقْلَ بِعِزِّهِ وَالْمُكْتَفِي^(٩)
 عُوفِيَتْ مِنْ كُلِّ الْأَذَى وَنَعِمَتْ مِنْ حُسْنِ وَصْرُفِكَ وَادَعٍ لَمْ يَغْنَفِ^(١٠)
- وفي عقب ربيع الآخر أنفذ الخليفة إعتاق جمع كثير من عبيد له وإماء تيف^(١١) عدتهم على مائة رقبة انعقد لكثير منهم عِتْقٌ بَتْلٌ^(١٢)، ولبعضهم عِتْقٌ مُؤَجَّلٌ،

(١) المتألف: المتجمع، يقال: أَلَفَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ: جَمَعَ، وَأَلَفَ قَلْبَهُ: اسْتَمَالَهُ.

(٢) الدَّاجِي: الْمُظْلِمُ.

(٣) المَوَلَّةُ: الْحَاتِرُ، الذَاهِبُ الْعَقْلُ، يُقَالُ: وَلَهُهُ الْحُبُّ أَوْ الْحُزْنُ: حَيْرُهُ وَأَذْهَبَ عَقْلُهُ.

(٤) اسْتَقَلَّتْ: ارْتَفَعَتْ، يُقَالُ: اسْتَقَلَّ الطَّائِرُ، وَاسْتَقَلَّ النَّبَاتُ، وَاسْتَقَلَّتْ الشَّمْسُ. الْمِرَّةُ: الْأَصَالَةُ وَالْإِحْكَامُ، أَوْ الْعَقْلُ، أَوْ الْقُوَّةُ. الرُّوَاسِي: الْجِبَالُ. تَنْكَفَى: تَنْقَلِبُ أَوْ تَمِيلُ.

(٥) الْعَثْرَةُ: الرُّلَّةُ، السَّقَطَةُ. اسْتَقَالَ الرَّجُلُ: طَلَبَ أَنْ يُقَالَ. وَأَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ: صَفَحَ عَنْهُ وَتَجَاوَزَ.

(٦) السَّخَاءُ وَالنَّدَى: الْجُودُ وَالْعَطَاءُ وَالْكَرَمُ. الْأَشْجَةُ: جَمْعُ الشَّحِيحِ: الْبَخِيلِ، الْحَرِيصِ. اللَّهَى: جَمْعُ اللَّهْوَةِ: الْعَطِيَّةِ. الْمُعْتَفِي: طَالِبُ الْمَعْرُوفِ.

(٧) الْعِضْدُ: الْإِعَانَةُ وَالنُّصْرَةُ، يُقَالُ: عَضَّدَهُ عَضْدًا: أَعَانَهُ وَنَصَرَهُ.

(٨) الْمُهَنْدُ: السِّيفُ الْمَصْنُوعُ فِي الْهِنْدِ. الْوَعَى: الْحَرْبُ.

(٩) لُبَابُ أُمِّيَّةٍ: خَالِصُهَا. الْمُسْتَقْلُ: الْمُرْتَفِعُ.

(١٠) عَتَفَ الرَّجُلُ: اشْتَدَّ وَقَسًا، يُقَالُ: عَتَفَ بِهِ، وَعَلَيْهِ - عُنْفًا، وَعَنَافَةً: أَخَذَهُ بِشِدَّةٍ وَقَسْوَةٍ.

(١١) تَيْفٌ: تَزِيدٌ.

(١٢) عِتْقٌ بَتْلٌ: قَاطِعٌ.

ولبعضهم تدبير^(١) خلص به جميعهم من الرق، عقدت الوثائق المحكمة العقد لجميعهم، فكان أول من أوقع شهادته فيها الأمير أبو الوليد هشام المرشح لولاية عهده بخط يده، وتلاه أعمامه الإخوة، ثم الوزراء على مراتبهم ثم قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إسحاق، وولَّيه الحكام والفقهاء أهل الشورى ثم العدول.

وفي صدر جمادى الأولى تَلَوَهُ أنفذ الخليفة تحبیس حوانيت السراجين بسوق قَرْطَبَة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بِقَرْطَبَة، وأشهد القاضي مُحَمَّد بن إسحاق في هذا التحبیس يوم الجمعة لسبع خلون منه فعظمت به المنفعة وجلَّت المنقبة^(٢) وورث الله به القرآن أمة لم يكن آباؤهم يعرضونهم لورائته.

فلما أن كان يوم السبت [لثمان] خلون منه أنفذ الخليفة عزمه في إسقاط سدس جميع مغرم الحشد الآزف حلول أدائه على جميع الرعايا بكور الأندلس لسنة أربع وستين وثلاثمائة شكراً لله تعالى على إنظاره له وحسن بلائه لديه، فنفذت عهوده بذلك في هذا النهار إلى القواد والعمال بكور الأندلس، وعهد أن يكون هذا السدس المُسَقَّط مكشوفاً لجميع الرعايا شائعاً في الناس يستوي في معرفته العالم منهم والجاهل، فيسبق إلى كل من وجب عليه مغرم معرفة السدس الساقط منه قبل أن يأتي القابض، ترفيهاً^(٣) لهم واهتبالاً^(٤) بمصالحهم، وأنفذ بذلك إلى الأقطار كتاباً:

«بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيم، أما بعد، فإن أمير المؤمنين لم يزل منذ اصطفاه الله تعالى لخلافته، وارتضاه لحمل أمانته، وقلَّده أعباء بَرِّيَّتِهِ، ناظراً لجميع المسلمين، محامياً عنهم، مهتلاً بأمورهم، متعاهداً لأحوالهم، ساعياً فيما يرفه عنهم ويرغد عيشهم ويرخي بالهم، ويصل جبل جماعتهم، ويبسط العدل والأمن فيهم، تهون عليه في ذلك رغائب الأموال ونفيسات الذخائر وجلال الأعلام^(٥)، فيما يعود عليهم ويرفع عنهم، ويرعاهم بعين من مصالحهم غير نائمة، وجوانح على النصيحة لهم منطوية، ونفس قد حشاها الله عليهم رافةً وملاها رحمةً، لا يشغله دانيهم عن قاصيهم، ولا حاضريهم عن باديهم، ولا يليه ما بسط له من ملكه وعز سلطانه وعلو

(١) التدبير: من دَبَّرَ الرجل عبده: عَلَّقَ عِثْقَهُ بِمَوْتِهِ.

(٢) المُنْقَبَة: الفعل الكريم والمفخرة.

(٣) رَفَّه فلاناً: جعله في رفاة: في سعة ورغد، ورَفَّه عنه: نَفَّسَ وَوَسَّعَ وَخَفَّفَ.

(٤) اهتبل الرجل: أسرع، واهتبل الفرصة: اغتنمها.

(٥) الأعلام: جمع العَلَق: النفيس من كل شيء، يَتَعَلَّقُ به القلب.

أمره وتمكين الله - تبارك وتعالى - له عن العناية بعلم حق يرفعه وتوهمين^(١) باطل يضعه، وبحكم عدل ينفذه، وتخفيف مغرم يرجو ثوابه، فكان أول ما استقبل به نعمة الله في استخلافه إياهم وإكرامه له بصرف أمر الأمة إليه أن أسقط من الجنايات المستقرة على الرعية أعداداً عني ذوي الإدراك حصرها، وشع في العالمين ذكرها، وأبقى الله عز وجل له فخرها وأجرها، مما لم تكن الخلفاء، رضي الله عنهم، مع عظم فضائلهم وجليل مآثرهم، لتسخو ولا تطيب أنفسها عنه، فهانت عليه في التزلف^(٢) إلى ربه، واحقرها في استصلاح رعيته. ثم لم يكتف بذلك ولا أفتعه حتى وضع عن الرعية بعد قليل مثله، وشفعه بشبهه، باذلاً له بنفس مُسْعَةٍ لفعل الخير، وباع رحيب ببسط الفضل، وهمة أكبر من الدنيا، يقارض ربه فيحسن مقارضته، ويتأجره فتربح تجارته، فكلما جدد الله تعالى له صنعاً وزاد في ملكه تمكيناً وعلى أعدائه ظهوراً ازداد لله تعالى خشوعاً وبنعمته اعترافاً ولفضله عليه شكراً وإلى من قلده أمره إحساناً. وإن أمير المؤمنين لما تظاهرت آلاء^(٣) الله تعالى عليه وحسن بلائه عنده رأى أن يجدد له الشكر ويمتري^(٤) منه المزيد بإسقاط سدس جميع مغرم الحشود الواجب تقاضيتها منهم لسنة أربع وستين وثلاثمائة، تخفيفاً عن رعيته وإحساناً إلى أهل مملكته. وعهد أن يكون هذا الاسم المسقط مكشوفاً لجميع الرعايا ليبعد عن احتيال العمال وتسوُّغ الرعية النعمة به، ويستوي في معرفته العالم والجاهل واليقظ والذاهل. فإذا ورد عليك كتاب أمير المؤمنين هذا فاحتفل في إنذار الناس بأقطار عملك ولا يتخلفن منهم إلا من عذر أحد عنك، وأمر بقراءته عليهم إثر صلاة الجمعة ليفهمه قاصيهم ودانيهم، ويحمدوا الله عز وجل على ما وهب لهم من رافة خليفتهم، وكريم نظر إمامهم لكافتهم، فيستدرون عونه بالشكر ويستلهمونه العون على القيام بحقه وأداء مفروض طاعته والنصيحة له، فإنه يستجيب للداعين ويزيد الشاكين ولا يضيع أجر المحسنين، إن شاء الله، وهو المستعان».

قال: وأتى شهر يناير العجمي الشمسي الذي هو نوروز العجم بالأندلس لمدخل سنتهم العجمية يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر الذي كان الرابع من يناير بِقُرْطَبَة ونواحيها الثلج العظيم المتكاثف الذي لم يكن لأول وقته عهود بمعاينة مثله، وتمادى إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يومه، وعم نزوله أقاليم قُرْطَبَة وكورها.

(١) التَّوْهِينُ: التَّضْعِيفُ.

(٢) التَّزَلُّفُ: التَّقَرُّبُ.

(٣) آلاء الله: نِعَمُهُ وَأَفْضَالُهُ.

(٤) امتري الشيء: استخرجه.

وفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة منها وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر ماي العجمي نزل بِقُرْطُبَة وما يليها غيثٌ وابلٌ هطالَ تَمَادَى أياماً ينسكب تارة ويقلع أخرى، وهبت مع ذلك رياح شداد فمدَّ نهر قُرْطُبَة مَدّاً طامياً من يوم الثلاثاء لثمانٍ خلون من ماي، وطغى عشيّ النهار فخرج في الرصيف الذي يلي القنطرة وباب الجديد، وامتنع الناس السلوك بباب المحجة من وقت المغرب من ليلة الأربعاء بعده. واتفق أن أقبل قوم من أهل شبَلار من ناحية قرية شَقْنَدَة فيهم خَصِي وامرأة يريدون دورهم بين العشاءين، فلما انتهوا إلى باب المدينة لم يمكنهم السلوك بتلك المحجة ولا دخول المدينة من باب قُرْطُبَة كيما يخرجوا إلى رَبَضِهِم من باب الجديد لفوت القوت، فدعوا بقارب كان بذلك الموضع، جائل فيه، ركبوه منحدرين، فلم يجذب الملاح بهم إلا جذفات حتى غشيهم موجٌ طام غرق القارب فهلك النفر كلهم، حاشا الملاح فإن قوة سباحته نجته، فاتخذ الناس حديثهم موعظة.

وفي يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه ولَّى الخليفة زِيَاد بن أفلح مولاه خُطَة المدينة بالزهراء المُتوفى عنها أخوه مُحَمَّد بن أفلح، مجموعة له إلى ما بيده من خُطَي الخيل والحشم وولاية كورة فَرِيش^(١) وعملها، وولَّى بني أخيه المُتوفى: هِشَاماً وعبد الرَّحْمَن وعبد الملك بني مُحَمَّد خُطَة العرض، وصيّر منهم هِشَاماً مخلفاً لِعَمّه زياد على عمل المدينة الزهراء. وأوصل الخليفة إلى نفسه زياداً أول من أوصله إلى نفسه أول نقوه^(٢) من علقته يوم الجمعة بعده، فأقعد بين يديه ملياً وعزاه عن أخيه مُحَمَّد، وشكر خدمته، ثم توصل إليه يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة فقعده بين يديه ملياً وأمره بالإيقاع بِعَبَاد الطنجي الآبق^(٣) من المطبق لما أحدث فيه من قطع ما كان عليه من وثاقه، فخرج زياد وأنفذ ذلك لوقته، وأعاد الغل^(٤) على عِبَاد وصرفه إلى المطبق.

وفي يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من رجب خرج عبادة بن خَلَف بن أبي جَوْشَن مستخدماً للجواز إلى المغرب، وبين يديه الأموال الواجبة للأجناد المرتبطين بها قَبَل الوزير القائد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم، ليوصلها إليه وإلى الخازن بالعسكر أحمد بن مُحَمَّد بن حُدَيْر.

(١) فَرِيش: مدينة تقع غربي فحوص البلوط، بين الجوف والغرب من قرطبة، وأكثر انحرافها إلى الغرب. اشتهرت بالبندق، ومعدن الحديد. (معجم البلدان، الحموي: ٢٥٩/٤).

(٢) النقوه: البرء من المرض، مع بقاء بعض آثاره على جسم المريض أو حركته.

(٣) الآبق: الهارب، المتمرد على سيده.

(٤) الغل: القيد.

ذكر نقوه الخليفة من مرضه

وفي يوم الجمعة لعشر خلون من رجب ركب الخليفة الحكم أول ركباته عند إفراقه من علته إلى المسجد الجامع بالزهراء وطنه، ومعه ابنه الأمير أبو الوليد هشام المرشح لولاية عهده، لشهود صلاة الجمعة بها، وقد أنس إلى العافية ووثق بالاستقلال، فافتتح حركاته إثر نقوه بالبذاء إلى بيت الله تعالى، ساعياً إليه لإقامة فرائضه الزكية، وتجديد نوافله^(١) المتقبلة. فلما تمت صلاته أوصل إلى نفسه في قعوده بالسباط الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّحمن مولاه، فقعده بين يديه وفاوضه في أمر الثغر وما بدا من جيشان^(٢) العدو ببعض جهاته عند إحساسه ببعاد أكثر الجيوش إلى العدو، وأمره بالتأهب للخروج والإطلال عليه، فسارع إلى ذلك، وحضر مجلسهما الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان، فشارك في المفاوضة، ثم ارتفع مع ولده إلى قصره وقد استعزم الله عز وجل على الرحيل من قصر الزهراء، لغلبة برد الجبل عليه، وقدّر أنه يثور عليه خلطه^(٣)، وأشار أطباؤه عليه بالتحول عنها، وهي سيدة القصور ومرتبة السرور ومفيدة الحبور، فراض نفسه على التنقل عنها عن غير فرك^(٤) إشاراً لحياطة من علته الفالجية^(٥) التي لا يكاد يستفيق منها، وقد ثمّنت المليحة بالطلاق ولا ذنب لها.

فلما كان يوم السبت بعده لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب منها عاود الركوب مع ولده الأمير هشام ركوباً حافلاً احتفل لمشاهدته أكابر رجال الدولة، فخرجوا من الباب القبلي المسمى بباب الورد، برز الأمير هشام قبل الخليفة فترجل له أول الناس الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان، وصاحب الخيل والمدينة بالزهراء زياد بن أفلح ومن شهد من أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة مسلمين مبتهلين، ثم برز إثره أمير المؤمنين، فتقدموا إليه وباسوا الأرض بين يديه وسلموا ودعوا، وتتابع على ذلك سائر أهل الموكب من الأحرار والعبيد وصنوف الحشم، وكان يحجبه ويحف به الفتيان الكبيران الأثيران فاتق وجوّذ مع أصحابهما من الخلفاء والأكابر، أكابر الفتیان، فوقف قليلاً ممسكاً عنانه متأملاً ما راقه من عبيده ومواليه، ثم

(١) النوافل: الهبات، الواحدة: نافلة.

(٢) جيشان العدو: تحرّكه واضطرابه وغليانه.

(٣) الخلط: واحد الأخلاط، وهي في الطب القديم: أمزجة الإنسان الأربعة: الصفراء والبغلم والدم والسوداء.

(٤) الفرك: البغض.

(٥) العلة الفالجية: التي تفلج الإنسان: تشلّ أحد أطرافه أو أعضائه، فلا يقوى على الحركة.

نهض والأمير ابنه متقدم له واحتل بمنية أرحاء ناصح حظيته، ولحقه ولده الأمير هِشَام، فنزل بها وبات فيها.

فلما كان يوم الأحد بعده لاثنتي عشرة خلت منه ركب مع الأمير ولده وخاصة أهل موكله من المنية بأرحاء ناصح إلى المنية بالناعورة، فنزل بقصرها وأقام فيه إلى أن صلى الظهر، وقد نفذ العهد إلى الوزراء وأصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة والحكام ورجال الدولة بالركوب إليه إلى قصر الناعورة، فلما توافوا بها خرج أمير المؤمنين على باب المنصة الأعظم منها مع الأمير ولده هِشَام يريد القصر بِقَرْطَبَة، وتولى حجابته الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقَرْطَبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، وصاحب الخيل والمدينة بالزهراء زِيَاد بن أَفْلَح، وأصحاب الشرطة العليا مع أكابر الفتيان. وقد ترجّل الوزراء وطبقات أهل الخدمة عندما بدا لهم فسلموا عليه وعلى الأمير ولده، فلما قضوا تسليمهم ركبوا وترتبوا في المواكب حسب منازلهم، وتقدم أمير المؤمنين نحو المصاراة طرف قَرْطَبَة الغربي، فتلقيه بها رجال من كبار قُرَيْش ونفر من وجوه الموالى نزلوا ودعوا ومجدوا، ونفذوا إلى أن أتى السوق الكبرى بِقَرْطَبَة، فتلقيه بها صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر فسلم عليه، وتلقاه بعده بياض أهل قَرْطَبَة ووجوه أهل السوق وغيرهم مُسلمين مُبتهجين داعين مُجتهدين. وتقدم من هناك وأفواجهم يتلقونه فوجاً بعد فوج من الخاصة والعامة، إلى أن انتهى إلى قصر قَرْطَبَة، فدخله من باب الجديد القبلي بركبة منقطعة. وقالت الشعراء والبلغاء فيما أعقب الله به الخليفة المستنصر بالله من السلامة ويسر له من العافية وسرورهم بطلوعه عليهم وتجليه إليهم بركوبه إلى قصر قَرْطَبَة واحتلاله فيه أشعاراً كثيرة منها قول مَالِك بن حَسَن بن عِيْسَى بن أحمد بن مُحَمَّد بن أَبِي عَبْدَة، وصدر شعره برسالة وصلها به، والشعر: [من الطويل]

سَلِمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّدَى وَلَا زِلْتَ مَنْصُوراً عَزِيزاً مُؤَيِّداً^(١)
وَمُلِّيتَ عُمراً فِي الْخِلَافَةِ طَائِلاً وَمُلْكاً عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ مُوْطِداً^(٢)
فَأَنْتَ حَيَاةٌ لِلْأَنْامِ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَأَيِّداً
وَلَمَّا انْجَلَتْ أَيَّامُ عِلَّتِكَ الَّتِي أَمَاتَتْ نُفُوسَ الْعَالَمِينَ تَبْلُداً^(٣)

(١) الرَّدَى: الموت والهلاك.

(٢) مُلِّيتَ عُمراً: أُطِيلَ عُمرك، أمهلت، يقال: أملاه الله العيشَ، ومَلَّاه: أمهله وطوّل له. الطائل:

الكثير الغزير، أو العُلُو والقُدْرَة، أو السعة والنفع أو الفائدة. مُوْطِد: مُثَبَّت، مُقَوَّى، مُرَسَّخ.

(٣) انجلت: انكشفت، زالت. التَّبلُّد: قِلَة النشاط والحركة، الاستكانة.

وَأَغْقَبَهَا بَرءَ كَرِيمٍ وَصَحَّةً
أَضَاءَتْ لَهَا الْآفَاقُ مِنْ بَعْدِ ظُلْمَةٍ
وَعَمَّتْ سُرُوراً لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِثْلَهُ
فَلِئْلَهُ شُكْرُ دَائِمٍ مُتَرَدِّدٍ
وَمَا أَحَدٌ إِلَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ
يُحْصِنُ دُنْيَانَا وَيَحْفَظُ دِينَنَا
وَيَا لِسُرُورِ الْقَضْرِ يَوْمَ حَلَلْتَهُ
مَشْوقاً إِلَى الْوَجْهِ السَّنِيِّ الَّذِي إِذَا
فَلَوْنَهُضَتْ سَاحَاتُهُ لَتَبَادَرَتْ
فَلَا زَالَ مَغْمُوراً بِعِزَّتِكَ الَّتِي
وَدَامَتْ مَعَ الْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا

أَدَامَهُمَا ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنْ سَزَمَدَا^(١)
وَأَشْرَقَ فِيهَا نُورُهُ وَتَوَقَّدَا
فَغَارَ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا^(٢)
وَحَقُّ عَلَيْنَا أَنْ يَدُومَ مُرَدِّدَا
بِنِيَّةِ صِدْقٍ أَنْ يَكُونَ مُخْلَدَا
وَيَمْنَحُنَا عَدْلًا وَيَسْتَهْلِكَ الْعِدَا^(٣)
وَكَانَ زَمَاناً مِنْ حُلُولِكَ مُفْرَدَا
بَدَا قَيْلٌ ضَوْءُ الشَّمْسِ هَذَا الَّذِي بَدَا^(٤)
إِلَيْهِ وَكَانَتْ فِي التَّبَادُرِ سُجَّدَا
يَلُوحُ بِهَا نُورُ السَّعَادَةِ وَالْهُدَى^(٥)
بِجَدَّةٍ غَمَرٍ لَا يَزَالُ مُجَدِّدَا^(٦)

وقال في ذلك أيضاً أحمد بن سليمان الكاتب المعروف بالبياني أحد البلغاء الشعراء
من طبقته قصيدة طويلة تصرف في معانيها، افتتحها بتهنئة قصر قُرْطُبة: [من الكامل]

يَا قَضْرُ حَلَّكَ لِإِلَهِ سَلَامٌ
ظَلَّلْتَ تَخَايِلَ فِي مَصَانِعِكَ الْعُلَى
أُمْتُ مَحَلَّتِكَ الْكَرِيمَةَ رَحْمَةً
وَأَتَشَكَ نُغْمَى غُرَّةٍ مَيْمُونَةٍ
أَلْقَى عَلَيْكَ مَهَابَةً وَجَلَالَةً
عَلِمَ الْهُدَى وَمَنَارُهُ بِكَ قَاطِنٌ

عَطَفْتَ عَلَيْهِ زِيَادَةً وَتَمَامٌ^(٧)
فِيهَا عَلَى تِلْكَ السُّجُوفِ زِحَامٌ^(٨)
إِذْ حَلَّ فِيكَ لِذِي الْجَلَالِ إِمَامٌ^(٩)
أَمْ الْأَنَامَ بِسَعْدِهَا الْإِنْعَامُ
مَنْ يَنْجَلِي عَنْ نُورِهِ الْإِظْلَامُ
فَعَلَى دُرَاكِ لِهَازِيهِ أَعْلَامٌ^(١٠)

(١) السَّرْمَدُ: الدائم.

(٢) غَارَ وَأَنْجَدَ: انخفض وارتفع.

(٣) يُحْصِنُ: يمنع ويحمي. يمنح: يعطي. يستهلك العدى: يهلكهم.

(٤) سَنِيٌّ: ذو سنٍّ وقدرٍ ورفعة.

(٥) يلوح: يظهر.

(٦) تبلي: تُفني.

(٧) عطفت: مالت وانحنت، أو أشفقت ورحمت.

(٨) السُّجُوف: جمع السُّجْف: أحد الشَّوْزَيْنِ المقرونين، بينهما فُرْجَةٌ.

(٩) أُمْتُ: نَزَلْتُ، حَلَّتْ. ذو الجلال: الله جَلَّ وَعَلَا.

(١٠) قَاطِنٌ: سَاكِنٌ، مُقِيمٌ. دُرَاكٌ: غَلَاكٌ.

فَكَأَنَّمَا يَخْخِيكَ حُسْنُ غَضَارَةٍ رَوْضٌ يَجُودُ بِسَاطَةِ الْإِزْهَامِ^(١)
 جَمَعَ التُّدَى بِكَ وَالْمَكَارِمَ كُلَّهَا فَتَفَرَّقَتْ عَنْ بَابِكَ الْأَقْسَامُ
 أَبْهَجَتْ مِنْ بَعْدِ التَّوْحُشِ جَانِباً خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ^(٢)
 قَدْ كُنْتَ مَهْجُوراً مُضَاعاً بِزُهَّةٍ فَالآنَ حِينَ أَظْلَلْتَ الْإِكْرَامَ
 وَالآنَ جَدَّ الْمَلِكُ فِي غُلُوَائِهِ فَعَلَتْ لَهُ فَوْقَ التُّجُومِ خِيَامُ^(٣)
 أَرْسَتْ قَوَاعِيْدَهُ وَقَرَّرَ قَرَارَهُ مَا قَرَّرَ بَعْدُ يَلْمَلَمُ وَشِمَامُ^(٤)
 لَا زِلْتَ مَغْمُوراً بِهِ مِنْ مَالِكٍ مَا كَرَّتِ الْأَزْمَانُ وَالْأَعْوَامُ^(٥)
 عَزَمَ الْإِلَهَ لَهُ فَارْشَدَ رَأْيُهُ لَمَّا اسْتَخَارَ فَأَمَّهُ اسْتِغْرَامُ^(٦)
 بَتَنَقَّلَ أَحْيَى الْوَرَى وَشَفَى الْعَمَى وَجَلَا الدُّجَى فَتَكَشَّفَ الْإِظْلَامُ
 عُصِمَتْ مَذَاهِبُهُ بِأَيْدٍ مُؤَيَّدٍ مَا زَالَ مِنْهُ بِحَبْلِهِ اسْتِغْصَامُ^(٧)
 عَمَّتْ بِهِ الْخَيْرَاتُ قُرْطُوبَةَ الَّتِي لَمَّا عَلَاهَا ظِلُّهُ الْقَوَامُ
 هَدَّتِ الْبِلَادَ عَلَى هِدَايَةِ عَذْلِهِ فَلِخَائِفِ الذَّنْبِ الْمَخُوفِ سَلَامُ
 وَتَأَلَّفَ الْخَيْرُ الْوَرَى فَكَأَنَّمَا جَمَعَ الْهُدَى وَالْمُسْلِمِينَ نِظَامُ^(٨)
 طَلَعَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَسْعَدُ غُرَّةٍ عَفَرَ الْوُجُوهَ لِعَزِّهَا الْإِعْظَامُ^(٩)
 خَرُّوا سُجُوداً بِالصَّعِيدِ وَجُوهَهُمْ فَعَلَى [...] قِسْمَاتِهِنَّ رَعَامُ^(١٠)
 قَرَّتْ عُيُونُ الْمُسْلِمِينَ بِصَحَّةٍ رَقَّتْ لَهَا عَنْ نَفْسِهَا الْأَسْقَامُ

- (١) الغضارة: السعة والنعمة والخصب. يَجُودُ: يُصِيب. الإزهام: من أرهمت السحابة: أتت بالزهام: جمع الرُّفْمَةِ: المَطَرَةُ الضعيفة الدائمة.
- (٢) بَهَجَ الشَّيْءُ بَهْجاً وَبَهْجَةً: حَسَنَ وَنَضَّرَ، وَبَهَجَ فُلَانٌ: فَرِحَ وَسُرَّ، وَأَبْهَجَتْ الْأَرْضُ: حَسَنَ نَبَاتُهَا، وَبَهَجَ الشَّيْءُ: حَسَنَهُ وَجَمَّلَهُ.
- (٣) الْغُلُوَاءُ: أَوَّلُ الشَّيْءِ وَجْدَتُهُ وَنَشَاطُهُ.
- (٤) يَلْمَلَمُ وَشِمَامُ: جِلَان.
- (٥) كَرَّتِ الْأَزْمَانُ وَالْأَعْوَامُ: عَادَتْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.
- (٦) اسْتَخَارَ اللَّهَ: طَلَبَ مِنْهُ الْخَيْرَ. الْاسْتِعْزَامُ: الْجِدُّ وَالْقُوَّةُ وَالصَّبْرُ.
- (٧) عُصِمَتْ: مُنِعَتْ، حُمِيتْ. الْأَيْدُ: الْقُوَّةُ. الْاسْتِعْصَامُ: مَنْ اسْتَعَصِمَ بِاللَّهِ: طَلَبَ الْعِصْمَةَ: التَّوَقُّيَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعْصِيَةِ. وَقَدْ اسْتَعَصِمَ بِهِ وَاعْتَصِمَ: امْتَنَعَ بِهِ وَلَجَأَ.
- (٨) تَأَلَّفَ الْوَرَى: جَمَعَهُمْ.
- (٩) عَفَرَ الْوُجُوهَ: مَرَّغَهَا فِي الْعَفْرِ: الثَّرَابِ.
- (١٠) الصَّعِيدُ: وَجْهُ الْأَرْضِ، أَوْ الثَّرَابُ. الْقِسْمَاتُ: جَمْعُ الْقِسْمَةِ: مَلَامِحُ الْوَجْهِ. الرَّغَامُ: الثَّرَابُ.

أَبْدَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَلَاؤَهَا كَالْبَدْرِ تَمَاقُذَ عِلَالِهِ غَمَامُ
وَبَعْدُ عَافِيَةٍ وَيُؤْمِنُ سَلَامَةً عَنْهَا يَصْحُ السَّلْمُ وَالْإِسْلَامُ
وَبِهَا يَقُومُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا مَعًا وَبِهَا يَكُونُ النُّقْضُ وَالْإِبْرَامُ^(١)
لَمَّا اجْتَلَى عَنَّا الدِّيَاجِي نُورُهُ وَضَحَ الْيَقِينُ وَثَابَتِ الْأَحْلَامُ^(٢)
بِالْفُرَّةِ الزَّهْرَاءِ أَشْبَهَ نُورَهَا بَذَرَ تَكَامُلَ لِلْسَعُودِ تَمَامُ
بِخَبِيئَةِ الْخُلَفَاءِ نَجَلَ إِمَامَهُمْ وَالِي الْعُهُودِ كَفَيْلُهُنَّ هِشَامُ
شَمْسِ الْعُلَى مَجْدِ الثُّدَى عَلِمَ الْهُدَى وَقَفَتْ عَلَيْهِ بِفَخْرِهَا الْأَعْمَامُ
أَعْظَمَ بِهِنَّ عُمُومَةً نَزَلَ الْهُدَى فِيهَا وَوَحْيِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامُ
مَنْ تَضَحَّكَ الدُّنْيَا بِسَعْدِ ثَمُوهُ وَالْمَلِكُ وَالْعَلِيَاءُ وَالْأَيَّامُ
أَعْظَمَ بِهِ مَلِكًا تَشْدُّ بِرَأْيِهِ قَبْلَ الْأَشْدِّ جَلَائِلُ وَعِظَامُ^(٣)
هُوَ لِلْخِلَافَةِ هَضْبَةٌ مَخْبِيَّةٌ مَا إِنْ لَهَا إِلَّا يَدَيُهُ زَمَامُ
فَاعْضُدْ بِهِ الْمَلِكَ الْمُعْظَمَ إِنَّهُ هُوَ لِلْخِلَافَةِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ^(٤)

وللنصف من شهر رجب منها أخرج الحكم عدة من أصحاب الشرطة وكبار رجال المملكة إلى كور الأندلس محركين لأهلها في ارتباط الخيل المبتعثة للنهوض مع جيش الصائفة الأزف تجريدها في هذه السنة على العادة، عند انتكاث أكثر طواغيت الجلالقة في هذا الوقت، وجيشانهم على أهل الثغور الشرقية، وانزعاج الخليفة لديهم عنها، فكان ممن جرده لذلك صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد الله بن يَحْيَى بن إدريس، أشخصه إلى كور الجوف، وصاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن رُمَاحس، أشخصه إلى كور الشرق: تَذْمِير^(٥) وِبَلَنْسِيَّةَ وَطَرْطُوشَةَ الْقَاصِيَّةَ، وصاحب الشرطة العليا أحمد بن مُحَمَّد بن سَعْد

(١) النُّقْضُ: الخُلُ. الإِبْرَامُ: الإِحْكَامُ.

(٢) اجْتَلَى: كَشَفَ. الدِّيَاجِي: الظُّلُمَاتُ. ثَابَتٌ: رَجَعَتْ.

(٣) الْجَلَائِلُ: الْعِظَائِمُ.

(٤) عَضُدٌ: عَاوَنُهُ وَنَصْرُهُ. الْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ، أَوْ مَوْصِلَ الْعُنُقِ فِي الصُّلْبِ، وَيُقَالُ: فَلَانُ كَاهِلِ الْقَوْمِ: مُعْتَمِدُهُمْ فِي الْمُلْكَاتِ. السَّنَامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، وَالسَّنَامُ مِنَ الْقَوْمِ: شَرِيفُهُمْ.

(٥) تَذْمِيرٌ: كُورَةٌ تَتَّصِلُ بِأَحْوَازِ كُورَةِ جِيَانٍ، وَهِيَ شَرْقِيَّةُ قَرْطَبَةِ، وَفِيهَا مَعَاقِلُ، وَمَدَنٌ، وَرَسَاتِيقٌ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قَرْطَبَةَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْقَاصِدِ. (معجم البلدان، الحموي: ٢/١٩).

الجَعْفَرِيَّ إلى شَتْرَيْن وذواتها، وصاحب الشرطة الوسطى إلى بقية كور الجوف والغرب كذلك، في نفر سواهم.

ذكر إسماع الأمير أبي الوليد العلم والحديث

وفي يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان منها أمر الخليفة الحكم في الإرسال في الشيخ الجليل الفقيه الراوية يَحْيَى بن عبد الله بن يَحْيَى [بن يَحْيَى] بن يَحْيَى الليثي أرفع مُسندي الحديث وقته ذلك بِقَرْطَبَة لإجلاله عند الأمير أبي الوليد هِشَام ولده المرشح لولاية عهده ومشاهدته إياه للسمع منه والأخذ عنه لِسموِّ درجته في العلم واعتلاء منزلته في الرواية؛ إذ روايته عن عم أبيه أبي مَرْوَانَ عُبَيْد الله بن يَحْيَى عن أبيه يَحْيَى بن يَحْيَى، عن مَالِك بن أَنَس رضي الله عنه. فكان المرسل فيه من قبل الخليفة المستنصر بالله مُؤدَّب الأمير أبي الوليد أحمد بن يُوْسُف المعروف بالقُسْطَلِي، فأسرع الاستجابة وأقبل إلى القصر مع ابن يُوْسُف، وتوصل إلى الأمير أبي الوليد بمكان قعوده للحضار في الدار المعروفة بدار الأولاد. وكان بين يديه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقَرْطَبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، فأعلم الفقيه يَحْيَى عن أمير المؤمنين بحسن رأيه فيه ووقوع اختياره عليه لإسماع أعز الناس عليه، مجتهداً في إفادته وإعلاء درجته، فشكر الشيخ وأثنى وقعد، فقرأ أحمد بن يُوْسُف مُؤدَّب الأمير مبتدئاً بالجزء الأول من موطأ مالك بن أَنَس في كتاب الفقيه يَحْيَى بن عبد الله وهو كتاب الصلاة منه، رواية يَحْيَى بن يَحْيَى، وضبط الأمير أبو الوليد كتابه سامعاً فيه ومقابلاً بكتابه الذي لا يتضع عنه كتاب لجده الخليفة الناصر لدين الله، قرأه - رضي الله عنه - على عُبَيْد الله بن يَحْيَى بن يَحْيَى في زمانه، ورواه عنه عن أبيه عن مالك بن أَنَس، وقرأه بعده ابنه الخليفة المستنصر بالله أيام طلبه على أحمد بن مُطَرَف المعروف بابن المشاط حامله عن عُبَيْد الله بن يَحْيَى عن يَحْيَى عن مَالِك. فلما تم مجلس السماع وحان انقلاب الشيخ يَحْيَى بن عبد الله نفذ عهد الخليفة بأن يكون ركوبه ونزوله في الفصيل المعروف بفصيل المسجد، تشريفاً وترفيهاً عنه، فجرى أمره على ذلك مدة اختلافه. وعاود الحضور يوم الأربعاء لأربع خلون من شعبان فأسمع الأمير على رسمه بمشاهدة الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثْمَان أثير الخليفة والده، ونفذ العهد بأن يكون اختلاف الشيخ الفقيه إلى الأمير أبي الوليد يومين في الأسبوع يوم السبت والخميس على الاطراد إلى أن يكمل إسماعه الموطأ وجميع ما رواه من الدواوين عن عم أبيه أبي مَرْوَانَ عُبَيْد الله بن يَحْيَى وغيره من الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم إن أنسا الله مدته، فجرى الأمر على ذلك وأحرز الأمير به الفضيلة.

ذكر جَيْشَانِ العدو خذله الله بأهل الثغر الأوسط ومنازلتهم حصن غَرْمَاج من أهم معاقله

وفي النصف من رجب منها توالت الأخبار من الثغر الأوسط باحتلال جيش العدو من المشركين - أهلكهم الله - في جمع كثير من الجلالة والبشكنس أهل قشتيلة وبنبلونة - دمرها الله - بحصن غَرْمَاج من ثغر مدينة سالم وإحاطتهم، غادرين بدمتهم، ناقضين لعهدهم، بادئين بالنكث، مصحرين^(١) للحنث، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان منها، وأنهم واضعوا أهله المسلمين - نصرهم الله - القتال فأصحروا لهم وماصعوهم أصدق مصاع^(٢)، فقتلوا من الكفرة عدداً كثيراً، وباتوا عليهم، ثم صابحوهم يوم الأحد بأجد من عزمهم فكانت الدبرة على المشركين، وعمل الكفرة على مطاولتهم، فاضطربت عساكرهم على وادي دويرة محاصرين لحصن غَرْمَاج، وخطب أعداء الله من بلدهم من الكفار مستجيشين لهم مستمدين، فنقض جميعهم السلم وختروا بالعهد^(٣) وتساربوا^(٤) إلى حصن غَرْمَاج وتجالبوا نحوه غير مُغْتَلِّين^(٥) بَعْلَةً توجب لهم فُسْحَةً في مخرج، أو يجدون بها سبيلاً في منهج، إلا طماعية في درك بعض تبْلُهم من المسلمين غَبَّ ما بلغهم اشتغال جند السلطان الأعظم بالحرب المنشبة بينه وبين أهل العُدُوَّة، وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم متى قفلوا، فحذقوا بالحصن والوا أهله الحرب، فأفرغ الله صبره عليهم، وثبت أقدامهم في مصاعهم، فقلَّ يوم قاتلوهم فيه وقاوموهم وأصابوا منهم، وابتدر الخليفة لأول سقوط الخبر بالثغر عليه في سده والإعجال لإمداد أهله، وتجريد عسكر الصائفة المعاد تجريدها كل عام إليه مكثفاً لأعداده، منتقياً لرجاله، وقد ارتأى أن يستعمل عليها شيخ مواليه وكبير قواده وسيف انتقامه، الوزير القائد الأعلى أبا تمام غَالِب بن عبد الرَّخْمَنِ، شيخ الحروب وفارس الخطوب ومهون الكروب ومذل القروم^(٦)، إثر ما تهيا له إقفاله من أرض العُدُوَّة، مغنياً عنه أفضل غناء فيما أطفأ هنالك من نائرة،

(١) أصحر الأمر وبالأمر: أظهره.

(٢) ماصع قِرْنُهُ مصاعاً: جالده بالسيف ونحوه.

(٣) ختروا بالعهد: خانوا أو غدروا.

(٤) تساربوا: تتابعوا، دخلوا.

(٥) اغْتَلَّ فلان: تَمَسَّك بِحُجَّةٍ أو سَبَبٍ.

(٦) القروم: جمع القَرَم، وهو من الفحول: الذي يُترك من الركوب والعمل، وَيُودَعُ لِلضَّرَبِ، ومن الرجال: السَّيِّدُ الْمُعْظَمُ.

وراض من صعوبة، أراحه عقبها لديه بحضرته من الكدّ، مُجَرِّداً له نوافل الرّفد^(١)، متوقلاً^(٢) به درجات المجد، حتى لأنفذ عهده في النصف من رجب من هذه السنة بتصدير فراشه، الموضوع مكانه ببيت الوزراء في قصره الذي هو معان العزة التي لها يسعى أهل المملكة، فوق فرش الوزراء المرتبة فيه على المنازل المعهودة الترتيب لديهم في طبقاتهم، وتعلّيته في القعود فوق جميعهم، تشريفاً له لم يسبق إلى مثله.

فلما أن كان يوم الخميس لسبع خلون من شعبان منها قعد الخليفة الحكم مقعداً خاصاً بمجلسه من قصر قُزُطبة، شهده الأمير أبو الوليد ولده والوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عُثمان خاصة، فأوصل إلى نفسه الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرُّخْمَن، فتكلموا معه في أمر الثغر وَجَيْشَان العدو به، وتفاوضوا في تعجيل السّد له والإمداد لأهله، وأمر بالتأهب لذلك وَقُوْدِ جيوش الصائفة الحافلة إلى أعداء اللّهُ المشركين الناكثين، واستعجال الفصول بالخير والتأييد على ما نجم^(٣) من ختر^(٤) الكفرة - أهلكهم اللّهُ - لما سألوه من السلم دون علة، وابتدأهم حصن غَرْمَاج بالمحاصرة، فتلقى غالب ذلك بالقبول، ووعد من نفسه فيه الجهد، فشرفه أمير المؤمنين عند انطلاقه من مجلسه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميراً ولا قائداً سواه، ولا تقدم لملك حاشاه، ذلك أن قلّده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين، حليتا غمديهما أثقل حلية بأغرب صنعة، رذاه في مكرمة أعلى بها منزلته، ورفع درجته بعد أن خلع عليه من كسوة الخاصة خلعاً، عاليهما ثوب أحمر عراقي رفيع النسبة بديع الصنعة، وقلنسه بقلسات وشي كاميّ عالية السمك جليلة القيمة، وسمّاه ذا السيفين، وعهد بإقرار هذه السيماء عليه مع سماته المتقدمة، فتلقى هذه الكرامات بالابتهال في الحمد والإسهاب^(٥) في الشكر، وانفض المجلس فخرج غالب يختال في خلعه هذه، وفاضلها محمول بين يديه، إلى أن وصل إلى فراشه المصدر له ببيت الوزارة، فقعد عليه يحدث أصحابه، ومنديل الخلع بين يديه، فجعل الوزير مُحَمَّد بن عُبيد اللّهُ يمدّ يده إلى ما داخله من الكسوة مُكَبِّاً عليها مقبلاً لها مثنياً على الخليفة واهبها داعياً له بإحسان الجزاء وإطالة البقاء. وحان انقلاب الوزير القائد الأعلى ذي السيفين غالب إلى داره، فضم إلى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ولجام

(١) الرُّفْد: المعونة.

(٢) مُتَوَقِّلاً: من تَوَقَّل في الجبل: صَعَدَ فيه، ومنه يقال: تَوَقَّل في مصاعد الشرف أو المجد.

(٣) نجم الشيء: ظهر وبدا.

(٤) الختر: الخيانة والغدر.

(٥) الإسهاب: الإمعان في الشيء، والتّوسُّع فيه، والإسهاب في الكلام: الإكثار والتطويل.

مفرغ، فركب من الحجر مكان ركوب الأعزة، وخرج على الناس والسيوف عليه قد تكنف عاتقه، فنظر من يومه في جهاز سفره، والسلطان قد جمع له أمره ووكل به وزراء وطبقات خدمته في الحشم بتجريد الأجناد معه وتكميل جهازه، فأوعبوا ذلك سريعاً، وفصل الوزير القائد الأعلى ذو السيفين غالب بن عبد الرّحمن لوجهه هذا نافذاً إلى الثغر غداة يوم السبت لتسع خلون من شعبان منها، أفخم فصول وأكملها، وخروجه أعظم خروج وأتمه، واحتفال الناس للنظر إليه أبلغ احتفال وأجمعه، فكان خروجه من داره في لامة حربه متقلداً بسيفي كرامته مرتدياً بهما من جانيه، وبين يديه تعبئة بعد تعبئة، وترتيب بعد ترتيب، من جيوش منتظمة، ومقانب متصلة، قد طبقت الأفق وأغصت الطرق، وصيّر طريقه على باب القصر بقُرْطَبَة، ومولاه الخليفة قد تجلى له في السطح فوق باب السدة، رافعاً كفه إلى الله في نصر المسلمين بيده، وبين يديه الأمير هشام ولده يتمثل فعله، فنفذ لسبيله والخلق يشيعونه إلى أن فارق أبيات قرطبة، فاحتل آخر يومه ذلك بوادي شوس أرملاط؛ ثم ارتحل يوم الأحد بعده لعشر خلون منه يطوي المراحل ويغذ السير^(١)، وخبره متصل بمولاه، واتصل نظر الوزراء ومن معهم من أهل الخدمة بعده أياماً في حملان بقية الجند الغازين معه وإعطائهم معارفهم وإنهاضهم خلفه.

أقول: امتثل الخليفة المستنصر بالله في لباس مولاه غالب السيفين وتسميته بهما فعل الأمير أبي أحمد الموفق بالله ولي عهد أخيه المعتمد على الله المؤيد لدولته بإسحاق بن كنداج الخزري مولاهم، عاملهم على بلد الجزيرة عندما اجتاز به خليفهم أحمد بن المعتمد على الله بن المتوكل على الله فأراً عن ملك أخيه أبي أحمد الموفق بالله، وقيامه بالسلطان دونه قاصداً أحمد بن طولون التركي مولاهم، والي مصر والشام المحاذ للموفق بالله فيه، فقطع به إسحاق بن كنداج عن ذلك لما اجتاز به وحال دونه وصرفه إلى العراق مستحماً إلى أخيه أبي أحمد، فرتق فتقه^(٢) ودعم ملكه وشذ أواخي^(٣) ثقاف الخليفة المعتمد على الله بعده، مرفهاً عنه مخلياً بينه وبين البطالة الغالبة، فأبلغ الموفق بالله أبو أحمد عند ذلك في مكافأة إسحاق بن كنداج بما سئله عليه بأجزل الصلات وأسمى الدرجات، وتناهى في الخلع عليه والتنويه به إلى أن رذاه سيفين حمل عليه اسمهما في سماته وشهرهما يوم خلعه عليه، فجرت سمتهما

(١) أَعْدُ السَّيْرَ: أسرع فيه.

(٢) رَتَّقَ الفَتَقَ: سَدَّهُ، لَحَمَهُ. والفتق: الشَّقُّ.

(٣) الأواخي: جمع الآخية: المعروف، أو عروة تثبت في أرض أو حائط تربط بها الدابة. والأواخي: جمع الآخية: الحُرْمَةُ والذِّمَّة.

عليه حياته، وضمنهما مَدَاحَهُ من الشعراء أقوالهم في امتداحه، ففي ذكرى من ذلك قول زعيمهم البُحْثري^(١) في شعرٍ مدحه به حيث يقول^(٢): [من الكامل]

أَخْلِقْ بذي السَّيْفَيْنِ أَوْ أَضِدِّقْ بِهِ أَنْ يُعْمَلَ السَّيْفَيْنِ حَتَّى يُخْسرَا^(٣)

فامتثل الخليفة الحكم أبا أحمد الموفق بالله فيما فعله بإسحاق فعله في غالب مولاه، وغرباً معاً في ما ابتدعه من ذلك، إذ لم يسبقهما أحد من الملوك إلى مثله، ولا اقترن بهما بعد في امتثاله؛ وللملوك في التنويه بصنائعهم وَحَمَلَةِ كُلِّهِمْ أَعْمَالٌ ممثلة وأخبار مأثورة.

قال: ولم يأتل الخليفة الحكم في تقوية الثغور بكل معنى من الإمداد والإرفاد منذ اتصل به جيشان العدو بأهلها من قبل إنفاذه لمولاه غَالِب بن عبد الرَّخْمَن بالحشد من جنوده ومن بعد مسيره، فعجل إنفاذ صاحب الشرطة الوسطى عبد الرَّخْمَن بن يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم التَّجِيبِي المقيم لديه بِقَرْطَبَةِ إلى سَرَقُشْطَةَ بلده قائداً وممداً، استدعاه الأمير أبو الوليد هِشَام ولده إلى مجلسه يوم الإثنين لأربع خلون من شعبان منه، فأمره عن أمير المؤمنين أبيه بتعجيل اللحاق إلى سَرَقُشْطَةَ قائداً، وبما يحتمل عليه آمراً، وحدَّ له في ذلك حدوداً يمتثلها، وخلع عليه خلعاً فاخرة، ففصل عبد الرَّخْمَن سائراً إلى عمله يوم الثلاثاء بعده لخمس خلون من شعبان، فكان خروجه ظاهر الزينة حسن التعبئة؛ ونفذ العهد إلى مُحَمَّد بن فورتش بالخروج إلى ثغر سَرَقُشْطَةَ وذلك الفرج مطالعاً لحاله ومنهياً لمصالحه.

وفي يوم الخميس للنصف من شعبان منها خرج سَهْل الفتى الكبير إلى الثغر الأعلى بسؤال الوزير القائد غالب إرساله إليه مُمداً ليستعين به، فنفذ نحوه في جمهور من الحشم وطائفة من العبيد الخمسين والرماة؛ وخرج مُحَمَّد بن أحمد بن أمية بن شُهيد مستخزناً على الأموال الجمة المرسلة إلى الوزير القائد غالب للاستئناف في عسكر الصائفة النافذ عنه لصائفة هذا العام.

وفي يوم الأربعاء لِسْتُ خلون من شعبان منها صعد الخليفة الحكم إلى السطح المُوفى على باب السدة ومعه الأمير ابنه أبو الوليد منفرداً، فتجلى منه طوائف من أكابر

(١) هو أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحتري الطائي: شاعرٌ، مُقدِّمٌ، مشهور. عاش في زمن العباسيين، ومدح جماعة منهم. توفي سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٨م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٣٥٨).

(٢) ديوان البحتري: ٤٢٧/١. والبيت من قصيدة طويلة، يمدح بها إسحاق بن كنداج، عندما تُوجَّ، وَقُلْد سيفين.

(٣) في الديوان: «أو صدق به».

طبقات الأجناد من الموالي والعرفاء وأشكالهم، اجتمعوا هنالك للاعتراض، تطلعت نفسه إلى معاينة تحركهم باللعب على خيولهم وملاعبتهم لأقرانهم، طالباً بذلك مسرة الأمير ولده، فأنفذ الأمر إليه بمعاينة ذلك تحت التحفظ من الأذى، وأن يصيروا محاولاتهم بالرمح إشارات لا تؤول إلى جراحات، وحفظوا من مخالفة ذلك وأوعدوا على تنكيه، فأخذوا في شأنهم مجتهدين، ودارت بينهم محاولات سالمة يطرد منها بعضهم لبعض ويحترس من الخطأ، إلا ما كان من افتراس وليد بن عبد الملك بن موسى بن الطويل الثغري لقرنه مدين بن الخير بن خزر البربري بمركز رمح أصاب به ما بين كتفيه فسقط جريحاً واحتمل إلى داره، وقيداً^(١)، واعتداء مُنذر بن عبد الله بن هابل على قرنه من الجند بمثلها. فأنكر الخليفة ذلك، فأمر بسجن الوليد ومُنذر أدباً لهما، وأمر للجريحين بصلتين وارتفع عن مجلسه ذلك قرب صلاة الظهر من يومه.

نُكْرُ الظَّفَرِ بِأَبِي الْأَحْوَصِ

وفي يوم السبت لسبع بقين من شوال منها ورد الكتاب بما منّ الله به وصنعه على يدي رَشِيقِ القَائِدِ بِلَارْدَةِ^(٢) من ظفره بالمرتد المجرم معدّ بن عبد العزيز التُّجِيبِي المَشْتَهَر بكنيته أَبِي الْأَحْوَصِ، وقبضه عليه دون عهد ولا ميثاق؛ وكان قد أبق عن المصاف منذ ستة أعوام، ولحق بأعداء الله المشركين مع رهط من أصحابه، فكان يظاهر المشركين على طروق أطراف^(٣) المسلمين، ويدل على عوراتهم^(٤)، وينتهز الفرص فيهم، ثم دخل حصناً من الحصون المعاهدة المؤدية، - كان يؤدي الجزية إلى قواد لآردة القاصية يُدعى حصن الرشد - اعتصم به له وحمل أهله على النكث، وصار مالكا للحصن، فلما حان وقت أداء الجزية على أهله أرسل إليهم رَشِيقِ القَائِدِ بِلَارْدَةِ يسألهم أداءها له على عادتهم، فامتنعوا منه ولاذوا بالغوي أبي الأحوص وأسندوا إليه، فتهياً رَشِيقِ لقصدهم وجمع الجند والمطوعة قبله، ومضى نحوهم، فنزل على الحصن وأخذ في قتاله، وقد أغلق أهله الأبواب عليهم ولاذوا بحصانته، وتسمع قومس كان بتلك الناحية بخبر محاصرته لهم فجمع خيله وسار نحوهم ممداً لهم، وقد سقط خبره على رَشِيقِ فقطع عليه طريقه قبل أن يصل

(١) الْوَيْدُ: الذي يُغَشَى عليه، لَا يُدْرَى أَمَيَّتْ هُوَ أَمْ حَيٌّ.

(٢) لاردة: مدينة تقع شرقي قرطبة، وتتصل أعمالها بأعمال طَرْكُونَةَ منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، ويُنسب إليها عدد من المدن والحصون. (معجم البلدان، الحموي: ٧/٥).

(٣) طَرَقَ الْقَوْمَ طَرْوَقاً: أتاهم ليلاً، وطرق الطريق: سلكه. الأطراف: الجوانب والنواحي.

(٤) العورات: جمع العورة: كل بيت أو موضع فيه خلل يُخَشَى دخول العَدُوِّ منه.

إليهم، وواضعه الحرب فهزمه، وقتل له علوجاً بعث برؤوسهم إلى باب السُّدة، ونجا القومس مفلولاً^(١)، وتمادى رَشِيق على حصار أهل الحصن والتضييق عليهم وسومهم الإفراج عن المارق^(٢) أبي الأحوص، فراسلوا رَشِيقاً مدعينين بإخراج أبي الأحوص وصحبه على أن يكف عنهم ويقتنع منهم بأداء جزيتهم وإعلامهم بذمة سلمهم، عائدين إلى طاعتهم، فأعطاهم ذلك ووثق لهم، فأسلموا إليه أبا الأحوص وأصحابه، فتوثق منهم، وبادر الكتاب بإعلام أمره، فَجُوب: يُتَشَكَّر فعله ويُحمد مقامه وَيُؤمر بإرسال الفاسق وأصحابه إلى باب السُّدة، وبعث إليه صلة نفيسة وخلعاً فاخرة فيها سيف حال رفيع القيمة، وقيد إليه فرس رائع بحلية مفرغة.

فلما كان يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر رمضان وصل إلى قُرْطُبة أبو الأحوص مَعَدَّ بن عبد العزيز مكبولاً مع عشرة من أصحابه مكبولين أيضاً، وبين أيديهم رؤوس أعلام المشركين الذين قتلوا في المعترك من أجله، سبعة عشر رأساً مرفوعة فوق الرماح، فرفعوا بباب السُّدة من قصر قُرْطُبة، ونفذ العهد إلى مُخْلَف المدينة مُحَمَّد بن الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثْمَان بسجنهم جميعاً في سجن المطبق، فضمهم إليه؛ ورفعت رؤوس المشركين مكانها بإزاء باب السُّدة، ونفذ العهد إلى رَشِيق البرغواتي بالتخلي عن عمله لآرِدة ومنتشون وذواتهما لِهَشَام بن مُحَمَّد بن هِشَام التُّجِيبِي المُوَلَّى مكانه إثر قفوله من العُدوة، واللحاق بالعسكر والانضمام إلى القائد الأعلى ذي السيفين غَالِب بن عبد الرَّحْمَن، فنفذ ذلك.

وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان منها قُدِّم عبد العزيز بن حَكَم التُّجِيبِي القائد من الشرطة الوسطى إلى الشرطة العليا وصيِّر ركوبه من على الحجر، ثم استدعاه الأمير أبو الوليد إلى مجلسه يوم الخميس لثلاثٍ بقين منه، فأمره عن أمير المؤمنين والده باستعجال الخروج إلى عمل دروكة وذواتها بشدة، ثم اللحاق بالوزير القائد الأعلى ذي السيفين غالب بن عبد الرَّحْمَن بالعسكر المؤيد والكون معه.

وفي آخر شعبان منها وردت الأخبار من الثغر باحتلال الوزير القائد الأعلى ذي السيفين بحصن برهون يوم السبت لسبع بقين منه، وأنه تلَوَّم به حتى تلاحق به بعض مبطئي الجند، ثم تقدم إلى زلنقة، ثم إلى جبل الوسيط به بقبلي حصن غَرْمَاج الحصور^(٣) على شفير^(٤) وادي دويرة الحاجز بين بلد الإسلام وحصن غَرْمَاج، فألفاه

(١) المفلول: المُنْهَزِم، المُتَكَبِّر.

(٢) المارق: الخارج على الدين أو الجماعة.

(٣) الحَصُور: المُتَنَع.

(٤) شفير الوادي: حَافَتُهُ.

حاملاً ممتنع التقحم فيه، قد وعر المشركون المخاض بصفته قبالة مجثمهم^(١) على الحصن، محيطين به في جموع لا تُحصى وأعداد لا تُحَدَّ ولا تُقْصَى، ووضعوا على النهر طلائع في خيولٍ كثيفةٍ ورجلٍ لفيف، فتوقف الوزير غالب عن الاقتحام مضطراً، وحطَّ عسكره، وقابل أماكن المخاض إليهم بمثل أعدادهم من الخيل والرجل، وبلغ من شدة الاحتراس الجهد.

وفي غرة شهر رمضان تسارب مطوعة أهل قُرْطَبَة بالخروج إلى الشجر الأعلى ممدّين لأهله فانجفلوا راغبين في الجهاد بأموالهم وأنفسهم يوماً إثر يوم، وأعجب السلطان ما كان من انبعاث مطوعتهم دون إلزام لهم وأتّى بصالح بلائهم.

وتجددت مدخل شهر رمضان صدقات الخليفة ونمت وزكت، فنفع الله بها خلقاً من محاييج الناس^(٢) وضعفائهم، وأعلن فيه الهتاف على مستأخري الأجناد ذوي العلات المبطلين عن اللحاق بالعسكر المؤيد لتعجيل اللحاق به، وترك التلوم عنه^(٣)، ونُبذ^(٤) إليهم بالوعيد الشديد في ترْبُصهم^(٥) فخرجوا مُستبقيين.

ووافت الأخبار من العسكر بتلاقي حراس المسلمين والمشركين على شفير وادي دويرة يوم السبت لسبع خلون من رمضان، أنشأ فريقا الحافظين للمخاض من الأمتين، ينبري بعضهم إلى بعض، ثم استطرد المسلمون لمن تشوف إليهم من المشركين، حتى اجتاز إليهم عدد عظيم منهم خالطوهم، فنزل بينهم قتال شديد وراء النهر حميت منه نفوس المسلمين فجلدوهم القتال، وهم أقل عدداً منهم، وعاركوهم ملياً، فاكتفوا بهم ونالوا منهم. واتصلت بالوزير القائد غالب هذه الناشبة^(٦) وهو بمجلسه فأنكرها، وركب من فوره فيمن خفّ من رجاله وأوفى عليهم فزلزل الله بالمشركين، وولوا مقتحمين النهر والسيوف آخذة مأخذها من نحور الكفرة وظهورهم، فأئخن القتل فيهم ولم ينج منهم غير من ابتدر الترامي فيه، وصرع في المعترك من قواسيسهم^(٧) خاصة نحو عشرين رجلاً،

(١) المَجْتَمُ: مكان الجثوم: الإقامة أو الثبات واللزوم، يقال: جثم الحيوان والإنسان جثوماً: لزم مكانه فلم يبرح، أو لَصِقَ بالأرض.

(٢) محاييج الناس: ذوو الحاجة منهم.

(٣) التَّلُومُ: التَّلبُّثُ على الأمر، أو التَّمَكُّتُ والانتظار فيه.

(٤) نُبِذَ إليهم بالوعيد: جُوهِرُوا به.

(٥) التَّرْبُصُ: الانتظار والترقب.

(٦) الناشبة: اسم من تناشب القوم: تضاموا، وعَلِقَ بعضهم ببعض، أو من ناشبه الحرب: نابذه إياها.

(٧) القواسيس: لعله أراد: القساوسة: جمع القَسَيس: من رؤساء النصارى، أو هو الحاذق الخبير في الأمور.

حُزَّت رؤوسهم وأخذت عنهم دروع سابعة^(١) وبيضات^(٢) حصينة ومغافر^(٣) وافية وسلاح شاكّة^(٤) صار جميعها فيئاً للمسلمين، وباء حزب الكفرة بخزيه مفزوحين.

ورأى الوزير القائد الأعلى غَالِب أن النظر التام والحزم العام في تنقيح المحلة إلى برهون، وأن يضطرب العسكر في فحوصه، ويقيم بهم حتى تتوافى الحشود لديه وتحتل الجنود به، إذ كان النفير قد عمَّ كُور الثغر، وجرودها متسربة إلى العسكر، وهو يتوقع أن يكون لأعداء الله عيونٌ على متلاحقيهم ومكانين في طرقهم يرصدون لمكروهم، لبعد العسكر عن بلد الإسلام، فأنفذ عزمه في الانتقال إلى برهون، ووافق في ذلك الصواب بتوسطه البلد، فلزم محلة برهون مقلباً للرأي مرتقباً لغرة ينتهز بها فرصة، كان احتلاله بمحلة برهون هذا يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر رمضان.

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وصل قُرُطْبَةُ الفتى الكبير الجَعْفَرِي من قُرُطْبَة بكتائب من بقايا صنوف الأجناد والعبيد والرماة والوفود غازياً مُمِداً للوزير القائد ذي السيفين غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ، وقُدَّامه قطار من الزوامل محملة صنوف العدد والقوة وضروب الآلة والأهبة يحملها من قصر قُرُطْبَة، وقامت له المراتب ما بين بابي الجنان والسُدَّة، واحتفل لرؤيته النظارة، فاحتل يومه ذلك بفحص أرماط، ثم تحرك يوم الجمعة بعده يطوي المراحل^(٥).

وفي يوم الخميس لأحدى عشرة بقيت منه خرج صاحب الشرطة قَاسِم بن مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلَس قائداً ومُمِداً للوزير القائد غَالِب، فكان خروجه فحماً ظاهراً في عسكر لَجِب^(٦) من طبقات الحشم الذين استجار حملانهم وممن وقع الاختيار عليهم من الوفد والرماة والمطوعة، فاحتل يومه هذا بفحص المنية المنسوبة إلى الأخ أبي الحكم بالشاعات، على النهر الأعظم، ونفذ من الغد لسييله.

وفي يوم السبت لسبع بقين منه عُزِلَ أحمد بن سَعْد الجَعْفَرِي عن الشرطة العليا وَيَعْلَى بن أحمد بن يَعْلَى عن الشرطة الوسطى، عن عتب عليهما، وأمر باللاحاق بالعسكر، فنفذا لسييلهما، وعهد إلى بسيل وعبد الحميد وعُبَيْد الله بني صاحب الشرطة العليا أحمد بن عبد الله بن بسيل باللاحاق بالعسكر أيضاً والغزو مع الوزير

(١) سابعة: تامة.

(٢) البيضات: جمع البيضة: حوزة القوم وحماهم، أو الخوذة.

(٣) المغافر: جمع المغفر: زرد يُنسج من الدروع على قُدْر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة.

(٤) سلاح شاكّة: تام.

(٥) يطوي: يقطع، يجتاز. المراحل: المسافات، الواحدة: مرحلة.

(٦) عسكر لَجِب: ذو صوتٍ وجلبة.

القائد الأعلى غَالِب، من غير عتب عليهم، فنفذوا لطيتهم، وأخرج معهم إلى أيام إسماعيل بن الشيخ إلى العسكر، وَوَلَّى عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن مُحَمَّد بن إلياس خزانة السفر، وأمر بإخراج المال المرسل إلى الوزير القائد ذي السيفين، فنفذ لوجهه .
وتوفر الاهتمام على أهل حصن غَرْمَاج والإشفاق عليهم، وأعلن الناس به في مساجدهم ومحافلهم، حتى لقام رجل من صالحى المسلمين خامل الذكر في جنازة الزاهد المعروف بالحضرمي إثر دفنه بمقبرة قريش يوم السبت لسبع بقين من شهر رمضان، وكانت مشهودة بطبقات الناس بإثر دفن الميت، فنادى رافعاً صوته للناس فقال: «عباد الله أخلصوا الله دعاءكم وارفعوا إليه أصواتكم بالنداء والابتهاال في حقن دماء إخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين أهل حصن غَرْمَاج الذين قد أحاط بهم جمع المشركين وأخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم^(١) بكثرتهم؛ اللهم أهلك الكفرة وما ابتدعوا، وأوهن كيدهم وما جمعوا، اللهم فرِّق ملاءهم^(٢) بعزتك، وبدد شملهم بعظمتك، وأيد المسلمين عليهم بقدرتك، وانصرهم نصراً عزيزاً، وافتح لهم فتحاً مبيناً». فأُمن الحاضرون وأجهشوا بالبكاء، وعجلوا بالضراعة والدعاء، والابتهاال والنداء، فلم تبطئ عنهم الإجابة والقبول من رب العزة تعالى .

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وفي يوم الإثنين غرة شوال الذي هو يوم عيد الفطر قام الترتيب بقصر قُرْطُبة على أفضل التهذيب لفعود الخليفة الحكم على السرير للتهنئة على العادة، مختصاً بذلك الإخوة والوزراء وأكابر أهل الخدمة دون سواهم، وإجلال ابنه الأمير أبا الوليد المرشح لعهد ناحية عنه لكافة أهل المملكة والرعية، فانقسم الترتيب يومئذ على هذه الشراكة، وصار جلوس الخليفة لتلك الخاصة في المجلس الغربي من دار الروضة، فتوصل إليه من الإخوة أبو القاسم الأصبغ، وأبو المطرف المغيرة، وتخلف منهم الأخ أبو الأصبغ عبد العزيز لعله نالته. ثم توصل بعدهما الوزراء فسلموا، ثم تلاهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والخزان والعراض وطبقات أهل الخدمة، وتوصل إثرهم قاضي الجماعة مُحَمَّد بن إسحاق بن السليم ولمته^(٣) من الحكام أصحاب الشرطة الصغرى والرد، فسلموا واثنوا إلى مجلس الأمير أبي الوليد، وقعد للخاصة والعام في المجلس الزاهر بالحائر أتم قعود وأكملة. وقعد الأخ أبو

(١) استطالوا عليهم: اعتدوا عليهم، أو غالبوهم وباروهم.

(٢) الملاء: الجماعة.

(٣) اللمة: الرفقة.

المُطَرِّف المغيرة بن الناصر عن يمينه، وقعد عن يساره الأخ أبو القاسم الأصبغ بن الناصر، وحجبه عن ذات اليمين الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثْمَان، وتحتة صاحب الشرطة العليا أحمد بن مُحَمَّد بن عَبَّاس؛ وحجبه عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم ومدينة الزهراء زياد بن أفلح، وتحتة صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد الله بن يَحْيَى بن إدريس، وتحتة صاحب الشرطة والسكة والموارث مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عامر، وبإثرهم أصحاب المخزول والخزان والغراض وقوفاً حجاباً ومن يليهم من طبقات أهل الخدمة والوصفاء أصحاب الركاب وغيرهم ممن تقدمت عاداتهم بالوقوف بين يدي أمير المؤمنين أيام قعوده للتسليم. وقام في هذا المجلس جميع فتیان أمير المؤمنين الأكابر ومن يليهم من الكتاب والوصفاء وغيرهم على مراتبهم. وقعد الوزراء بإثر الأعمام على منازلهم، وقعد في الصف الذي عن ذات اليمين بإثر الوزراء حَكَم بن مَسْعُود بن أبي القَاسِم الخال، وبإثرهم جَعْفَر بن عليّ الأندلسي، وحجبه في جملة الحجاب آخر المجلس أخوه يَحْيَى بن عليّ، وقام في برطل هذا المجلس ترتيب الوصفاء ومَن دونهم من الصقالب، ثم اتصل بهم العبيد والرماة والممالك فصيلاً إثر فصيل إلى دار الوزراء. وكان قعود الوزراء في هذا النهار قبل وصولهم في برطل دار الكامل. وقعدت قریش الصلب وسائر بني أمية مع بني مُحَمَّد الحسينيين وفيهم أعاضمهم يَحْيَى وَحَسَن ابنا قُتُون وسائر بني أحمد في بيت الوزارة، وقعد الموالي في بلاط الريح، وقعد الفقهاء أهل الشورى وأهل العدل وقضاة الكور في سقيفة بلاط الريح، وقعد سائر الأجناد في بيوت أهل الخدمة، إلى أن أذن لهم بالوصول. وكانت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل وتنشد بين يدي الأمير أبي الوليد فَتَسَحَنِفُر وتجتهد؛ فَمِمَّن قام من الشعراء يومئذ بين [يديه] منشداً شعره، مُحَمَّد بن شخيص، أطلال وأجاد، وكان أوله: [من الطويل]

أَرَى مَشْرِقَ الدُّنْيَا يُنَافِسُ مَغْرِبَا	على غُرَّةٍ لَمْ تُبْقِ لِلظُّلُمِ غَيْهَبَا ^(١)
بِهِ صَفَتِ الدُّنْيَا وَدَرَ نَعِيمُهَا	وطابت لياليتها فأهلاً ومَرْحَبَا ^(٢)
وَلَوْ أَثَرْتُ بِاسْمِ الْخِلَافَةِ غَيْرَهُ	لَكَانَ الْمُسَمَّى بِالْإِمَامِ مُلْقَبَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرَعَاءَ أَرْضَهُ	فَأَخْصَبَ مِنْهَا كُلُّ مَا كَانَ مُجْدِبَا
لَهُ عِنْدَ إِكْبَابِ الْمُحُولِ مَوَاهِبُ	تَغِيْظُ الْغَوَادِي أَنْ تَدِيرَ تَرَهْبَا ^(٣)

(١) يُنَافِسُ: يُسَابِقُ وَيَبَارِي. الْغُرَّةُ (من الرجل): وَجْهُهُ. الْغَيْبُ: الظلمة.

(٢) دَرَ النَّعِيمِ: كَثُرَ.

(٣) الْمُحُولُ: جمع المخل: القحط والجذب.

يُرِينَاهُ إِفْرَاطَ الْهُوَى وَهُوَ غَائِبٌ
دَعَاهُ بَنُو الدُّنْيَا مَهِيْبًا مُحَبِّبًا
هُوَ الْعَاشِرُ الْمَوْجُودُ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ
شَوَاهِدُهُ تَبَقَّى بِحَمَلِ لَوَائِهِ
إِذَا لَمْ تُؤَلَّفْهُ مَوَاقِبُ جُنْدِهِ
مُنَى الْخَلْقِ أَنْ يَرْقَى مَنَابِرَ قَدْ أَتَى
وَقَدْ شَهِدُوا مِنْ خَاطِبِي آلِ هَاشِمٍ
لَقَدْ حَانَ أَنْ يَحْظُوا بِنُصْرَةٍ مِنْ عَدَا
رَثَيْسُ مُلُوكِ الدُّوَلَتَيْنِ لِأَنَّهُ
عَدَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ وَهِيَ الَّتِي زَكَّتْ
أَدْرَنَا زِلَالَ الْمَاءِ إِذْ عَذِبَ إِسْمُهُ
أَظُنُّكَ لَمْ تَلْحَظْ بِعَرْشٍ مَنْ اسْتَوَى
يُقَيِّدُ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ لِمَالِكٍ
أَمَّا إِنَّهُ فِي الْخَلْقِ أَكْرَمُ نَثْرَةٍ
مُنْخَنَّا بِهِ فِي الْمَهْدِ يَقْظَانُ مُلْهَبًا
أَرَانَا بِحَذَقِ الطَّبْعِ آلَا مُؤَدَّبٍ
إِذَا عَدَّ مَنْ يَعْلِيهِ لَمْ يَعْدُ عَدَّهُ

وَيَبْدُو فَيَجْلُو بِالْجَلَالِ مُغِيْبًا^(١)
كَمَا كَانَ نَامِيهِ مَهِيْبًا مُحَبِّبًا
يُحْمُ بِهِ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ تَقَرَّبَا^(٢)
إِلَى بَابِلَ بَعْدَ الْمُرُورِ بِيَثْرِيَا^(٣)
عَدَا حَوْلَهُ جُنْدُ الْمَلَائِكِ مَوْكِبًا
لِدَاعِيهِ أَنْ يَرْقَى عَلَيْهَا فَيَخْطُبَا^(٤)
لَدَى حِجَّتِهِمْ أَفْعَى تُسَاوِرُ عَقْرَبَا^(٥)
لَهُ نَاصِرٌ جَدًّا وَمُسْتَنْصِرٌ أَبَا
أَعَزَّ بَنِي الدُّنْيَا نِصَابًا وَمَنْصِبًا^(٦)
وَطَابَتْ بِوَالِي الْعَهْدِ فِي رَيْقِ الصَّبَا^(٧)
فَصَارَ عَلَى الْأَفْوَاهِ أَحْلَى وَأَعْدَبَا
وَلَمْ تَدْرِ إِذْ حَلَى بِسَيْفٍ مَنْ اجْتَبَى^(٨)
رَوَايَةَ يَخْيَى وَابْنَ وَهْبٍ وَأَشْهَبَا^(٩)
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ أَكْرَمُ مُجْتَبَى^(١٠)
وَقَبْلَ بُلُوغِ الْحِلْمِ كَهْلًا مُجْرَبَا^(١١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ سَنَخُ الطَّبَاعِ الْمُؤَدَّبَا^(١٢)
إِمَامًا تَقِيًّا أَوْ نَجِيْبًا مُقَرَّبَا

(١) يجلو: يكشف. الجلال: العظمة.

(٢) يُحْمُ بِهِ الْأَمْرَ: يدنو.

(٣) بابل: مدينة في العراق. يثرب: المدينة المنورة.

(٤) أنى: حان وقرب.

(٥) تساور: تواكب.

(٦) النُصَابُ: الأصل والمرجع. المنصب: المقام، أو الأصل.

(٧) زكت: طابت. رَيْقُ الصَّبَا: أوْلُهُ.

(٨) اجتبي: اصطفى واختار.

(٩) مالك ويحيى وابن وهب وأشهب: من علماء المسلمين ورواتهم المشهورين.

(١٠) النثرة: عنقود من النجوم في صورة السرطان، وهو الثامن من منازل القمر.

(١١) في المهد: في سرير الطفولة. بلغ الحلم: بلغ مرحلة الشباب.

(١٢) السَّنَخُ: الأصل.

إذا أخضع الحق الرقاب لواجب
عريق بني مزوان في الحسب الذي
نَزَتْ في نواحي العزب منهم أشابة
يعزُّ على داعي الروافض أنه
أذاعت بلاد القُيُروان بِحُبِّها
بأي عنادٍ مِنْ معدٍّ عَنِ الهدى
تَوَى نيةً تَأْبَى المَقَادِيرُ أَنْ تَفِي
عَفَتْ صَبْرُهُ إِلَّا صَوَائِفُ دَعْوَةٍ
مَضَى عَنْ مَعَانِيهِ فَلَمْ تَشْكُ وَخَشَّةُ
نَعْتِهَا التَّوَاعِي مِنْ زَمَانٍ مُؤْتَبِ
بِهِ عَالٍ فَرَضَ الْحَجَّ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا
يَرَى أَنَّ تَرْكَ الْحَجِّ أَنْجَى لِدِينِهِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَرَزَى بِهِ وَبِحَزْبِهِ

غدا حَقَّ مولانا أحقَّ وأوجبَا
غَدَا فَاخْرُهُ لِلطَّالِبِينَ مُحَسِّبَا^(١)
أُعِيدَ لَهَا بَرْقُ الأمانِي خُلْبَا^(٢)
قَدْ أَنْشَبَ فِي أَوْدَاجِهِ اللَّيْثُ مِخْلَبَا^(٣)
بَنِي عَبْد شمسٍ طاعةً لَا تَحْزُبَا^(٤)
يَقُومُ بِمَصْرِ أَوْ يُؤْمُ الْمُحْصَبَا^(٥)
بِإِنْجَازِهَا حَتَّى تُوَافِيَ هَبْهَبَا^(٦)
تَجَحَّفُ فِي اسْتِدْعَائِهَا الْمُزْهَفُ الشَّبَا^(٧)
وَصَارَ بِهَا نَوُحُ الْحَمَامِ تَطْرُبَا^(٨)
وَكَانَ مَعْدً يَسْتَرِيثُ الْمُؤْتَبَا^(٩)
إِذَا كَانَ فِي إِسْلَامِهِ مُتَحَوِّبَا^(١٠)
مِنَ الْحَجِّ بِاسْمِ الرَّافِضِيِّ الَّذِي صَبَا^(١١)
تَرَدَّدُ كُتُبُ الْمُتَنَمِّي لِطَبَاطِبَا^(١٢)

(١) العريق: الأصيل، الكريم.

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس. بَرْقُ خُلْبٍ: بَرْقُ لَا مَطَرٍ يَتْبَعُهُ.

(٣) الروافض: فرقة من المسلمين كانت تجيز ذمَّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
الأوداج: عروق العنق.

(٤) بنو عبد شمس: الأمويون.

(٥) المُحْصَب: موضع رمي الجمار بِمَنَى.

(٦) المقادير: الأقدار. هَبْهَب: اسم وادٍ في جهنم.

(٧) عَفَتْ: امُحِتَتْ وَزَالَتْ. صَبْرَةُ: قرية قريبة من القيروان، وتُسمَّى المنصورية.

تَجَحَّفُ: فَخَّرَ وَتَكَبَّرَ. المرهف: السيف الرقيق الحاد. الشَّبَا: جمع الشَّابَّة، وهي من السيف:
خذ طرفه.

(٨) المغاني: جمع المغنى: الموضع الذي يغنى به صاحبه عن غيره، لجماله، ولطف هوائه، وغير ذلك.

(٩) يَسْتَرِيثُ: يَسْتَبْطِئُ.

(١٠) مُتَحَوِّبٌ: من تحوَّب الرجل: تَعَبَّدَ لِيُكَفِّرَ عَنْ ذُنُوبِهِ. ومنه: تحوَّب في دعائه: تَضَرَّعَ، ومن القبيح: تَحَرَّجَ.

(١١) الرافضي: المتنسب إلى الروافض الذين مرَّ ذكرهم.

(١٢) أَرَزَى بِهِ: تهاون به وقصَّر، أو حَقَّرَ.

هَوَتْ فِي مَهَاوِي الْحَيْنِ أَطْمَاعُهُ بِهِ
 دَعَتْهُ قَلْبًا هَا وَفَارَقَ مَا بَنَى
 أَلَا قُلْ لِمَوْلَايَ الْإِمَامِ الَّذِي عَدَا
 عِدَادِي تَمِيمِي غَيْرَ أَتَيْ دَائِنُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ صَارَ التُّشْيَعُ وَالْهَوَى
 يُرِيكَ قَرِيضِي أَنْ رَأَيْتَ لَمْ يَزَلْ
 هَوَاجِسُ أَوْطَارٍ أَنَا بَيْنَ مَوَاجِهَا
 أَمَا وَالَّذِي أَخَذَى الْمَطِيْعَ لِمُلْكِهِ
 لَقَدْ شَغَلْتُكَ الْبَاقِيَاتُ إِذَا اجْتَوَى
 سَائِنِي عَلَى دُنْيَايَ إِذْ ظَفَرْتُ يَدِي
 لَمْ أَذْكَرْ وَلِيَّ الْعَهْدِ بِاسْمِ وَنَسَبِهِ
 أَوَائِلُ أَبِيَاتِي إِذَا هِيَ أَلْفَتْ
 مَرَاتِبُ لَا يَغِيَا الْأَرِيبُ بِوَضْعِهَا
 فَصَدَّقَ فِي مِضَرِّ الرَّجَاءِ الْمَكْذَبَا^(١)
 فَأَخْرَبَ مَبْنِيًّا وَلَمْ يَبْنِ مُخْرَبَا
 أَبُوهُ لِمَهْدِي الْأُئِمَّةِ مُنْجِبَا^(٢)
 لَكُمْ بِاعْتِقَادِ فِطْرَةٍ لَا تَعْصِبَا^(٣)
 لَنَا فِي بَنِي مَرْوَانَ رَأْيَا وَمَذْهَبَا^(٤)
 أَقْلُبُ مِنْهُ فِي مَدِيحِكَ قُلُوبَا^(٥)
 كَذِي الْبَخْرِ إِذْ حَطَّ الشَّرَاعُ فَسَيَّبَا^(٦)
 فَأَذْكَرَ فِي بَغْدَادَ بَلْقَيْسَ فِي سَبَا^(٧)
 مِنَ الشَّغْلِ إِلَّا أَنْ يُغْنَى وَيُشْرَبَا^(٨)
 بِجَاهٍ فَكَانَ الْجَاهُ لِلْمَالِ مُكْسِبَا^(٩)
 وَإِنْ كَانَ قَدْ نَصَّ الثَّنَاءُ فَأَطْرَبَا
 عَلَى التُّسُقِ يَكْفِي أَنْ تُسَمَّى وَتُنْسَبَا^(١٠)
 مِنَ النِّظَمِ فِي بَيْتَيْنِ وَضَعَا مُرْتَبَا^(١١)

وفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من شوال منها تجلّى الخليفة الحكم مع الأمير أبي الوليد ابنه بسطح باب السّدة، من قصر قُزُطْبَةِ المِطْلَ على العامة وقد تقدم في جمع المساكين والضعفاء والمحاييج أسفله في المحبّة، فلما تكاملت فرقهم هنالك أمر ببث المال [الذي] أعدّه للصدقة عليهم بمرأى منه، فجعل الفتیان الخدم الصقالبة

(١) هَوَتْ: سقطت. الْحَيْنُ: الهلاك.

(٢) مُنْجِب: اسم فاعل من أنجب الرجل: وُلِدَ له وَلَدٌ نجيب.

(٣) دَائِن: اسم فاعل من دان فلان: اعتقد، أو أطاع، أو خضع ودَلَّ. الفطرة: الطبيعة السليمة لم تُشَبَّ بِعَيْبٍ، أو الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خَلْقِهِ. تَعْصَبَ له أو تَعْصَبَ معه: نَصَرَهُ، وتَعْصَبَ فلان: كان ذا عَصِيَّةٍ.

(٤) التُّشْيَعُ: الاتِّبَاعُ والتُّصَرَّةُ. المذهب: الطريقة، أو الْمُعْتَقَدُ.

(٥) القريض: الشعر. الْقُلْبُ: الكثير الثَّقْلُ، والمراد: الْقَلْبُ.

(٦) الهواجس: الخواطر والأفكار. الأوطار: الحاجات والمآرب.

(٧) أخذاه: أخضعه وأذلّه.

(٨) اجتوى القوم: أبغضهم، واجتوى الطعام: كرهه، واجتوى البلد: كره المقام فيه.

(٩) الجاه: المنزلة والقدر.

(١٠) التُّسُقُ: ما كان على نظام واحد من كل شيء.

(١١) يَغِيَا: يتعب أو يعجز. الْأَرِيبُ: العاقل.

يجولون بينهم، وأكياس المال مفتوحة ومفرجة بأيديهم يحفنون^(١) لهم، كل بحسب ما قدر له، فعمّ جميعهم معروفه وعلت أصواتهم بالدعاء.

ذكر الصنع لأهل غَرْمَاج

وفي يوم الإثنين لعشر بقين من شوال منها ورد الفتح العظيم والصنع الجسيم بخبر هزيمة أعداء الله المشركين المتألبين على أهل حصن غَرْمَاج ونكوصهم^(٢) عنه خائبين ممّا رجوه، قد أذلهم الله وخذلهم، وأعزّ المسلمين ونصرهم، وإن إقلاعهم هذا جرى يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت منه بعد انصرام أربعة وسبعين يوماً من يوم نزولهم عليه ومحاصرتهم له. وكان الذين تألبوا عليه وأحاطوا به من طواغيت الكفرة شانجه بن غرسية بن شانجه البشكنسي صاحب بنبلونة وصهره غرسية بن فردلند بن غند شلب صاحب قشتيلة وعملها وفردلند بن أَلشور صاحب منه فريل (٣) وما والاها، وبنو غومس أصحاب ألبه والقلاع وغيرهم، أحاطوا بالحصن في زهاء ستين ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك من أصناف الكفرة عن ابتعاث ملكهم رذمير بن شانجه بن رذمير ملك جماعتهم لهم لذلك، وإمداده إياهم، وقد استبطأ سعيهم فعجزهم واستقصرهم حين أعى عليهم فتحه، فصار نحوه من قاعدته مدينة ليون - دمرها الله - في عسكر لجب، ومضت معه عمته الكافرة حلوية وعمته ناكثة للعهد الذي كانت لا تزال تؤكده وتسأل إمضاءها عليه، فسولت لها نفسها ظهور حزبها، وجاءتهم مع ابن أخيها حتى احتل بهم في جمعهم، فقويت به نفوسهم وأخضعوا رقابهم وجددوا له بيعتهم، فتولى اللعين قتال أهل غَرْمَاج أياماً في خاصته المستطيلين به فكان الله يهزمه ويكبه لوجهه ويغيظه بقتل حُماته. ثم اجتمعت كلمتهم يوم الإثنين للنصف من شوال على مناهضة أهل غَرْمَاج ومناجزتهم^(٣)، وأداروا الرأي بينهم على التصميم إليهم، وألا يرفعوا يداً عنهم حتى يقتحموا عليهم، أو يغلبوهم، أو يقضي الله قضاءه فيهم؛ فنهضوا عند ذلك إلى الحصن في معظم جيشهم، وأكبوا عليه وهم لا يشكون في فتحه، ولا يرتابون في دخوله، فبرز إليهم المسلمون متوكلين على الله ومستنصرين به، فدارت بينهم حرب عظيمة كأشد ما يكون بين المتجاذبين استحرت في الجلبة وتلظت^(٤)، وصار المسلمون في صليها كرجل واحد في الارتماء على المشركين

(١) حَفَنَ الشيءَ حَفْنًا: أخذه براحته أو براحتيه، والأصابع مضمومة، يقال: حَفَنَ لهم: أعطى كل واحدٍ منهم حَفْنَةً. والحَفْنَةُ: مِلءُ الكَفِّ من الشيء.

(٢) النكوص: التراجع والإحجام.

(٣) ناجزه الحرب ونحوها: نازله وقاتله، وتناجز القوم: تقاتلوا وتسافكوا الدماء.

(٤) تَلْظَتْ: تَلَهَيْتْ.

والتنزي إلى قتالهم، قد وطّنا على الموت، وأخلصوا لله نياتهم، فأنزل الله صبره عليهم، وأيدهم بملائكته، وقذف الرعب في نفوس الكفرة، فخذلهم الله وهزمهم وفرّق ملأهم وبدد جمعهم، فوضع المسلمون رماحهم وسيوفهم في نحورهم وظهورهم وقد ولوا فراراً عنهم لا يلتفتون إلى شيء، حتى بلغوا في هزيمتهم إلى أقصى محلّتهم وأجازوا موضع مضطربهم، وقد بدد الله شملهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وهياً للمسلمين في ساقّة عسكرهم^(١) وميمنتهم وميسرتهم وقائع عظيمة ومعارك جسيمة مكّنها الله منها بقدرته وصنع لهم بعزّته، على أنهم لم يمعنوا في اتباعهم أخذاً بالحزم وتوقّعاً للمكيدة. ووقف المشركون عند انحيازهم على جليل ما حلّ بهم من أهل الحصن وأراهم الله من نصرهم، فأجمعوا على الانتقال عنهم والترك لهم فرفعوا عنهم من فورهم ذلك وفارقوا محلّتهم مذعورين قد غادروا فيها من أبنتهم وأثقالهم وأزودتهم كثيراً تخفّفاً عنها، وأقبل بعض رؤسائهم على بعض يتعاذلون ويتلاومون وتفرّقوا أيدي سبأ لطيتهم، وخرج أهل الحصن المنصور بنصر الله إثر ساقّتهم منقّضين على مبطيّهم فقتلوا وغنموا وانتهبوا ما غادروا بمحلّتهم الملعونة، وأضرموا فيها النار، وعادوا إلى حصنهم سالمين أعزة، وخاطبوا الوزير القائد ذا السيفين غالباً، المصحّر قربهم لنصرهم، بما صنعه الله لهم وفتحهم عليهم، فأنفذ الخليفة الوزير الخبر به إلى الخليفة المستنصر بالله صبيحة يوم الأربعاء ثلاث عشرة بقيت من شوال، وركب من فوره في عظم الجيش فاحتل بحصن غرّماج. ثم ورد كتابه عشي الخميس [...] خلون من شوال يذكر صلاح أحوال أهل غرّماج وأحوال أهل العسكر قبله، وأنه مفترض غرة، وعامل على الدخول إلى بلد الخنزير الناكث الخاسيء غرسية بن فردلند بن غند شلب بجمعه والإيغال فيه إن شاء الله.

فلما كان يوم الخميس ثلاث خلون من ذي القعدة ورد الخبر بالفتح على عدو الله غرسية بن فردلند وكتاب الوزير القائد ذي السيفين غالب بن عبد الرّحمن بتفسيره لخبر الواقعة وبدخوله أرض الكفرة وخروجه عنها ظافراً. وأدرج كتابه بعشية يوم الجمعة لأربع بقين من شوال ساعة مُنصرّفه من غزو عدو الله غرسية بن فردلند - أهلكه الله - وذكر أنه أداخ بسيطه فانتسف زروع الكفرة وغزا نعمهم وحرث ديارهم وقتل من ظفر به في البسيط^(٢) الذي وطئه منهم، وحكى أن العسكر احتوى على زروع مدينة شنت أشتين - دمرها الله - في دخوله وخروجه، إذ كان نزوله في حين توجهه على قرب من ربضها، وكان الطاغية غرسية بن فردلند - أهلكه الله - بالقرب

(١) ساقّة العسكر أو الجيش: مُؤخّره.

(٢) البسيط من الأرض: المنبسط، الواسع.

منه في جيشٍ كثيرٍ وحشدٍ حافلٍ، فتوهم - فَبَحَهُ اللَّهُ - أنه صامدٌ له وقاصدٌ نحوه ليلقاه في خروجه عن بسيطٍ أبرلنقه وذواتها، فقدم خيلاً إلى المخائض بنهر دويرة يبغي انتهاز فرصة، فقطع الله به دون أمله، وغشي المسلمون من كان أرسله إلى هناك من كفرته، فصدقوهم اللقاء ولم يثبتوا للضراب، وانهزموا أقبح هزيمة، وقُتلوا أبرح قتل، ولجأ فلهم^(١) إلى الشعاري^(٢) والشعاب^(٣)، وقد صرع من أعلام^(٤) رجالهم، وأعيان فرسانهم عدد كثير، واحتل العسكر بغربي شنت أشتين، والخنزير غرسية في جمعه مشرفٌ منه على ما يُسَخِنُ عينه وعيونهم، من نسف زروعهم وإحراق مساكنهم واستئصال معاشهم. وصدر المسلمون سالمين غانمين بهجين، والحمد لله رب العالمين. فقرأ كتاب الوزير القائد ذي السيفين بذلك في الجامعين بِقَرْطَبَةِ والزهاء يوم الجمعة لأربع خلون من ذي القعدة منها.

وَرَدَفَ^(٥) هذا الفتح فتح ورد به كتاب صاحب الشرطة القائد بِسَرَقُسْطَةَ عبد الرَّخْمَن بن يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم التَّجِيبِي يذكر أنه عند انصرافه من العسكر يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال وقع على أثرٍ للخنزير رذمير بن شانجه أثاره، فأثاه على إثره فأرسل من الطلائع المرتبين بجبل بردينه بِعُدُوَّة نهر أبره يقول له: اطلع على خيل جمّة قاطعة في السحر إلى النهر، فلم ينشب أن ثارت الصيحة بظهور العدو بجانب قرية استركور بقبلي مدينة تُطِيلَة، على فرسخ منها على الطريق المسلوك عليه من سَرَقُسْطَةَ، وامتدت بعض الخيل المغيرة بالناحية يمنة ويسرة، فاكتسحت ما ألفته من السوام وسبت خمسة رجال من الصيادين بالناحية، فتحرك في من معه إلى ناحية الكفرة، وقدم خيلاً للتطلع عليهم فوافوهم على رأس المخاضة من جانب المدينة، فالتقوا ودارت الحرب بينهم فاستحرت^(٦)، وتلاحق بهم صاحب الشرطة عبد الرَّخْمَن بن يَحْيَى في عظم الجيش، فلما بصر به أعداء الله ولوا مُنهزمين مُولين، وتركوا ما كانوا غنموه، وصرع منهم خمسة أعلاج عند خروجهم من المخاضة، استَبْقَى أحدهم ليستنطق عن عددهم، فذكر أن رذمير بن غرسية - أهلكه الله - خرج من حصن شوس مستقره في خمسمائة فارس وهو يظن أن صاحب الشرطة،

(١) القُل: المُنهزمون.

(٢) الشعاري: جمع الشعار: المكان ذو الشجر، أو الشجر المُلتَف.

(٣) الشعاب: الطرق، الواحد: شِعْب.

(٤) الأعلام: المشهورون.

(٥) رَدَفَ: تَبَعَ.

(٦) استحرت الحرب: اشتدت.

عبد الرّخْمَن بن يَحْيَى، لم ينفصل بعد عن عسكر غَالِب، فقدم مائتي فارس مغيرةً وبقي في مكمنه قرب النهر، فقفّا صاحب الشرطة عبد الرّخْمَن ونهض فلما نظر الخنزير من موضع مكمنه إلى حركته نحوه وعان فرسان مغيرته يجولون، خرج بمن معه وتلاقى الفريقان فدارت الحرب ملياً، وصليها فرسان الفريقين صلياً، فهياً الله انهزام المشركين ومنح أكتافهم المسلمين، وذلك صدر النهار، فتمادى المسلمون في آثارهم متبعين لهم إلى ما بعد صلاة العصر حتى أشرفوا على مزارع القشتيل معقلهم، ونجا قائدهم رذمير بن شانجه مذموماً قد أخزاه الله وأذله وفجعه بمقاتلته، فلولا الأوعار التي لاذ بها والشعاري التي لبسها لأمكن الله تعالى منه، ولن يفوته. وانصرف المسلمون عشيّ يومهم ظافرين مؤيدين قد تكنفت السلامة جميعهم. وحُزّ من رؤوس أعلامهم على تضايق الوقت وتفاوت النهار ثلاثة وثلاثون رأساً في جملتها رأس فرتون بن لبّ، مخلف رذمير بحصن شوس، ورأس سمية فرتون محونس ورأس ينقة بن بلشك الدليل ورأس صاحبيه ينقة بن غلند الدليل وغرسية بن سليط الدليل. وحيز من خيولهم سبعة وأربعون فرساً سوى ما عقر. وأخذ من عدة الخنزير: بند رفيع القدر وقرن بفخ مُفضّض، أرسل بهما عبد الرّخْمَن مع الرؤوس المحتزة إلى باب السلطان، واستشهد في المعركة ثلاثة من المسلمين أحدهم من الجند والاثنان من أهل مدينة تُطيلة، فقرأ كتاب هذا الفتح في الجامعين بِقَرْطَبَة والزهاء يوم الجمعة [.....] صاحب الشرطة العليا القائد عبد الرّخْمَن بن يَحْيَى إلى قَرْطَبَة مع البند والقرن فرفعت فوق الخشب بإزاء باب السُدّة من قصر قَرْطَبَة على العادة، والحمد لله على ذلك لا ربّ سواه.

تم كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الأعلام
- ٢ - فهرس الأشعار
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع
- ٤ - فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

حرف الألف

- إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن حجاج: ١٣٢.
- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إدريس: ١٣٧.
- إبراهيم بن جعفر بن علي: ٥١، ٥٩، ١١٢.
- إبراهيم بن حسن الحسني (أرملهم): ١١٥.
- إبراهيم بن حمدون: ١٣٦.
- إبراهيم بن الحويطي: ١٠١.
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي الأخطل: ١٥٨.
- إبراهيم بن عبد الله بن محمد: ١١٣.
- إبراهيم بن علي: ٨٦.
- إبراهيم بن عيسى: ٩٩، ١٠٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦.
- إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن قاسم: ١١٢.
- إبراهيم بن أبي العيش: ١١٢، ١١٧.
- إبراهيم الفتى: ٣٦.
- إبراهيم بن مسهول الصنهاجي: ٧٩.
- إبراهيم (رسول حسن بن حنون): ١١٧.
- إبراهيم بن يحيى بن هذيل بن رزين: ١٥٨.
- أحمد بن أبان بن سيد: ١١٤.
- أحمد بن إبراهيم الخازن: ١٥.
- أحمد بن الأسعد (صدام الكاتب): ٥٣.
- أحمد بن إسماعيل الحسني: ١١٢.
- أحمد بن بكر الزنجي: ٧٨.
- أحمد بن حدير: ٥٢.
- أحمد بن خالد: ٧٦.
- أحمد بن سعد الجعفري: ٣٠، ٣١، ١٤٢، ١٧٨.
- أحمد بن سعيد الجعفري: ١٠١.
- أحمد بن سليمان الكاتب: ١٦٧.
- أحمد بن طولون (التركي): ١٧٣.
- أحمد بن العاصي بن حكم التجيبي: ٥٤.
- أحمد بن عبد الحميد بن بسيل: ٣٠، ١٤٢، ١٤٣.
- أحمد بن عبد الله بن بسيل: ١٧٨.
- أحمد بن عبد الله بن أبي عبدة: ٦٨.
- أحمد بن عبد الملك: ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ١١٥، ١٤٣، ١٤٤.
- أحمد بن عروس (عمروس): ١١٢.
- أحمد بن عيسى: ٩٩، ١٠٠، ١٠٥.
- أحمد بن عيسى بن فطيس: ٩٠.
- أحمد بن غزلون: ١٥٨.
- أحمد بن قاسم بن قلزم: ٥٢.
- أحمد بن محمد بن الحاجب (الخازن): ٩٨، ١٠٠، ١٥٣، ١٥٨.
- أحمد بن محمد بن حدير: ٧٩، ١٦٤.
- أحمد بن محمد بن حفص بن جابر: ١٣٧، ١٤٢.
- أحمد بن محمد بن سعد الجعفري: ١٦٩.
- أحمد بن محمد بن طملس: ١٥٣.
- أحمد بن محمد بن عباس: ٥٠، ١٨٠.
- أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الصديق: ٧٨.

- أحمد بن محمد القرشي التيمي : ٨٣ ، ٨٦ .
 - أحمد بن محمد الكلبي : ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٩ .
 - أحمد بن محمد بن مفرج : ٦٤ .
 - أحمد بن محمد بن يوسف القسطلبي : ٥٥ .
 - أحمد بن مطرف : ١٧٠ .
 - أحمد بن المعتمد على الله ابن المتوكل على الله : ١٧٣ .
 - أحمد بن نصر : ٤٨ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٦ ، ١٥٥ ، ١٦٦ .
 - أحمد بن هاشم : ٧٨ .
 - أحمد بن يحيى بن هذيل : ٥٢ ، ١٥٨ .
 - أحمد بن يعلى : ٥ ، ٨٢ .
 - أحمد بن يوسف : ٥٥ .
 - أحمد بن يوسف القسطلبي : ١٧٠ .
 - الأحمر بن حمود : ١٣٦ .
 - إدريس بن حماد الغماري : ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١١٩ .
 - ابن الأزرق : ٦٥ .
 - إسحاق بن كنداج : ١٧٣ ، ١٧٤ .
 - إسماعيل بن البوري : ٨١ .
 - إسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ : ٥٩ ، ٧٧ ، ٩٨ ، ١٥٣ ، ١٧٩ .
 - أسمنة بن شانجه : ٤٦ .
 - أشتبين بن أبيكة : ١٣١ ، ١٤٢ .
 - أشراكة ابن عم داود القومس : ١٣١ .
 - أصبغ بن عبد الله بن نبيل (المترجم) : ٤٦ ، ١١١ .
 - أصبغ بن قاسم بن أصبغ : ٦٤ .
 - أبو الأصبغ ، عبد العزيز : ١٩ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٧٩ .
 - الأصبغ ، أبو القاسم : ١٩ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٩٠ ، ١١٨ ، ١٥٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

- أصبغ بن محمد بن فطيس : ٥٦ .
 - ابن الأغلب : ٢٣ .
 - أفلح (الوكيل بدار الخيل) : ١٤٧ .
 - أناقول بن سبع : ٧٧ .
 - أيوب بن أبي الحسين : ١٠١ .

حرف الباء

- البحري : ١٧٤ .
 - بريل بن شنير : ١٥ ، ٢١ ، ١٣١ ، ١٤١ .
 - بسيل : ٢٩ ، ٣٠ ، ١٧٨ .
 - بليس بن سريط : ١٣١ ، ١٤٢ .
 - بلقين (يوسف بن زيري) : ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٠ .
 - البوري بن أبي العافية : ٧٩ .
 - بون فلي بن سندريط : ١٤ ، ٢١ .

حرف التاء

- تامة بنت يحيى بن علي : ٣٦ .

حرف الثاء

- ثابت بن سليمان بن أبي عامر : ١٥٨ .
 - ثابت بن عبد الرحمن بن أبي الأخطل : ١٥٨ .
 - ثعبان بن أحمد البربري : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤٧ .

حرف الجيم

- ابن جلاد الكتامي : ٨٦ .
 - جرثم بن أحمد : ١٠٥ ، ١١٧ .
 - ابن جرثم : ١١٢ .
 - جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلي : ٤٨ ، ١٤٨ .
 - جعفر بن عثمان : ١٥ ، ١٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٥ .

- حسن بن يحيى بن علي : ٣٦.
- حسين بن إبراهيم الخليع : ١٤٧.
- حسين بن أحمد : ١٥٦.
- حسين بن خيران : ٨٩.
- حسين بن مروان بن هذيل : ٥٢.
- حسين بن يحيى بن حسن بن إبراهيم : ١١١.
- حكم بن العاصي بن حكم التجيبي : ٥٤.
- حكم بن عبد الرحمن = المستنصر بالله (الخليفة).
- حكم بن عمريل : ٥٢ ، ٥٤.
- أبو الحكم بن قرشية : ٢٩.
- حكم بن مسعود بن أبي القاسم الخال : ١٨٠.
- حلوية بنت الملك رذمير : ٤٦ ، ١١١ ، ١١٢.
- حمدون الجذامي : ٢٢ ، ٢٣.
- حمدون بن عزيزة : ٣٦.
- حمليل (من الخزر) : ٩٤.
- حمود بن أحمد : ١٥٦.
- حمود بن محمد : ٧٣.
- حميد بن قياطن : ٩٥.
- حنون بن أحمد : ١٣٧.
- حنون بن أحمد بن عيسى : ١١٧ ، ١٥٦.
- حنون بن إدريس : ٧٧.
- حنون (أحمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إدريس . . . بن الحسن بن علي بن أبي طالب = أحمد بن عيسى .
- حنون بن سروح : ٧٣.
- حنون بن عبد الله : ٨٩.
- حنون بن أبي العيش : ١١٢.
- حيّان بن خلف : ٧١.

حرف الخاء

- خالد بن زروال : ١٥٨.

- ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٠.
- جعفر بن علي الأندلسي : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٨٠.
- أبو جعفر الجزار : ٢٤ ، ٢٦.
- جعفر الهالك (الحاجب) : ٣٥.
- جؤذر (الفتى الكبير) : ٩٠.
- جوهر (غلام معد) : ٣٦ ، ١١٨.

حرف الحاء

- حبيب بن سليمان بن حجاج : ١٣٢ ، ١٣٣.
- حبيب بن محمد بن عبد الله بن محمد الخولاني (ابن الدب) : ١٣٢.
- حجاج بن خلوف : ١٠١.
- حجاج بن محمد بن قاسم بن محمد بن حجاج : ١٣٢.
- حجاج بن مخلوف (القاضي) : ١١٣.
- حسن بن أحمد بن عيسى : ١٠٠ ، ١٥٦.
- حسن بن حنون : ١١١ ، ١١٨.
- الحسن بن صرحان : ٨٦.
- حسن بن علي : ٥٩.
- حسن بن القاسم الحسني : ١٤٣.
- حسن بن قنون الحسني : ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٨٠.
- حسن بن محمد : ١٥٦.

حرف الزاي

- زروال بن عمريل: ٥٢، ٥٤، ٥٥، ١٤٦.
- زكرياء بن يحيى: ١٣٦.
- زكرياء بن يحيى الشبلاري (الخازن): ٤٢.
- زياد بن أفلح: ١٧، ٢٠، ٣٢، ٣٤، ٥٦، ٥٧، ٦٨، ٦٩، ٨٨، ٩٠، ١٠٤، ١١١، ١٣٣، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٠.
- أبو زيد، مخلد بن كيداد التاكرني: ٢٣.
- زيري بن بياضة: ١١٧.
- زيري بن مناد الصنهاجي: ١٨، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ١٥٠.
- زينب بنت علي: ٣٦.

حرف السين

- سرغين (من الخزر): ٩٤.
- سرور بن غزلون: ١٥٨.
- سعد (قائد): ٧٩.
- سعد بن الحكم (الوزير): ٦٦.
- سعد بن عبد الرحمن الجزري: ٥٩، ٧٢، ١٥٣.
- سعيد (صاحب ابن أبي عمرو): ٥٥.
- سكر (الفتى الكبير): ١٤٣.
- سكينه بنت يحيى بن علي: ٣٦.
- سلس (رسول القومس غند شلب بن مسرة: ١٨.
- سلمة بن الحكم الجعفري: ٧٨، ٧٩، ١٥٣، ١٥٨.
- سلمة بن رجاء: ١٣٦.
- أم سلمة: ٦٨.

- خالد بن هشام: ٦٤، ١٥٥.
- ابن الخال، سعيد: ٦٤.
- خزر بن لقمان: ١٠١.
- خلاد بن سعيد: ٨٦.
- خلف بن غصن: ١٥٨.
- خلف بن يحيى بن أراقبي بن ناصح الفرائش: ٤٥.
- خلوف بن عمار: ٨٦.
- خلوف بن أبي قلوس، أو فلوس: ١١٢، ١١٧.
- الخليل بن أحمد: ١٠٢.
- خميس بن جامع: ١٣٦.
- خميس بن أبي سليط: ٤٦.

حرف الدال

- دُرِّي الأصغر (الخازن): ١٧، ٨٠، ٨١، ٩٧.
- دُرِّي بن الحكم الهماز: ١١٥.
- دُرِّي الصغير = دري الأصغر.
- دُرِّي الكبير (الخليفة الصقلي): ٧٧.
- أبو دسيس بن طيوس: ٨٦.
- ديدقة بن شبريط: ٤٦.

حرف الراء

- رائق (خال الأمير أبو الوليد): ٨٨، ١١٣، ١٤٣، ١٥٧.
- الرازي: ٢٦.
- رذمير بن شانجه بن رذمير: ٤٦، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧.
- رزق بن الحكم الجعفري: ١١٥.
- أبورسة بن الأحسن: ٨٦.
- رشيق البرغواتي: ٩٨، ١٥٣، ١٧٥، ١٧٦.
- رشيق بن عبد الرحمن: ٥٩، ٧٧، ٧٨.

- عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن إلياس (الخازن): ١١٣، ١٧٩.
- عبد الرحمن بن جرج: ٦٨.
- عبد الرحمن بن جمهور: ٧٥.
- عبد الرحمن بن أبي جوشن: ٥٩.
- عبد الرحمن بن رماحس: ١٦، ١٩، ٤٠، ٥٨، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٢، ٧٤، ٧٩، ٨٧، ١٦٩.
- عبد الرحمن بن سلمة بن أبي الأخطل: ١٥٨.
- عبد الرحمن بن عمريل: ٥٢، ٥٥.
- عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش: ١١١.
- عبد الرحمن بن محمد بن الليث: ١٠٩.
- عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي: ٢٠، ٤١، ٩٠.
- عبد الرحمن بن مروان بن هذيل: ٥٢.
- عبد الرحمن بن معاوية (الداخل): ٤٥، ٤٨.
- عبد الرحمن بن موسى بن حدير: ١٩، ٦٤، ١٤٣.
- عبد الرحمن بن هاشم التجيبي: ١٠٤.
- عبد الرحمن بن وافد: ١١٦.
- عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي: ٤١، ١٤٣، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧.
- عبد الرحمن بن يوسف بن أرمطيل: ٥٩، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٩٨.
- عبد العزيز بن حسن بن علاهم: ١٣٦.
- عبد العزيز بن حسين القروي: ١٢٥.
- عبد العزيز بن حكم التجيبي: ٥٤، ١٧٦.
- عبد العزيز بن العاصي... بن أبي عمرو العريف: ٥٥.

- سليمان بن أحمد الرصافي: ١١٦.
- سليمان بن أبي الجوشن: ١٠٢.
- سليمان بن عقاب بن سلمة: ١٥٨.
- أبو السمسين: ٥١.
- سهل (الفتي الكبير): ١٧٤.

حرف الشين

- شاطر الجعفري: ١٠٨، ١١٥، ١٣٧.
- شانجه بن غرسية: ٤٦، ١٠٥، ١٨٤.
- شنيف (فتي الخليفة): ١٣٢.
- ابن الشور: ٤٦.

حرف الصاد

- صالح بن رافع: ١٣٦.
- أبو صالح: ١١٧.
- صنعان بن خليفة: ٨٦.

حرف الضاد

- ضيغم بن وهب بن الأدهم: ١٥٨.
- ضيفان بن خليفة: ٨٩.

حرف الطاء

- طاهر بن علي البغدادي: ٩١.
- طاهر بن محمد البغدادي (المهند): ٢٠، ١١٩.

حرف العين

- العاصي بن الحكم التجيبي: ٥٤، ٩٥، ٩٨.
- ابن العاصي: ٧٨.
- أبو العافية: ١٠٥، ١٤١.
- عبّاد الطنجي: ١٦٤.
- عبادة بن خلف بن أبي جوشن: ١٦٤.
- عباس بن محمد بن عباس: ٥٠.
- عبد الحميد بن بسيل: ٢٩، ٣٠، ١٧٨.
- عبد الحميد الجذامي: ٢٢.

- عبد العزيز بن عقال بن سلمة : ١٥٨ .
- ابن عبد العزيز : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
- عبد القدوس بن عبد الوهاب : ١٢٦ .
- عبد الكريم بن أحمد بن فارس (المنجم المصري) : ١١٢ .
- عبد الكريم بن حماد بن عبد الله بن عبد الكريم : ١١٢ .
- عبد الكريم (صاحب فاس) : ٧٧ ، ١١٧ .
- عبد الكريم بن يحيى : ٨١ ، ٩٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ .
- عبد الله بن أحمد (ابن الإفليلي) : ٦٨ .
- أبو عبد الله الداعي : ٢٣ .
- عبد الله بن أبي دواس : ٩٤ .
- عبد الله بن زيدان : ١٣٦ .
- عبد الله بن شعيب : ٦٥ .
- عبد الله بن مروان : ٧٩ .
- عبد الله بن مروان بن مسلمة : ١٥٣ .
- عبد الملك بن سميت (الخنوص) : ٦٥ ، ٦٦ .
- عبد الملك بن منذر بن سعيد : ٧٥ ، ٧٨ ، ١٥٥ .
- عبدون بن الخير بن محمد بن خزر : ٢٧ ، ٩٤ .
- عبدون بن محمد بن عبد الله : ١٣٦ .
- عبيد الله الشيعي : ٢٣ .
- عبيد الله بن عبد الله الزجالي : ٥٩ .
- عبيد الله بن عقال بن مسلمة : ١٥٨ .
- عبيد الله بن قاسم (المطران) : ٤٦ ، ١١٢ .
- عبيد الله بن يحيى : ١٤٢ ، ١٧٠ .
- عبيد الله بن يحيى بن هذيل بن رزين : ١٥٨ .
- أبو العراض : ٣٥ .
- عزر : ١١٧ .
- عزيزة بنت علي بن حمدون : ٣٦ .
- عطية بن فرتون : ١٥٨ .
- ابن عقبة : ١٧ .
- علي بن أحمد بن علي : ١٠١ .
- علي البغدادي : ٢٦ ، ٢٧ .
- علي بن حسن بن أحمد : ١٥٦ .
- علي بن حسن بن قنون : ٧٧ ، ١١٥ ، ١١٩ .
- علي بن حمدون بن سملك بن عبد الحميد الجذامي : ٢٢ ، ٢٣ .
- علي بن حنون (رئيس كتامة) : ١٠٥ .
- علي بن خلوف (أمير غمارة) : ١٠٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ .
- علي بن رافع : ١٣٦ .
- علي بن محمد بن أبي الحسين : ٥٩ .
- علي بن يحيى الحسني : ٩٠ .
- علي بن يحيى بن علي : ٣٦ .
- علي بن يحيى بن هذيل بن رزين : ١٥٨ .
- عمار بن عبد الحميد الجذامي : ١١٢ .
- عمار بن يحيى بن علي : ٣٦ .
- عمر بن أحمد : ١١٧ .
- عمر بن أراق بن خلف : ٤٥ .
- عمر بن خالد بن عثمان الحضرمي : ١٣٢ .
- عمر بن عثمان : ١٣٢ .
- عمر بن غانم : ١٣٦ .
- ابن عمر المحتال (الحاجب) : ١٣ .
- عمريل بن تيملت : ٥٢ ، ٥٥ .
- عومس : ١٠٢ .
- عيسى بن أحمد : ٢٦ ، ٤٥ .
- عيسى بن أحمد بن محمد بن إدريس (حنون) : ١٣٧ .

- غرسية بن فرذلند: ١٤٦، ١٤٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦.
- ابن أبي غرقلة: ١٠٢.
- غصن بن غزلون: ١٥٨.
- غند شلب بن مسرة: ١٨.
- غيتار (صاحب برشلونة): ١٣١، ١٤١.

حرف الفاء

- فاطمة بنت يحيى بن علي: ٣٦.
- فائق (صاحب البرد والطرار): ٤٥، ٤٨، ٨٨، ٩٠، ١٣٤.
- فائق (مولى المستنصر): ٥٦.
- ابن الفاضل: ٦٦.
- فتح الحجام (الخصي): ٥٢.
- فحلون بن هذيل: ٦٧.
- فرتون بن لب: ١٨٧.
- فرتون بن محونس: ١٨٧.
- فرج بن علي بن عمر: ١١٣.
- فرجون بن أصبغ البلوطي: ١٦.
- فرذلند بن الشور: ١٠٥، ١٣١، ١٤٢، ١٨٤.

حرف القاف

- القاسم بن إبراهيم بن عيسى بن حنون: ٨٢.
- القاسم بن أحمد: ١٥٦.
- قاسم بن حفصون الكناني: ١١٢.
- القاسم بن خلف الجبيري (أبو عبيد): ٦٨.
- قاسم (رسول إدريس بن حماد الغماري): ١١٧.
- قاسم: ٦٥.
- أبو القاسم الغساني: ٣٦.
- القاسم بن محمد: ١٥٦.

- عيسى بن الحسن بن أبي عبدة: ٣١.
- عيسى الرازي: ٧١، ٧٢.
- عيسى (قاضي حنون بن أحمد بن عيسى): ١١٧.
- عيسى بن عبد الله (القاضي): ١١٢.
- عيسى بن قرلمان (الزبراقة): ٥٣، ٥٤.
- عيسى بن محمد بن إدريس بن مباله: ١٥٦.
- عيسى بن مروان بن هذيل: ٥٢.
- عيسى بن مسرور بن قثة: ١٥٨.
- عيسى بن منصور: ٤٦.
- عيسى بن موسى (القاضي): ١١٢.
- عيسى بن موسى بن عياض: ١٣٦.
- عيسى بن يحيى بن هذيل بن رزين: ١٥٨.
- عيسى بن يملول: ٨٦.
- أبو العيش بن أيوب بن بلال: ٨٣، ٨٦.
- أبو العيش بن ميمون بن القاسم: ٨٢، ١٥٧.

حرف الغين

- غالب بن عبد الرحمن بن يحيى: ١٤، ١٦، ١٧، ٤١، ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٧.
- غالب بن عمريل: ٥٢، ٥٤، ٥٥.
- غرسية بن سليط: ١٨٧.

- محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن حجاج: ١٣٢.
- قاسم بن محمد بن طملس: ١٤، ٧٩، ٩٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٣، ١٧٨.
- أبو القاسم (ولي عهد عبيد الله الشيعي): ٢٣.
- القاسم بن نصر: ٨٦.
- قاسم بن يحيى بن إبراهيم الحسني (حنون): ٨٢.
- قاسم بن يعيش: ٣٠، ٣٦.
- قسطنطين الملقب: ٥١.
- قند: ١٠٨، ١٠٩.
- قنون بن عيسى الحسني: ١١٢.
- قنون بن هارون: ١٣٦.
- قياطن بن يعلى: ١١٨.
- قيصر: ٧٩، ١٥٣.
- قيصر الجزري: ٥٩، ٧٢.
- حرف الكاف**
- كليب بن فرتون: ١٥٨.
- حرف اللام**
- لب بن العاصي بن حكم التجيبي: ٥٤.
- لب بن مروان بن هذيل: ٥٢.
- لب بن يحيى بن هذيل بن رزين: ١٥٨.
- لذريق بن بلشك: ١٠٥.
- لقمان بن خزر: ١١٢.
- حرف الميم**
- مالك بن أنس: ١٣٥، ١٧٠.
- مالك بن حسن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة: ١٦٦.
- ابن مجاهد الإستجي: ١٢٨.
- محرز المواتي: ١١٧.
- محمد بن أحمد (الوزير): ١٤٣.
- محمد بن أحمد بن أمية بن شهيد: ١٧٤.
- محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن الأشعث القرشي: ١٣٢٢.
- محمد بن أحمد بن عيسى: ٩٦.
- محمد بن أحمد بن مفرج (القاضي): ٦٨.
- محمد بن إسحاق بن السليم: ٢٠، ٧٦، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٥٥، ١٦٢، ١٧٩.
- محمد بن أعصر: ٨٦.
- محمد بن أفلح: ١٥، ١٩، ٣٤، ٥٣، ٥٤، ٦٥، ٦٩، ٧٧، ٧٨، ٨٨، ١١٨.
- محمد بن جعفر بن عثمان (الوزير): ١٦٤، ١٤٣، ١٥٥، ١٦٤.
- محمد بن حسن: ١٣٥، ١٤١.
- محمد بن حسن الزبيدي: ١٠١، ١٠٢.
- محمد بن حسن بن قاسم: ٨٨.
- محمد بن حسين الطنبلي: ٤٢، ٥٩، ٧٠، ٨٢، ١٣٧.
- محمد بن حنون: ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١١.
- محمد بن خلف الكتامي: ٧٩.
- محمد بن الخير بن الخزر: ٢٤، ٢٦.
- محمد بن داود (القاضي): ٥٤.
- محمد بن رزق الجعفري: ١٣١، ١٤٣.

- قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حجاج: ١٣٢.
- قاسم بن محمد بن طملس: ١٤، ٧٩، ٩٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٣، ١٧٨.
- أبو القاسم (ولي عهد عبيد الله الشيعي): ٢٣.
- القاسم بن نصر: ٨٦.
- قاسم بن يحيى بن إبراهيم الحسني (حنون): ٨٢.
- قاسم بن يعيش: ٣٠، ٣٦.
- قسطنطين الملقب: ٥١.
- قند: ١٠٨، ١٠٩.
- قنون بن عيسى الحسني: ١١٢.
- قنون بن هارون: ١٣٦.
- قياطن بن يعلى: ١١٨.
- قيصر: ٧٩، ١٥٣.
- قيصر الجزري: ٥٩، ٧٢.
- حرف الكاف**
- كليب بن فرتون: ١٥٨.
- حرف اللام**
- لب بن العاصي بن حكم التجيبي: ٥٤.
- لب بن مروان بن هذيل: ٥٢.
- لب بن يحيى بن هذيل بن رزين: ١٥٨.
- لذريق بن بلشك: ١٠٥.
- لقمان بن خزر: ١١٢.
- حرف الميم**
- مالك بن أنس: ١٣٥، ١٧٠.
- مالك بن حسن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة: ١٦٦.
- ابن مجاهد الإستجي: ١٢٨.
- محرز المواتي: ١١٧.

- محمد بن سعد : ٥٩ ، ٦٩ ، ١٤٣ .
 - محمد بن سعيد (خال الخليفة الناصر) : ١١٦ .
 - محمد بن أبي سفيان : ١٠٥ .
 - محمد بن سليمان (ولد المعلم حمه) : ٦٦ .
 - محمد بن سليمان التاجر : ٦٤ ، ٦٥ .
 - محمد بن سليمان (السلسلة) : ١٣٣ .
 - محمد بن أبي سنديب : ١١٧ .
 - محمد بن شخيص : ٣٧ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٨٠ .
 - محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٥ .
 - محمد بن عباس (الوزير) : ١٤٣ .
 - محمد بن عبد السلام : ١٠٨ ، ١٠٩ .
 - محمد بن عبد الله (كاتب العاصي) : ٥٤ .
 - محمد بن عبد الله : ٧٩ .
 - محمد بن عبد الله بن بدر (الوزير) : ١٤٣ .
 - محمد بن عبد الله بن أبي عامر : ٥٢ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٨٠ .
 - محمد بن عبد الله بن محمد بن حجاج : ١٣٢ .
 - محمد بن عبد الملك : ٧٦ .
 - محمد بن عبيد الله (الوزير) : ١٧٢ .
 - محمد بن عثمان بن الخزر : ١٣٢ .
 - محمد بن علي بن أبي الحسين : ٨٠ ، ٨٩ .
 - محمد بن علي بن خلع : ١٣٦ .
 - محمد بن عيسى بن يحيى بن القاسم بن إدريس : ١١٢ .
 - محمد بن أبي العيش الكتامي : ١٠٧ .
 - محمد بن أبي قادم : ٥٢ .
 - محمد بن قاسم البطريولي : ٥٤ .
- محمد بن قاسم بن طملس : ١٧ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ .
 - محمد بن فرتون : ٨٠ .
 - محمد بن فطيس : ١١٤ .
 - محمد بن فورتش : ١٧٤ .
 - محمد بن محاسن الإستجي : ٤٤ .
 - محمد بن محمد بن هاشم التجيبي : ٩٧ .
 - محمد بن مسرور بن قنة : ١٥٨ .
 - محمد بن مطرف : ٧٠ ، ١١٢ .
 - محمد بن مفرج : ١١٦ .
 - محمد بن منجفان الأصيل : ١٠٥ .
 - محمد بن مهنا البجاني : ٣٦ .
 - محمد بن موسى (من بني الطويل) : ١٣٥ .
 - محمد بن وليد بن غانم : ١٣٦ .
 - محمد بن الوليد : ٦٨ .
 - محمد بن وليد (من بني الطويل) : ١٣٥ .
 - محمد بن يحيى (الصنهاجي) : ٨١ .
 - محمد بن يحيى القيسي : ١١٢ .
 - محمد بن يحيى بن هذيل بن رزين : ١٥٨ .
 - محمد بن يعلى : ٤٩ ، ٥٠ .
 - محمد بن يوسف (القاضي) : ١٧ ، ٧٦ .
 - محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق : ٢٢ .
 - مخلد بن مروة : ٨٩ .
 - مدين بن الخير بن خزر البربري : ١٧٥ .
 - ابن مدين : ١١٢ .
 - مرتاح (الفتى الكبير) : ١٤٣ .
 - مرسن (الفتى الكبير) : ٩٠ .
 - مرقس (فتى الخليفة) : ١٣٢ .
 - مروان بن أحمد بن شهيد : ١٣١ ، ١٤٢ .
 - مروان بن هذيل : ٥٢ .

٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢،
 ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٥٩، ٩٠، ٩٩،
 ١١٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٩، ١٨٠.
 - يحيى بن عيسى: ١٥٦، ١٥٨.
 - يحيى بن فتوح: ٨٦.
 - يحيى بن القاسم: ١٣٧، ١٤٣، ١٥٢،
 ١٥٥، ١٥٦.
 - يحيى بن قشاش: ٧٧.
 - يحيى بن قنون: ١٨٠.
 - يحيى بن محمد: ١٣٧، ١٤٢.
 - يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي: ١٩،
 ٤١، ٥٩، ٦٩، ٩٧، ٩٨، ١٠٦،
 ١٠٨، ١٣٧، ١٤٢، ١٦٤.
 - يحيى بن هذيل: ٥٢، ١٥٨، ١٦٠.
 - يحيى بن يحيى: ١٧٠.
 - يحيى بن يصلاتن: ١٣٦.
 - أبو يزيد مخلد بن كيداد: ١٥٠.
 - يعفرن: ٥٢.
 - يعلى (أمير بني نفر): ١١٨.
 - يعلى بن أحمد بن يعلى: ٤٩، ٥٠،
 ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨.
 - يَنْقَة بن بلشك: ١٨٧.
 - يَنْقَة بن غلند: ١٨٧.
 - يوسف بن زيري (بلقين): ٢٥، ٢٦.
 - يوسف بن أبي سفيان: ١٠٥.
 - يوسف بن سليمان البياني: ٢٩.
 - يوسف بن علي بن سليمان: ٣٦.
 - يوسف بن محمد (صاحب الصلاة): ٥٤.
 - يوسف بن محمد بن هاشم التجيبي:
 ٩٥، ٩٧.
 - يوسف بن هارون الرمادي البطلوسي (أبو
 الجنيش): ٣٩، ٥٣، ٥٤.

- هاشم بن يحيى بن هذيل بن رزين: ١٥٨.
 - هذيل بن خلف: ١٥٨.
 - هذيل بن محمد بن هاشم التجيبي: ٩٥،
 ٩٧.
 - هشام بن محمد بن عثمان: ١٤، ٣١،
 ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٥٧، ٦١، ٦٨،
 ٧٠، ٧٨، ٨٠، ١١٣، ١١٦، ١٦٤.
 - هشام بن محمد بن هشام التجيبي: ١٧٦.
 - هند بنت يحيى بن علي: ٣٦.
 - هوتو (ملك الإفرنج): ١٤٢.
 - وارث بن سعادة: ٨٩.
 - ورقان بن عون: ٨٩.
 - وليد بن سليمان بن أبي عامر: ١٥٨.
 - وليد بن عبد الملك بن موسى بن الطويل
 الثغري: ١٧٥.
 - أبو الوليد، هشام (ابن أمير المؤمنين):
 ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٧٨، ٨٠، ١٠١،
 ١٠٥، ١٠٨، ١١٥، ١١٦، ١٣٧،
 ١٤٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٥،
 ١٦٦، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،
 ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣.

حرف الياء

- ياسر (الفتي): ٦٨.
 - يحيى بن إدريس: ٥٢، ١٤٣.
 - يحيى بن البوري: ٨١.
 - يحيى بن حنون الحسني: ١١٨.
 - يحيى بن السراقة: ٧٣.
 - يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي: ١٧٠.
 - يحيى بن عبيد الله بن إدريس: ٩٠،
 ١٠٤، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٠.
 - يحيى بن علي الأندلسي: ١٨، ٢٢،

فهرس الأشعار

كلمة القافية	اسم الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الباء				
الباء المفتوحة				
عَيْهَبَا	ابن شخيص	الطويل	٤٨	١٨٠
الباء المضمومة				
مُعَيْبُ	ابن شخيص	الطويل	٣	٧٠
تُرْتَقِبُ	ابن شخيص	البسيط	٦٦	١٢٠
قافية التاء				
التاء المكسورة				
صَهَوَاتِهَا	المتنبى	الكامل	١	١٥١
قافية الجيم				
الجيم المكسورة				
الشَّجِي	محمد بن حسين الطنبى	الكامل	٢٨	٥٩
قافية الدال				
الدال المفتوحة				
تَمَجَّدَا	فرجون بن أصبغ البلوطي	الطويل	٤	١٦
مؤيدا	مالك بن حسن بن عيسى	الطويل	١٥	١٦٦
الدال المكسورة				
بلا عَهْدٍ	أحمد بن إبراهيم الخازن	الطويل	٥	١٥
قافية الراء				
الراء الساكنة				
السُّرُوز	يعلى بن أحمد	السريع	١٨	١٥٩

كلمة القافية	اسم الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الراء المفتوحة				
وتخيّرَا	محمد بن حسين الطنبلي	الكامل	١١	٤٢
يُخسّرَا	البحتري	الكامل	١	١٧٤
الراء المكسورة				
لِجَعْفَرٍ	يوسف بن هارون الرمادي	الكامل	٢	٣٩
قافية الطاء				
الطاء المفتوحة				
أبسّطا	محمد بن حسين الطنبلي	الكامل	١٤	٧٠
قافية العين				
العين المرفوعة				
بلاقُع	ابن شخيص	الطويل	١٠	١٠٤
يَقْعُ	عبيد الله بن يحيى	البسيط	١	١٤٣
دافُع	محمد بن محاسن الإستجي	الكامل	٨	٤٤
العين المكسورة				
واقع	محمد بن شخيص	الطويل	٤٤	٣٧
قافية الفاء				
الفاء المكسورة				
يشتفي	يحيى بن هذيل	الكامل	١٥	١٦٠
قافية القاف				
زهوُق	عبد العزيز بن حسين القروي	الطويل	١٧	١٢٥
قافية اللام				
اللام المفتوحة				
اجتلى	أحمد بن عبد الملك	الطويل	٢٧	١٤٤
أَوَّلَى	محمد بن شخيص	الطويل	٢٤	٤٣
تَعَالَى	ابن مجاهد الإستجي	الرجز	٣٧	١٢٨
أسبالها	طاهر بن محمد البغدادي	المقتارب	٢٨	١١٩

كلمة القافية	اسم الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
اللام المكسورة				
بِقَابِلٍ	محمد بن شخيص	الطويل	٢٦	٩٢
لِمَقْوَلٍ	طاهر بن محمد بغدادي	الكامل	٨	٢٠
قافية الميم				
الميم المرفوعة				
وَتَمَامٌ	أحمد بن سليمان الكاتب	الكامل	٣٤	١٦٧
الميم المكسورة				
وَالكَرَمِ	عبد القدوس بن عبد الوهاب	البسيط	٢٢	١٢٦
قَسَمَةٍ	طاهر بن علي البغدادي	المنسرح	٢٢	٩١
قافية الياء				
الياء المضمومة				
النَّدِي	محمد بن شخيص	الخفيف	٣٣	٦٢

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي. تحقيق أحمد أبو ملحمة وغيره. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس: ابن عميرة الضبي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. ط١، ٢٠٠٥م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. مصر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. لندن، ١٩٤٨م، باريس ١٩٣٠م.
- تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ. دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان. تعريب عبد الحليم النجار وغيره. دار المعارف، مصر، ط٤.
- تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن الفرضي. الهيئة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل بلانثيا. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.
- جذوة المتقبس في ذكر ولاية الأندلس: أبو عبد الله الحُميدي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ديوان البحري (الوليد بن عبيد الطائي): دار صادر، بيروت، لاتا.
- ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين الجعفي): شرح ناصيف اليازجي. دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ديوان النابغة الذبياني (زياد بن عمرو): تحقيق كرم بستاناني. دار بيروت، بيروت، ١٩٨٢م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. دار الآفاق الجديدة، بيروت، لاتا.

- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري. دار الثقافة، بيروت، لانا.
- الصلة في تاريخ علماء الأندلس: عبد الملك بن بشكوال. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- طبقات الشعراء: ابن المعتز العباسي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. دار ومكتبة الهلال. بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. دار الفكر، ١٩٨٢ م.
- لسان العرب: ابن منظور الإفريقي المصري. جروس برس، طرابلس، لبنان، لانا.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية (عمر بن حسن). تحقيق إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، وأحمد بدوي. المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤ م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر، بيروت، ١٩٦٤ م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لانا.
- المقدمة في التاريخ: عبد الرحمن بن خلدون. دار العلم للجميع، بيروت، لانا.
- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين): إسماعيل البغدادي. دار الفكر، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين بن خلكان. دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م.

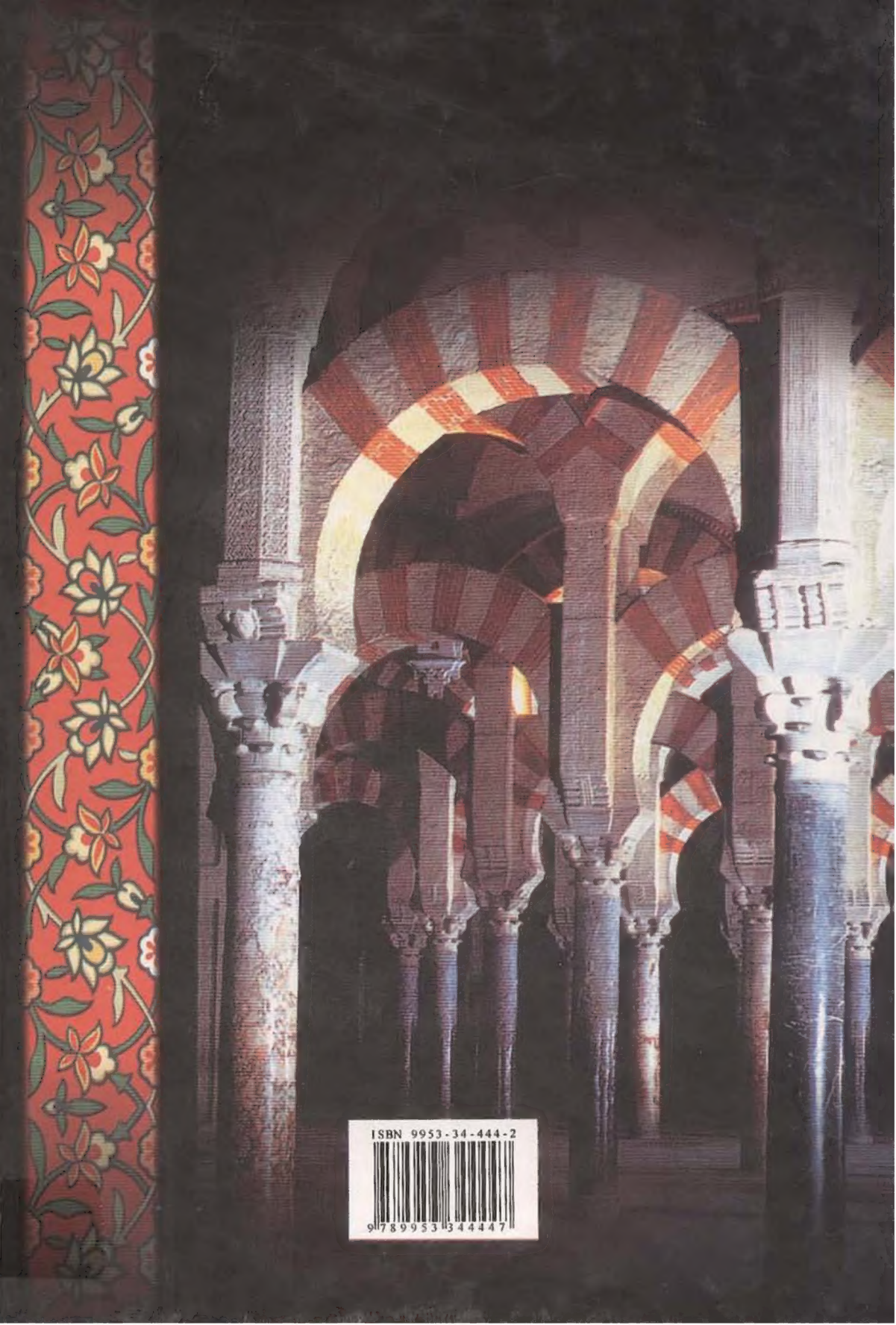
فهرس المحتويات

٥ مقدمة
٨ ترجمة المؤلف
٨ - حياته
٩ - آثاره
٩ - منزلته وأقوال النقاد فيه
١٣ [سنة ٣٦٠هـ]
١٣ ذكر شهر المعروف (. . .)
١٤ ورود بون فلي رسول بريل
١٨ ذكر مقتل زيري بن مّاد الصّنهاجي صاحب الغرب وما يليه
١٩ عيد الفطر
 ذكر صفة ترتيب البروز المُعدّ لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما
٣٠ قُرْطُبة حتى وصلا مجلس الخلافة
٤٠ ذكر القنطرة
٤١ ذكر عيد الأضحى
٤٥ ذكر خبر الصبي المتفاوت الخلق
٤٦ ذكر رَفَع وهي أزجل القنطرة
٤٨ سنة إحدى وستين وثلاثمائة
٥٧ ذكر احتياج حروب العُدوة مع حَسَن بن قُتُون الحَسَنِي وما يتعلق بذلك
٥٩ ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة
٦٦ ذِكْرُ حُرُوبِ العُدوة
٦٩ ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة
٧٢ ذكر الأخبار الكائنة شطر اثنتين وستين وثلاثمائة
 ذكر استدعاء الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرّحْمَن،
٧٦ لحرب العُدوة مع حَسَن بن قُتُون الحَسَنِي

- فصل من أخبار غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ في مَسِيرِهِ إِلَى الْعُدُوَّة ٨١
- ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة ٨٩
- ذكر إرسال الوزير يَحْيَى بن هَاشِمِ التُّجِيبِيِّ التُّغْرِي إِلَى الْعُدُوَّة
مدداً لِعَالِب بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ٩٧
- ذكر إدناء الزُّبَيْدِيِّ التُّحَوِيِّ ١٠١
- ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة ١٠٣
- سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة ١٠٨
- ذكر ورود الخبر السَّارِّ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ
بإذعان حَسَن بن قُنُونِ الْحَسَنِيِّ ودخوله في طاعته ١١٤
- ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة ١١٨
- ذكر الخبر عن محنة ابْنِي الْأَنْدَلُسِيِّ ١٣٣
- ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة ١٤٢
- سنة أربع وستين وثلاثمائة ١٥٢
- ذكر قدوم الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمَنِ قافلاً
من الْعُدُوَّة ومعه حَسَن بن قُنُون وشيعته ١٥٢
- ذكر اعتلال الخليفة الحكم ١٥٨
- ذكر نقوه الخليفة من مرضه ١٦٥
- ذكر إسماع الأمير أَبِي الْوَلِيدِ الْعِلَمِ والحديث ١٧٠
- ذكر جَيْشَانَ الْعَدُو خذله اللَّهُ بأهل الثغر الأوسط ومنزلتهم
حصن غَرْمَاج من أهم معاقله ١٧١
- ذِكْرُ الظُّفَرِ بِأَبِي الْأَخْوَصِ ١٧٥
- ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة ١٧٩
- ذكر الصنع لأهل غَرْمَاج ١٨٤

فهارس الكتاب

- فهرس الأعلام ١٩١
- فهرس الأشعار ٢٠٢
- فهرس المصادر والمراجع ٢٠٥
- فهرس المحتويات ٢٠٧



ISBN 9953-34-444-2



9 789953 344447